الشاعر الفلسطيني

عز الدين المناصرة

الأعمال الشعرية الكاملة

الجزء الثالث

الشاعر عز الدين المناصرة الأعمال الكاملة

عز الدين المناصرة من الأصوات الشعرية الفلسطينية القوية والمتميزة في المشهد الشعري العربي التي أفرزتها نكسة هزيمة ٦٧ وماانتج عنها من تنكيل وتشريد أكثر للشعب الفلسطيني وتشردم أعمق في الصف العربي ...

في تجربة المناصرة الشعرية نلامس تلك الرؤية الحكيمة والخبرة الذاتية العميقة في القبض واقتناص تفاصيل اليومي سواء على جغرافية الأرض السليبة أوفي جغرافية الغربة القاسية حيث تتعاظم أسئلة الهوية والإنتماء والعشق في مختلف تجلياته الوجودية...

بإصدار هذه الأعمال الشعرية الكاملة رقميا يكون الشاعر الكبير عز الدين المناصرة قد إنعطف في مسار تواصله مع القارئ العربي من سند الورق ورائحته العريقة .. نصاعة بياضه .. حميميته .. نوستالجيته إلى السند الإلكتروني .. إغراءاته التشعبية .. حربائيته اللونية .. ورقاته المتعددة .. مما سيعطي لطعم تجربته الذاتية وهم القضية العربية مذاقا وبعدا جديدين وكونيين لاتحدهما تلك المتاريس التقليدية ...

عبده حقي

سيرة الشاعر الفلسطيني

عز الدين المناصرة

عز الدين المناصرة 11 أبريل 1946م شاعر وناقد ومفكر من مواليد محافظة الخليل بفلسطين عام 1946. ، تعلم في (مدرسة الحسين بن علي الثانوية)بمدينة (الخليل) بفلسطين وحصل على شهادة التوجيهي (الثانوية العامة) في صيف 1964--حصل على شهادة (الليسانس) في (اللغة العربية، والعلوم الإسلامية)، 1968، و(دبلوم الدراسات العليا)في النقد الأدبي والبلاغة والأدب المقارن عام 1969 في (كلية دار العلوم- جامعة القاهرة)... ثم أكمل دراساته العليا لاحقاً، وحصل على (شهادة التخصص) في الأدب البلغاري الحديث، وحصل على (درجة الدكتوراه) في النقد الحديث والأدب المقارن في جامعة صوفيا، 1981،... كما حصل على رتبة الأستاذية (بروفيسور) في جامعة فيلادلفيا، عمّان 2005. ..-أصدر (أحد عشر ديوانا شعريا) و(خمسة وعشرين كتابا) في النقد الأدبي والتاريخ والفكر...- ...وصدر عن تجربته الشعرية والنقدية منذ 1998 ما يقرب من(29 كتابا نقديا) أغلبها رسائل ماجستير ودكتوراه في الجامعات العربية... وترجمت أشعاره الى مايقرب من ثلاثين لغة أجنبية...ويعمل منذ 1995 أستاذا بجامعة فيلادلفيا الأردنية الخاصة. وسبق أن عمل أستاذا في الفترة (1983-1994)في الجامعات التالية: (جامعة قسنطينة-جامعة تلمسان-جامعة القدس المفتوحة- كلية العلوم التربوية (الأونروا-عمان.)-- وشارك في الثورة الفلسطينية المعاصرة(1964-1994) - وكان

(المناصرة) هو الشاعر الفلسطيني الوحيد الذي حمل السلاح دفاعا عن المخيمات الفلسطينية والجنوب اللبناني في المرحلة اللبنانية للثورة الفلسطينية.

عاش الشاعر والناقد والمفكر متنقلاً في عدة بلدان -هي: فلسطين (1946-1964)، مصر (1964-1970)، الأردن (1970-1973)، لبنان (1973-1977) بلغاريا (1977-1981)، لبنان (1981-1982)، تونس (1982-1983)، الجزائر "قسنطينة"(1983-1987)، الجزائر "تلمسان" (1987-1991)، الأردن (1991-حتى اليوم)-حيث لم يسمح له بالدخول الى مسقط رأسه فلسطين منذ 15 أكتوبر 1964 وحتى اليوم.

حياته العملية:

عمل صحافياً ومذيعاً في الأردن، وفي منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان في الفترة (1970-1982). ويعمل منذ 1983 وحتى اليوم(2013) في التعليم الجامعي.

عضو مؤسس في اتحاد كتاب فلسطين منذ(مؤتمر غزة 1966.) بترشيح من غسان كنفاني وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى).-- وهو أيضا: (مُؤسس)، رابطة الكُتّاب الأردنيين، (مقرر اللجنة التحضيرية التأسيسية) . كتب نظامها الداخلي وأعلن تأسيسها بنفسه في (ندوة (نادي خريجي الجامعة الأردنية)في جبل عمان بمشاركة عيسى الناعوري ومحمود سيف الدين الإيراني ومحمود السمرة بتاريخ 1973/12/23)-- انظر (جريدة الرأي الأردنية 24 كانون أول 1973---ومدير ومذيع البرامج الثقافية في الإذاعة الأردنية حتى عام 1973 ثم فصل من عمله فصلا تعسفيا لأسباب سياسية --ونائب رئيس تحرير مجلة (أفكار) الأردنية لعدد واحد -ديسمبر 1973.

أستاذ مساعد(أسس قسم الأدب المقارن)بجامعة قسنطينة، الجزائر، (1983-1987)--- فصل من عمله فصلا تعسفيا بتحريض من(الأفغان الجزائريين) وبتحريض من (الشيخ محمد الغزالي) بعد خطبة له ضد(أشعار المناصرة) في المؤتمر الدولي (جدوى الأدب في عالم اليوم) في مدينة (باتنة الجزائرية). وتم قرار الفصل بموافقة رئيس الجمهورية الجزائرية (الشاذلي بن جديد) ووزير الأديان (بوعلام باقي)-بينما اعترض على القرار رئيس الوزراء (عبد الحميد ابراهيمي) كما قالت حرفيا (جريدة الشروق) الجزائرية بتاريخ (29 جوان 2004.)

أستاذ مشارك ، بجامعة تلمسان، الجزائر، :(ساهم في تأسيس معهد الثقافات الشعبية)-(1987-1991.)

)مؤسس)، ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة القدس المفتوحة، (م.ت.ف)، عمّان، (1991-1994.)

شارك في الثورة الفلسطينية المعاصرة (1964-1994)، وحمل السلاح دفاعاً عن المخيمات الفلسطينية، في لبنان، وشارك في (معركة كفرشوبا،)- (الجنوب اللبناني)، يناير 1976).كذلك شارك

في(معركة المتحف) في حصار بيروت 1982.. وهو قائد (معركة المطاحن) في جبهة جنوب بيروت في حزيران 1976 من أجل رفع الحصار عن مخيم تل الزعتر.)

رئيس القسم الثقافي لمجلة (فلسطين الثورة)، الناطقة بلسان (م.ت.ف)، بيروت، يناير 1974-1977.

مدير (مدرسة أبناء وبنات مخيم تل الزعتر)-بعد تهجيرهم إلى (الدامور)، لبنان، 1976.

عضو القيادة العسكرية للقوات الفلسطينية – اللبنانية، المشتركة، (بالإنتخاب) -(جبهة جنوب بيروت)، 1976.

رئيس المؤتمر التأسيسي لحركة فتح، في جمهورية بلغاريا(بالانتخاب) ، ديسمبر 1977.

مدير تحرير (جريدة المعركة) (بالإنتخاب) خلال حصار بيروت، 1982.

سكرتير تحرير (مجلة شؤون فلسطينية)، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، 1982-1983---عاش حصار بيروت وغادرها بتاريخ 1-9-1982 على ظهر السفينة اليونانية (شمس المتوسط) الى ميناء طرطوس السوري. ثم غادر سوريا الى (عمان -الأردن)لكن السلطات الأردنية أبعدته بقرار رسمي مع زوجته وطفله الى تونس بتاريخ 10-12-1982. وسحبت منه الجنسية الأردنية حيث عاش في تونس عاما ثم انتقل الى الجزائر وعاش فيها (8 سنوات)--وسمح له بدخول الأردن بتاريخ 18-7-1991 بعد عفو ملكي عام وأعيد له جواز سفره.

رئيس اللجان الفلسطينية للوحدة الوطنية، (بالإنتخاب)-الجزائر (1985-1987).

عميد كلية العلوم التربوية، (وكالة الغوث الدولية)، عمّان، 1994-1995.ثم فصل تعسفيا من عمله: حين قررت رئاسة الوكالة (الأونروا)في (فيينا- النمسا) إغلاق الكلية تحت ذريعة نقص الأموال وتحقق السلام (اتفاق أوسلو) لكن العميد المناصرة أعلن احتجاجا رسميا على قرار الوكالة وانتقد الفساد في إدارتها العليا مما أدى إلى اتخاذ الوكالة قرارها الشهير (التراجع عن قرار إغلاق الكلية مع فصل العميد). وخرجت تظاهرات شعبية واعتصامات أمام مبنى الوكالة بعمان تطالب بعودة العميد دون جدوى- -ولكن بعد خمسة أشهر من فصل (المناصرة) من عمله - فصل (التر توركمان) المفوض العام للأونروا الذي كان قد اتخذ قرار فصل المناصرة - فصل من عمله (بتهمة الفساد).

ساهم في تأسيس (كلية الاداب بجامعة فيلادلفيا) منذ 1995 مع صالح أبو اصبع وأحمد الكراعين وغيرهما - وقد عمل فيها: نائبا لعميد الكلية وعميدا بالوكالة عدة مرات.. وهو نائب رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر الدولي العلمي السنوي لكلية الاداب..-- ورئيس قسم العلوم الانسانية واللغات الأجنبية -ورئيس قسم اللغة العربية وادابها -..ورئيس تحرير مجلة (فيلادلفيا الثقافية) حتى عام 2012. وهو أستاذ النقد الأدبي والأدب المقارن وعلم العروض ونظرية الأدب ومادة الأجناس الأدبية ومادة تذوق النص الأدبي والثقافة الجمالية والحضارة الاسلامية والحضارة الأوروبية وأدب فلسطين والأردن -- كذلك كان (المناصرة) عضوا في مجلس مركز اللغات- و عضوا في مجلس الجامعة - وعضوا في مجلس البحث العلمي للجامعة عدة مرات.- وعضوا في مجلس الدراسات العليا بكلية

الاداب.- ورئيس اللجنة الثقافية بكلية الاداب (1995-2005)-- -16 -مستشار جريدة (الفينيق) 1996-2000) الصادرة عن غاليري الفينيق -عمان.

17--مستشار مجلة (كتابات معاصرة) التي تصدر في بيروت منذ1996-حتى اليوم --18. مستشار (مؤسسة السياب الثقافية) لندن--19 .عضو الجمعية العالمية للأدب المقارن منذ مؤتمر باريس عام 1985- 20 عضو مؤسس ونائب الأمين العام للرابطة العربية للأدب المقارن (بالإنتخاب)منذ 1983-1992-- (21)عضو مؤسس في جمعية الحنونة للفنون الشعبية -عمان-(22)- عضو الجمعية الأدبية المصرية (1964-1970) القاهرة --(23)- مراسل صحفي في القاهرة لمجلة (الأفق الجديد) في القدس (1964-1966) وجريدة (أخبار فلسطين) في قطاع غزة حتى عام 1967--- (24) -ومراسل صحفي في القاهرة لمجلة (فلسطين ملحق المحرر) في بيروت -1965-1966- - (25) ومراسل صحفي في القاهرة لمجلة (مواقف) اللبنانية و(الهدف) الفلسطينية 1969-1970-- (26)عضو الهيئة الإدارية للنادي السينمائي العربي (بيروت- 1976)--(27)-عضو الهيئة الاستشارية للجنة السينما في مؤسسة شومان عمان 1992-- .

1المجموعات الشعرية

يا عنب الخليل، القاهرة – بيروت، 1968.

الخروج من البحر الميت، بيروت، 1969.

مذكرات البحر الميت، بيروت، 1969.

قمر جَرَشْ كان حزيناً، بيروت، 1974.

بالأخضر كفّناه، بيروت، 1976.

جفرا، بيروت، 1981.

كنعانياذا، بيروت، 1981.

حيزية عاشقة من رذاذ الواحات -عمّان، 1990.

رعويّات كنعانية، قبرص، 1992.

لا أثق بطائر الوقواق،- رام الله، 2000.

لا سقف للسماء،- عمّان، 2009.

)باللغة الفرنسية): مختارات من شعره بعنوان، (رذاذ اللغة)،ترجمة: الدكتور محمد موهوب، وسعد الدين اليماني، دار سكامبيت، بوردو، فرنسا 1997.

)باللغة الفارسية): مختارات من شعره بعنوان (صبر أيوب)، ترجمة الدكتور موسى بيدج، طهران، 1996.

)باللغة الإنجليزية): مختارات من شعره، ترجمة: الدكتور عيسى بُلاّطة، منشورات مهرجان الشعر العالمي، روتردام، هولندا، 2003.

)باللغة الهولندية): مختارات من شعره، ترجمة كيس نايلاند، منشورات مهرجان الشعر العالمي، روتردام، هولندا، 2003.

الأعمال الشعرية (في مجلّدين)، الطبعة السادسة، دار مجدلاوي، عمّان، 2006، (1086 صفحة.(

يتوهج كنعان، (مختارات شعرية)، دار ورد، عمّان، 2008.

.18توقيعات عزالدين المناصرة : (إبيجرامات شعرية مختارة)--الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013.

الكتب النقدية والفكرية

--الفن التشكيلي الفلسطيني-منشورات فلسطين الثورة-بيروت -1975.

السينما الإسرائيلية في القرن العشرين، بيروت، 1975.

)جمع وتحقيق) – الأعمال الكاملة للشاعر الفلسطيني الشهيد – عبد الرحيم محمود، دمشق، 1988.

المثاقفة والنقد المقارن -،عمّان، 1988.

علم الشعريات، عمّان، 1992.

حارس النص الشعري، بيروت، 1993.

جفرا الشهيدة وجفرا التراث-، عمّان، 1993.

جمرة النص الشعري، عمّان، 1995.

شاعرية التاريخ والأمكنة – (حوارات مع الشاعر المناصرة)، بيروت – عمّان، 2000.

إشكالات قصيدة النثر، بيروت – رام الله 1998.

موسوعة الفن التشكيلي الفلسطيني في القرن العشرين (في مجلّدين)، عمّان، 2003.

لغات الفنون التشكيلية، عمّان، 2003.

الهويّات، والتعددية اللغوية، عمّان، 2004.

علم التناصّ والتلاصّ، عمّان، 2006.

السماء تغنّي: (قراءة في تاريخ الموسيقا العربية)، دار مجدلاوي، عمّان، 2008.

فلسطين الكنعانية: (قراءة جديدة في تاريخ فلسطين القديم)، منشورات جامعة فيلادلفيا، 2009.

قصة الثورة الفلسطينية في لبنان (1972-1982)، الدار الأهلية، عمّان، 2010.

تفكيك دولة الخوف، دار الراية للنشر والتوزيع: عمّان، 2011.

لا أستطيع النوم مع الأفعى،(حوارات مع الشاعر المناصرة)- دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، 2011.

الأجناس الأدبية -دار الراية للنشر والتوزيع: عمّان، 2011.

امرؤ القيس الكندي، دار الراية للنشر والتوزيع: عمّان، 2011.

أكبر من دولة فلسطينية أقل من دولة كنعانية -، دار الصايل للنشر والتوزيع، عمّان، 2012.

بالحبر الكنعاني نكتب لفلسطين - 1964-1996)، الصايل للنشر والتوزيع، عمّان، 2012.

نقد الشعر في القرن العشرين، الصايل للنشر والتوزيع، عمّان، 2012.

25.الكف الفلسطيني تناطح المخرز الأمريكي-- الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013.

المشاركة في (مراجعة وتحرير) كتب فكرية أكاديمية

العولمة والهوية – منشورات جامعة فيلادلفيا، عمّان، الأردن، 1998.

الحداثة وما بعد الحداثة- منشورات جامعة فيلادلفيا، 1999.

الحرية والإبداع- منشورات جامعة فيلادلفيا 2001.

4العرب والغرب – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2003.

الحوار مع الذات – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2004.

استشراف المستقبل – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2005.

ثقافة المقاومة، منشورات جامعة فيلادلفيا، 2006.

ثقافة الخوف، منشورات جامعة فيلادلفيا، 2007.

)مراجعة وتقديم): كتاب – السيميائية: الأصول، القواعد والتاريخ، ترجمة: الدكتور رشيد بن مالك، دار مجدلاوي، عمّان، 2008.

كتب نقدية عن تجربته الشعرية والنقدية

محمد بن أحمد، وآخرون: البنية الإيقاعية في شعر المناصرة، منشورات اتحاد كتاب فلسطين، رام الله، 1998.

عبد الله رضوان، (جمع وتحرير): امرؤ القيس الكنعاني- قراءات في شعر المناصرة، المؤسسة العربية، بيروت – عمّان، 1999.

ليديا وعد الله: التناصّ المعرفي في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، عمّان، 2005- (رسالة ماجستير)، جامعة قسنطينة، الجزائر.

د. فيصل القصيري: بنية القصيدة في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، 2005- (رسالة دكتوراه)، جامعة الموصل، العراق.

د. محمد صابر عبيد: حركية التعبير الشعري في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، 2005.

سامح حسن صادق: عز الدين المناصرة، وفنّه الشعري، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 2005- (رسالة ماجستير)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

زياد أبو لبن، (جمع وتحرير): غابة الألوان والأصوات في شعر المناصرة، دار اليازوري، عمّان، 2005.

د. محمد بودويك: شعر المناصرة: بنياته، إبدالاته، وبُعده الرعوي، دار مجدلاوي، 2006- (رسالة دكتوراه)، جامعة فاس، المغرب.

د. محمد عبيد الله، (جمع وتحرير): شعرية الجذور، قراءات في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، 2006.

صادق الخضور: التواصل بالتراث في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، عمّان، 2007- (رسالة ماجستير)، جامعة الخليل، فلسطين.

مي عبد الله عدس: أنثى القصيدة في شعر المناصرة (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، الأردن، أيار 2006، دار الكندي، إربد، الأردن، 2007.

عبّاس المناصرة: (أرشيفٌ أخضر لعزالدين المناصرة)، دار جرير، عمّان، 2008.

يوسف رزوقة(جمع وتقديم):(المناصرة) شاعر المكان الفلسطيني الأوّل، دار مجدلاوي، عمّان، 2008.

وليد بو عديلة: (شعرية الكنعنة: تجليات الأسطورة في شعر المناصرة)، (رسالة دكتوراه) جامعة عنّابة، الجزائر، دار مجدلاوي، 2009.

فتيحة كحلوش: بلاغة المكان في الشعر العربي الحديث: (سعدي يوسف، وعز الدين المناصرة)، (رسالة ماجستير)، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1997، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2008.

ساطي القطيش: الصورة الشعرية في شعر المناصرة، (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة، الأردن، ديسمبر 2006- (غير منشورة.)

فادي خطاطبة: الرموز التراثية في شعر المناصرة، (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، الأردن، 2007- (غير منشورة.)

ريتا حدّاد: الشهيد والاستشهاد في الشعر الفلسطيني الحديث: (عز الدين المناصرة، محمود درويش، وسميح القاسم)، الجامعة اللبنانية، بيروت، 2008 – (غير منشورة.)

سالم عبيد سلمان:أبو محيسن):(المناصرة، شاعراً: دراسة في المحتوى والفن)، دكتوراه، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 2008(غير منشورة.)

د. فريال غزول، (إشراف): الفلسطينيون، والأدب المقارن: (روحي الخالدي، إدوارد سعيد، عز الدين المناصرة، حسام الخطيب)، منشورات قصور الثقافة، مصر، 2000.

د. حسن عليان (تحرير وتقديم): (عزالدين المناصرة هوميروس العرب)، دار الراية للنشر والتوزيع، عمّان، 2011.

زايد الخوالدة: صورة المكان في شعر عزالدين المناصرة، دار الراية للنشر والتوزيع، عمّان، 2012.

حيدر السيد أحمد: شعر عزالدين المناصرة، دراسة فنية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة دمشق، 2011.

مريم السادات مير قادري: (المناصرة في النقد الأدبي الإيراني الحديث)- الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013-(رسالة ماجستير -إيران.)

إيمان بن أوذينة: قصيدة النثر العربية : المناصرة أنموذجا-دار الصايل للنشر والتوزيع -عمان 2013-(رسالة ماجستير -الجزائر.)

د. عباس عبد الحليم عباس:(جهود عزالدين المناصرة في مجال الأدب المقارن) -(الأكاديميون للنشر والتوزيع) عمان 2012.

زياد أبو لبن(جمع وتحرير): (الحداثة الشعرية عند المناصرة)- منشورات الصايل عمان 2013.

د. فتيحة كحلوش: (الشعرية الفلسطينية: (عزالدين المناصرة ومحمود درويش)- منشورات الصايل 2013.

أمل محمد حمد العمايرة: توظيف الموروث الشعبي في الشعر الأردني الحديث: (عرار -عزالدين المناصرة- حيدر محمود)منشورات الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013 -(رسالة ماجستير)جامعة مؤتة الكرك الأردن.

مشاركات شعرية في مهرجانات عربية وعالمية

--مهرجان فلسطين الشعري(مدير المهرجان)-بدعوة من نقابة المحامين المصريين -القاهرة 16 مارس اذار 1967.

-1مهرجان الشعر العربي، بدعوة من (مؤتمر اتّحاد كُتّاب فلسطين الثاني)، القاهرة، 1969.

-2ملتقى الشعر العربي الحديث الأوّل، بدعوة من (النادي الثقافي العربي)، بيروت، ديسمبر 1970.

-3مهرجان (المربد) الشعري الأوّل، العراق، 1971.

-4ملتقى الشعر العربي الثاني، بدعوة من (النادي الثقافي العربي)، بيروت، 1974.

-5مهرجان الشعر العالمي، بلاغويف غراد، بلغاريا، 1979.

-6مهرجان الشعر العالمي، بيلْغراد، يوغسلافيا، 1980.

-7مهرجان الشقيف الشعري، بيروت، 1981.

-8مهرجان الأيام الشعرية التونسية، يناير، 1983.

-9مهرجان قرطاج الدولي، صيف 1983.

-10مهرجان الشعر العربي، بدعوة من اتحاد الكتاب العرب، الجزائر، 1984.

-11مهرجان بسكرة الشعري، الجزائر، 1986.

-12ملتقى الأدب والثورة، سكيكدا، الجزائر، 1986.

-13ملتقى القصيدة الملتزمة، مدينة قالمة الجزائرية، 1987.

-14مهرجان (ذكرى معين بسيسو) الشعري، تونس، 1988.

-15مهرجان الشعر العربي، (بمناسبة تأسيس جمعية الجاحظية الثقافية)، الجزائر، 1989.

16-مهرجان الشعر العربي، أصيلة، المغرب، 1990.

17-مهرجان الشعر العربي، بدعوة من اتحاد الكتاب العرب، تونس، ديسمبر 1990.

18-مهرجان (فاس) الشعري، المغرب، 1991.

19-مهرجان الشعر العربي، (بدعوة من اتحاد الكتاب العرب)، عمّان، ديسمبر 1992.

20-مهرجان جرش الشعري، عمّان، 1993.

21-مهرجان تطاوين الشعري، تونس، 1996.

22-مهرجان الرباط الثقافي،المغرب، 1997.

23-مهرجان الربيع الفلسطيني، باريس، 1997.

24-مهرجان الثقافة الفلسطينية، مونتريال، كندا، 2000.

25-مهرجان شعراء البحر المتوسط الأوّل، الإسكندرية، 2003.

26-مهرجان الشعر العالمي، روتردام، هولندا، 2003.

27-مهرجان الشعر الإسباني، جامعة مدريد المستقلة، 2005.

28-مهرجان الزيتونة الدولي، سوسة، تونس، 2006.

29-ملتقى القاهرة الشعري الدولي الأول، 2007.

30-ملتقى القاهرة الشعري الدولي (الثاني)، القاهرة، 2009.

31-مهرجان سوق عكاظ الشعري، الطائف، السعودية، 2009.

32-مهرجان الشعر العالمي الأول، طهران، إيران، 2010.

33-مهرجان ملتقى النيلين الشعري الثاني، الخرطوم، السودان، 2012.

35.ملتقى القاهرة الشعري الدولي الثالث- 2013.

مقدمات وكلمات لمؤلفات عربية

1.صابر عبد الدايم (مصر): نبض قلبين، (مجموعة شعرية)، القاهرة، 1969.

2.توفيق زيّاد (فلسطين - 48): ديوانه، ط1، دار العودة، بيروت، آذار 1970.

3.نزيه القسوس (الأردن): يوميات حزيران (مجموعة شعرية)، عمّان، 1972.

4.راشد حسين (فلسطين - 48): أنا الأرض لا تحرميني المطر، (مجموعة شعرية)، بيروت، 1976.

5.ليلى فايد (لبنان): حوارات مع أطفال مخيّم تل الزعتر ، لبنان، (حوارات)، بيروت، 1977.

6.جواد الأسدي (العراق): مجموعة شعرية، صوفيا، 1980.

7.سلمان ناطور (فلسطين-48): أبو العبد في قلعة زئيف، (مجموعة قصصية)، بيروت، 1982.

8.أسعد الأسعد (فلسطين – الضفة الغربية): أنا وأنتِ، القدس والمطر (مجموعة شعرية)، رام الله، فلسطين، 1982.

9.محمد العوني (تونس): مملكة القرنفل (مجموعة شعرية)، تونس، 1984.

10.باسل طلّوزي (فلسطين): نشيد المرأة العابرة (مجموعة شعرية)، عمّان، 1991.

11.جميل أبو صبيح (فلسطين): الخيل، البحر والجسد، (مجموعة شعرية)، عمّان، 1993.

12.خليل السواحري (فلسطين): للحزن ذاكرة وللياسمين (نصوص) عمّان، 1993.

13.ضياء خضير (العراق): ثنائيات مقارنة (دراسات في الأدب المقارن)، عمّان، 1993.

14.عزيز السماوي (العراق): النهر الأعمى، (مجموعة شعرية باللهجة العراقية)، لندن، 1995.

15.عمر أبو الهيجاء (فلسطين): معاقل الضوء، عمّان، 1995.

16.كتاب (فخري قعوار: ثلاثون عاماً من الإبداع)، عمّان، 1996.

17.نزيه القسوس (الأردن): أغنيات للحب والوطن، (مجموعة شعرية) عمّان، 2000.

18.أحمد حازم (فلسطين): سياسون ومواقف (حوارات)، ألمانيا، 2000.

19.ضياء خضير (العراق): شعر الواقع وشعر الكلمات (دراسة نقدية)، دمشق، 2000.

20.محمد توفيق السهلي (فلسطين): موسوعة المصطلحات والتعبيرات الشعبية الفسطينية، عمّان، 2001.

21.صالح أبو أصبع (فلسطين): قصص بلون الحب (مجلد الأعمال القصصية)، عمّان، 2001.

22.فوّاز عيد (فلسطين): الأعمال الشعرية، عمّان، 2002.

23.رشيد بن مالك (الجزائر): السيمائية: الأصول، القواعد والتاريخ (ترجمة من الفرنسية)، الجزائر – عمّان، 2002 + 2008.

24.كتاب (خليل السواحري – قمر القدس الحزين)، عمّان، 2003.

25.جهاد الرنتيسي (فلسطين): سياسة الترانسفير الإسرائيلية، عمّان، 2003.

.26وهيب نديم وهبة (فلسطين - 48): كتاب الإنسان، (مجموعة شعرية)، عمّان، 2003.

.27هارون هاشم رشيد (فلسطين – قطاع غزة): إبحار بلا شطآن، (مذكرات)، عمّان، 2004.

.28أحمد أبو سليم (فلسطين): دم غريب (مجموعة شعرية)، عمّان، 2005.

.29هارون هاشم رشيد: الأعمال الشعرية، عمّان، 2006.

.30شاهر خضرة (سوريا): ديوان الأسماء، تونس، 2006.

.31هارون هاشم رشيد: أبو جلدي والعرنيط (أدب شعبي)، 2007.

.32صلاح أبو لاوي (فلسطين): الغيم يرسم سيرتي، (مجموعة شعرية)، عمّان، 2008.

.33محمد ديب (الجزائر): ألف مرحى لمتسولة (مسرحية)، ترجمة جروة علاوة وهبي، عمّان، 2007.

.34عبد الله مليطان (ليبيا): فلسطين في القلب (قصائد الشعراء الليبين عن مأساة ومقاومة الشعب الفلسطيني)، طرابلس، ليبيا، 2008.

.35عبد الرحيم محمود (فلسطين): الأعمال الكاملة (جمع وتحقيق وتقديم)، ط1، عام 1988، ط3، عمّان، عام 2009.

.36عبد الجليل الأزدي (المغرب): أسئلة المنهج في النقد العربي الحديث، المغرب، 2009.

.37وائل الفاعوري (الأردن): ماء الذهب (دراسة في علم الأنساب)، عمّان، 2012.

.38محمد سعيد مضية (فلسطين): هيكل الأبارتايد: أعمدة سرابية، سقوف نووية (دراسة)، رام الله، 2012.

.39المهدي عثمان (تونس): قصيدة النثر التونسية، (دراسة)، تونس، 2012.

.40خليل قنصل (الأردن): ديوان سالم القنصل (باللهجة الأردنية) عمّان، 2012.

.41روان السمان (سوريا): أحوال الياسمين -شعر -عمان 2013. 42.هارون هاشم رشيد: إبحار بلا شطأن -الجزء الثاني -عمان 2013. 43.هارون هاشم رشيد :حجارة السجيل -مجموعة شعلرية - عمان 2014.

جوائز، وأوسمة

.1جائزة (المركز الأول في الشعر)، في الجامعات المصرية، الجهة المانحة: رئاسة جامعة القاهرة، الجمهورية العربية المتحدة، 1968.

).2وسام القدس)، الجهة المانحة: اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، 1993.

).3جائزة غالب هلسا للإبداع الثقافي)، الجهة المانحة: رابطة الكتاب الأردنيين، عمّان، الأردن، 1994.

).4جائزة الدولة التقديرية، في الآداب، (حقل الشعر)، الجهة المانحة: وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، 1995.

).5جائزة سيف كنعان)، الجهة المانحة: حركة فتح الفلسطينية، 1998.

.6جائزة (التفوق الأكاديمي، والتميُّز في التدريس)، الجهة المانحة: جامعة فيلادلفيا، 2005.

.7جائزة (الباحث المتميز في العلوم الإنسانية)، عن كتابه: (علم التناصّ، والتلاصّ) الجهة المانحة: وزارة التعليم العالي الأردنية، 2008.

.8جائزة القدس، الجهة المانحة، الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، القاهرة - يوليو 2011.

مؤتمرات ومحاضرات

.1تحليل سردي لِـ: (قصة إنسان حقيقي) لبوريس بوليفوي، محاضرة في (المركز الثقافي السوفياتي)، بتاريخ (1972/6/20)، عمّان.

.2تحليل سردي لِـ: (قصة الأصدقاء الثلاثة) لمكسيم غوركي، محاضرة في (المركز الثقافي السوفياتي) بعمّان، بتاريخ (1972/9/26).

.3الواقعية الخضراء: (محاولة في نقد الواقعية الاشتراكية)، محاضرة في (المركز الثقافي السوفياتي) بعمّان، بتاريخ، (1972/11/28).

).4باللغة الإنجليزية)، محاضرة بعنوان: (الأدب والسينما)، بالاشتراك مع الكاتب الروسي قسطنطين سيمينوف، والمخرج السينمائي الكوبي سنتياغو الفاريز، في (مهرجان لايبزج السينمائي الدولي)، ألمانيا، 1974.

).5سينما الثورة الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في (مهرجان طشقند السينمائي الدولي)، أوزبكستان، (باللغة الإنجليزية)، 1976.

).6الفن التشكيلي الفلسطيني في النصف الأول من القرن العشرين)، محاضرة ألقيت في (براغ)، تشيكوسلوفاكيا، آذار 1977.

).7الموسيقا الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في (سراييفو)، البوسنة، يوغوسلافيا، 1977.

).8الثقافة الشعبية الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في صوفيا، بلغاريا، 1977.

).9الشعر الفلسطيني الحديث)، محاضرة ألقيت في بودابست، هنغاريا، 1977.

).10الرواية الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في بيلغراد، يوغوسلافيا، نيسان 1977.

).11الثقافة الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في سكوبيا، يوغوسلافيا، نيسان 1977.

).12صحافة الثورة الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في زاغرب، يوغوسلافيا، 1977.

).13زمن جمال عبد الناصر: ما له، وما عليه)، محاضرة ألقيت في (المركز الثقافي)، لحركة الناصريين المستقلين، (المرابطون)، بيروت، أيلول، 1978.

).14عشرات المحاضرات الثقافية)، ألقيت في (صوفيا، العاصمة البلغارية) في الفترة (1977-1981).

.15محاضرة في (مؤتمر التعريب)، جامعة قسنطينة، الجزائر، مارس 1983.

).16صورة اليهودي في الشعر الفلسطيني المعاصر)، في (المؤتمر الدولي الأول للأدب المقارن)، جامعة عنّابة، الجزائر، أيار (مايو)، 1983.

).17الشعر والحداثة)، محاضرة في (مهرجان قرطاج الدولي)، تونس، صيف 1983.

).18ولادة القصيدة: قراءة سايكولوجية)، جامعة قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 1983.

).19بيان الأدب المقارن: إشكالات الحدود)، محاضرة ألقيت في (المؤتمر الدولي الثاني للأدب المقارن)، جامعة عنّابة، الجزائر، جويليه، 1984.

).20جدلية الحبر والدم: مأساة واو العطف)، محاضرة في (ملتقى الأدب والثورة)، سكيكدا، الجزائر، أكتوبر 1984.

).21حضارة أريحا: نحن عربٌ كنعانيون)، محاضرة ألقيت في (برلين، ألمانيا)، 1984.

).22الثقافة الوطنية الفلسطينية: نصٌ مفتوح على العالم)، محاضرة ألقيت في (قاعة ليسنغ)، جامعة فرانكفورت، 1985.

).23المستشرقون، وفلسطين)، محاضرة ألقيت في (نادي الصحافة الدولي)، في مدينة (بون)، ألمانيا، 1985.

.24محاضرة بعنوان: (شعرية المقاومة)، في (المؤتمر الحادي عشر للجمعية العالمية للأدب المقارن)، جامعة الصوربون، باريس، 1985.

.25محاضرة بعنوان: (السينما، وإعادة إنتاج الواقع)، في (مؤتمر بانوراما السينما الدولي)، قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 1985.

.26محاضرة بعنوان: (النص الأدبي، والتاريخ) في (ملتقى التاريخ، قالمة، الجزائر، 1986/5/2).

.27محاضرة بعنوان: (أثر فوكنر في رواية نجمة لكاتب ياسين)، في مؤتمر الرواية الجزائرية، قسنطينة، الجزائر، 1986/5/3.

.28محاضرة بعنوان: (عبد الحميد بن باديس، وقضية فلسطين)، في ملتقى ابن باديس الأول، جامعة قسنطينة، 1986/5/3.

.29محاضرة بعنوان: (التلذّذ بالتبعية، والإحساس بالعالم) في المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن، جامعة دمشق، 1986/7/4.

.30محاضرة بعنوان: (التناصّ، والتلاصّ: منهجية جديدة للأدب المقارن)، في المؤتمر الثالث للرابطة العربية للأدب المقارن، جامعة مراكش، أكتوبر، 1989.

.31محاضرة بعنوان: (شعرية الأمكنة)، في المؤتمر التأسيسي لجمعية الجاحظية الثقافية، الجزائر العاصمة، 1989/11/20.

.32محاضرة بعنوان: (تحديث الحداثة: شاعرية النصوص، وشعرية الرغبات النقدية)، مهرجان أصيلة الثقافي، المغرب، 1990/8/5.

.33محاضرة بعنوان: (ذكرياتي مع تيسير سبول: دمٌ على رغيف الجنوبي)، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، أيار، 1992.

.34محاضرة بعنوان: (الشعر والإديولوجيات)، جامعة عمّان الأهلية، 1993/10/27.

.35محاضرة بعنوان: (مجلة الآداب البيروتية، 1953: التأسيس والحداثة)، في ملتقى تكريم مجلة الآداب، عمّان، 1994/7/30.

.36محاضرة بعنوان (معين بسيسو: مایاكوفسكي فلسطين)، مؤسسة شومان، عمّان، 1995.

.37محاضرة بعنوان: (ماهية الشعر، ومعنى الحداثة)، في مهرجان تطاوين، تونس، 1996/3/27.

.38محاضرة بعنوان: (إميل حبيبي بين أنصاره وخصومه)، غاليري الفينيق، عمّان، 1996/5/18.

.39محاضرة بعنوان: (التفاعل مع آداب العالم)، في مؤتمر التفاعل الثقافي، جامعة فيلادلفيا، 1996/5/20.

.40محاضرة بعنوان: (جدلية المكان والتاريخ في القصيدة)، مديرية ثقافة مدينة (مادبا)، الأردن، 1996/5/27.

.41محاضرة بعنوان: (حاييم وايزمان: كان يريد مراعي مؤاب، وسهول القمح في حوران)، جمعية يافا، عمّان، أكتوبر 1997.

.42محاضرة بعنوان: (جفرا الفلسطينية، وحيزية الجزائرية)، في مؤتمر (نساء ونصوص في الفضاء المغاربي)، قسم اللغة الفرنسية، جامعة قسنطينة، الجزائر، أيار (مايو)، 2000.

.43محاضرة بعنوان: (الثقافة الفلسطينية: من ثقافة المقاومة، إلى ثقافة أوسلو)، (باللغة الإنجليزية)، مونتريال، كندا، 2000.

.44محاضرة بعنوان: (الشاعر المستقل: خائفاً، ومخيفاً: المنع يُولِّد سحر المنع)، في (مؤتمر الحرية والإبداع)، جامعة فيلادلفيا، عمّان، 2001/5/15.

.45محاضرة بعنوان: (غسّان كنفاني: الهوية، والعالمية)، بدعوة من حزب الوحدة الشعبية الأردني، عمّان، 2002/7/10.

.46محاضرة بعنوان: (تقنيات السرد الشعري)، الأسبوع العلمي لكلية الآداب، جامعة فيلادلفيا، 2003/5/28.

.47محاضرة بعنوان: (المثقفون العرب والسلطة)، مجمع النقابات المهنية، عمّان، 2004/1/11.

.48محاضرة بعنوان: (التعددية اللغوية: إشكالات وحلول)، في ملتقى (اللغة العربية والهوية القومية)، جامعة (البترا)، عمّان، 2005/3/23.

.49محاضرة بعنوان: (الحداثة وما بعد الحداثة)، المدارس العربية النموذجية، عمّان، 2006/4/29.

.50محاضرة بعنوان: (جاذبية التلقي)، في مهرجان الزيتونة الدولي، سوسة، القلعة الكبرى، تونس، 2006/12/12.

.51محاضرة بعنوان: (العالمية تبدأ من شعر الهوية، وليس العكس)، في ملتقى القاهرة الشعري الدولي الأول، (9-2007/12/14).

.52محاضرة بعنوان: (القدس الكنعانية)، ندوة القدس، جامعة فيلادلفيا، 2009/10/20.

.53محاضرة بعنوان: (جدلية الفصيح واللهجي في الخطاب الشعري)، في الأسبوع العلمي لكلية الآداب، جامعة فيلادلفيا، نيسان، 2010.

.54محاضرة بعنوان: (إشكالات الشاعر ناقداً، والناقد شاعراً)، في مؤتمر النقد الأدبي الثاني، القاهرة، 15-2010/6/17.

.55محاضرة بعنوان: (مَنْ قتل الفنان العالمي الفلسطيني ناجي العلي، ومَنْ حرّض على القتل!!)، منتدى الفكر الديمقراطي، عمّان، 2010/7/22.

عن موسوعة ويكيبيديا من إقتراح الشاعرعزالدين المناصرة

الفهرست

المجموعة الأولى:

(يا عنب الخليل) – 1968:

1. قِفا ... نبكِ 7
2. في الرد على الأحبة 13
3. هايكو – تانكا 16
4. زرقاء اليمامة 17
5. وداع غرناطة 20
6. جفرا في سهل مَجِدُّو 23
7. غَزَلٌ إلى نخلة الملح 28
8. غزال زراعي 32
9. توقيعات 35
10. يا عنب الخليل 39
11. الأفعى 45
12. البابُ إذا هبَّتْ منه الريح 46
13. المقهى الرمادي 47
14. بين الصفا والمروة 51
15. ذَهَبَ الذين أحبّهم 53
16. أغنيات كنعانية 55
17. تكاذيبُ الأعراب 61
18. توقيعات مرئية 63
19. ناطوران 65
20. يا بعيدا 68
21. تحذيرات 70
22. وكان الصيف موعدنا 73
23. كنيسة القيامة 75
24. فروتا طائرٌ أخضر 78
25. الرحيل إلى حيث ألقتْ 82
26. قراءة أوّلية لطريق العين 84
27. خيانة 89
28. ملاحظات قبل الرحيل 90
29. أسوار 93
30. مقهى ريش 95
31. مطار قلنديا 98
32. خان الخليلي 100

33. عاصفة هندية حمراء 104

المجموعة الثانية:

(الخروج من البحر الميت) - 1969

1. قاع العالم 109
2. تأشيرة خروج 113
3. الخروج من البحر الميت 118
4. توقيعات 131
5. أضاعوني 138
6. برقيات دموية 142
7. مصطفى البدوي 143
8. مواصلات إلى جسد الأرض 147
9. محاورات الباب العالي 149
10. البلاد ... طلبتْ أهلها 154
11. دليلة 157
12. جنازة مقهى 160
13. هزج الليل 163
14. الأرض تندهنا 165
15. إذا تكسّرت سيوفهم 168
16. يذوب الثلج 170
17. طريق الشام 171
18. لسببٍ عاطفي إغريقي 175

المجموعة الثالثة:

(مذكرات البحر الميت) – 1969

1. مذكرات البحر الميّت 185
2. لي حارةٌ في القاهرة 195
3. مبادئ تترجرج كزماننا 200

4. مريم 202
5. خطبة أعالي الليل 203
6. وهل بقيت في المدينة، حدائق، أيها السيّد؟!! 215
7. غافلتكِ ... وشربتُ كأس الخليل!! 222
8. لا تغازلوا الأشجار، حتى نعود 229
9. نشيد الكنعانيات 240
10. الأرجوانيَّة 250
11. سجلّات البحر الميّت 252
12. رذاذ اللُّغة 268
13. فراشات متوحشة 273
14. أعالي كنعانيا 281

المجموعة الرابعة:

(قمر جرش كان حزيناً)- 1974

1. كم تكون المسافة؟!! 289
2. قمر جرش كان حزيناً 292
3. الحب لونه أخضر 297
4. رسائل متبادلة بيني وبين الموت 302
5. طريق البنات 305
6. أبو محجن الثقفي أثناء تجواله 307
7. توقيعات مجروحة إلى السيدة ميجنا 310
8. دادا ترقص على ضفة النهر 316
9. توقيعات في حفل التدشين 320
10. كنعان صابر لن يستنكر 322
11. وحيداً ذات مساء 328
12. تُقبل التعازي في أي منفى 330
13. القبائل 333
14. لا يؤمن جانبه 340
15. قولوا لمقبرة الشهداء ... ألا يكفيك!! 342

المجموعة الخامسة:

(بالأخضر كفّناه)- 1976

1. دموع الكنعانيات 347
2. نقوش الأنباط 351
3. إن كنتَ تُصدقني، كانَ بهِ 358

4. بالأخضر كفنّاه 361
5. سراج العشاق 365
6. ظلّ يركض حتى الرصاصة 367
7. يا أخضر ... إنهم يتربصون بك 373
8. مجرد وصف 375
9. أرى 380
10. سأعاتبك كثيراً يا أمي 382
11. راهب العزلة 385
12. أماكن 392
13. لن يفهمني أحدٌ غير الزيتون 398
14. صفصاف الدير 402
15. امرؤ القيس، يصل فجأةً إلى قانا الجليل 404
16. ألا يا هلا يا هلا بحبيبي 409

المجموعة السادسة:

(جـفـــرا)- 1981

1. جفرا أمّي، إنْ غابتْ أمّي 415
2. جفرا لا تؤاخذينا 421
3. بين (بودا) و (بستْ) 428
4. آ ...وي ... هـا 430
5. كيف رقصت أم علي النصراوية 434
6. لا تدفنيني هنا 445
7. الطالع من وادي التفاح الأشقر 447
8. جفرا، دثّريني، لأنام 448
9. الحرب والسلام 453
10. في مدينة، تدعى سنتياجو 454
11. حنينٌ يفلق البحر 457
12. وصيّة 459

المجموعة السابعة:

(كـنـعـانـيـاذا)- 1983

1. عيد الشعير 463
2. رعدية البُندق 466
3. غزال أبيض 470
4. حجر مؤاب 472
5. عيد الكروم 475
6. جاك بريفير الأول 478
7. مريام الشمالية 481

8. فخاخ لاصطياد الوعل 483
9. تشمع كبد إيكار 487
10. في حفل عائلي بهيج 489
11. ضع نبيذاً في الجرار 491
12. وسقطت - سهواً - في محبّتكم 494
13. صخور آندروميدا 497
14. غيمة ساحلية 501
15. أوَّل الكلام 503
16. سأخبركَ غداً إن استطعتْ 506
17. قداستُها 509
18. سراويل كنعانيا 511
19. خُذ جرعة لليقظة 515
20. بدو بحريون 518
21. يمامة يا يمامة 521
22. على سبيل المثال 523
23. فاتناتٌ... حتى الفتنة 524
24. الجاشنكير 526
25. أبو النحل النباطي 529
26. أزرق يا أزرق يا أزرق!!! 530
27. تاريخ الزجاجات 532
28. انشقاقات الغيتو 534
29. جنازة الإيقاع 537
30. لا يذهبون ولا يجيئون 540
31. حجر الفلاسفة 542
32. الناصري 544

المجموعة الثامنة:

لاأ... حيزيَّة - 1990

1. مطر حامض 549
2. نص الوحشة 557
3. يتوهَّج كنعان 564
4. لاأ ... فاطمة 579
5. لاأ حيزيّة ... (عاشقة من رذاذ الواحات) 582
6. روسيكادا ... قبل المطر روسيكادا ... بعد المطر 593
7. مدينة تدور حول نفسها 606
8. المُرجئة والمؤقت 615
9. مُناكَفة البحر 618
10. نرجس 619
11. مكتب 620
12. زيارة 621

13. كريستال 623
14. اغتيال 624
15. حسّونة 626
16. جذع مشترك 628
17. جنازة البحر الميّت 631
18. مَرْيَمات بيت لحم 632
19. فندق 635
20. مطرُ الخناجر والحقولْ 637
21. مِقْلاع 638
22. حجر كنعاني 639
23. يريدونكمْ 640
24. لَهُم ... ولنا 641
25.حصار قرطاج 642

المجموعة التاسعة:

(رعويات كنعانية)- 1992

1. نصائح 655
2. قصيدة جهوية 658
3. دخان الأقاويل 661
4. الحبر والقصبة 663
5. غابة قلبي 665
6. البحر المُتَدارِكْ 669
7. إلى البحر خذها 672
8. هاجمتني الضباع 675
9. وقال رحمه الله ... في وصف البحر الميت 678
10. دار عمتي جليلة 681
11. في كريت حيث أهلي 683
12. عمتي آمنة 685
13. نرجسة 688
14. تشكيلات رعديّة 690
15. عاصفة من فلفل أكحل 692
16. مفاوضات 699
17. وجهة نظر 701
18. احتمالات 703
19. وسواس أبيض 705
20. رخويات طنجة 707
21. أحد يدقّ الباب 715
22. قبر في لندن 717
23. ترتيبات 724

المجموعة العاشرة:

(لا أثق بطائر الوقواق)- 2000

1. قصيدةٌ لا قناديل فيها ولا أسئلة 729
2. اليمامُ الذي غرَّبا 736
3. كلبةُ هذه السيِّدة !!! 739
4. موشّحُ سقفِ السيل 741
5. منامات الليلة القادمة 745
6. تعلَّمْ حكمة النسيان 746
7. لا أثقُ بطائر الوقواق 749
8. شطَّ ريقي عليها 757
9. ليلة الافتتاح 760
10. ما للقصيدة لا تُطاوعني !! 763
11. سوالفُ الوثنيّ 767
12. هكذا، هكذا، يا عزيزي 772
13. بعد البحيرة ... مطعم متوحّش 774
14. بأغنيتي أسحر العناقيد 777
15. حلزونٌ أنيق 780
16. ضفدع الجاليري 782
17. عاصفة عصافير تلمْسانيَّة 784
18. مثل قدّيس 786
19. صباحٌ أصفر يليه ثلج 788
20. طفولة هذا السياج 790
21. توقيعات 790
22. شكوى أمام دالية الأرجوان 800
23. قصيدي زعْلاني 807
24. مكاناً أكنعِسُ فيه 818

المجموعة الحادية عشرة:

(لا سقف للسماء)- 2009

1. البنات، البنات، البنات 825
2. وجهك مألوف لدي 832
3. طريقُك خضراء 835
4. شروط التهدئة 842
5. دي ... يا حصاني ... دي 844
6. القدس عاصمة السماء... القدس عاصمة الجذور 848
7. الجندي، الذي أصيب بالحُمّى 853
8.سماحة السيّد الجنوب 855
9. قراءة في كفّ فاطمة 859
10. أشجار بَتولا 862
11. دَرَج الجامعة 866

12. صنوبرة 869
13.مقصوفة الرقبة 871
14. وقال رحمه الله، وهو في السبعين، يرثي حصانه 873
15.موشَّح الانصراف 876

مطرٌ حامض

الأغاني التي عذّبتْني هناكْ
عذّبتني هنا
النساءُ الجميلاتُ ... والأوفُ، والميجنا
وابتهاجي دماً واخضراراً وبحراً،
يصبُّ غِوىً في هواكْ.
الأغاني،
وما بَعْدَ هومير،
صوتي أنا.
يا حفيفَ الصنوبر يسمع خطْوي،
على تلّة الشهداءْ
ما الذي يزعج الشعراءْ
يا دمَ المُنحنى
الأغاني التي عذّبتني هناكْ
عذّبتني هنا
الأغاني وما بعد هومير ... صوتي أنا.
هل أظلُّ أقابل حيفا
على صَفَحات الجرائدِ،
فوق السحاب، وتحت السحابْ
غارقاً في محبّة جفرا ومريم، والشعراء الغِضابْ

أستطيع الذي ...
عندما أشتهي أو أريدْ
هل يُضاف لذلكَ سهلٌ،
يقابلني في البريدْ
كزجاج الخليل المُلَوّن بالأخضر العِنَبيِّ،
على الرسم: معركة وحرابْ:
غزالٌ على السفح،
رمَّانة وحدها،
مثل قلبي الوحيدْ
وتفاحة تَتَمدَّدُ في آخر السطر،
أفعى،
ووحشٌ غريبٌ يطارد وَعْلاً،
نشيدٌ قديمٌ على طوبةٍ
من مقالع مَرْمَرنا القرويِّ،
ولم أستطع أن أفكَّ رموز النشيدْ.
إذا كنتَ تعني حجارة كنعانَ في المرج،
كيف ستكتبُ شعراً، وتلقيهِ في البرلمانْ
إذا كان من قريتي الجبليةِ،
من سفحها الأرجوانْ
وكيف ستلعب وحدك، ألعوبةَ الأقحوانْ:
تمزّقُ أوراقها وتقولُ: رأتني
ولم تَرَني
ورأتني
ولم ترني سارحاً في غصون الورودْ.
إذا كنت لا تعشق الحجر البابليَّ،
فكيف تقيمُ على القبر شاهدةً للشهيدْ.
هل أظلُّ أقابلُ حيفا التي في النوى ...
بسلال الوعود.

دمي مونةُ الأبجديَّةِ
وزَّعتُها في فضاء المُدُنْ.
وأعطيتُها شَفْرة الأسئلة
انظروا للشقوق التي في جبين الوطنْ
انظروا كل هذا الرحيل المؤقتِ، والعودة الآجلة
وهذي البنايات والجامعات وهذي القصورْ
عظامي أساساتُها والجذورْ
كل هذي المنافي لنا.
انظري، انظري النار والغارَ والزمهريرْ
المحلاَّتُ: صورتُها في الغديرْ
إنَّ هذا الزجاج، الزجاجْ:
Made in Hebron.
إنَّ هذا الحرير الحريرْ:
Made in Haifa.

إنَّ هذا البكاء الأسيرْ
يشبه الميجنا
الأغاني التي عذَّبتني هناكْ
عذَّبتني هنا
الأغاني ... وما بعد هومير
صوتي ... أنا.

مرّةً ... والخليلُ على موعد في القرى الآهلة
رشَقَتْني على الفُفِّ زخَّةَ وردٍ، فقلتُ: مَطَرْ
ورآني الحصانْ
لا أكلّمُهُ عن جراحاتهِ المورقة
قالت الغابلة الغافلة:
هل سنشرب كأساً بصحة هذا المنامْ
مطر المهرجانْ
غافلٌ في المساءِ
وليس بمُسْتَبْعَد أن يفيضَ الهوانْ
إذا لم يكن في يدي صولجانْ.
نقطة نقطة يتوهج عشب الكلامْ
من دمٍ في عيون الغريبِ،
غفا في الضجرْ.
ساحة تتثاءبُ في آخر الليل،
قبل هبوط الضبابْ
وقومٌ يُتَعْتعهمْ سحرُ هذا الشرابْ
كل هذا الكلامْ
وأنا غارقٌ في المطر
حين تبلغُ أنت رؤوس الجبال،
أكونُ أنا قد لمستُ صهيل القِبابِ،
وأمسكتُ بالريح،
سُقْتُ الغيوم، قطيعاً من الثلج،
أنطقتُ هذا الحجر.
وأنا ساهمٌ كالفراق الأكيدْ
مثل سلسالها الذهبيّ الذي ليلة البرتقالْ
لم أجد مثله، حين حاصرني الوحلُ
في المنحدرْ
كفضاء الرموز على صدر هذا المقالْ
كبكاء الرُعودْ
في حناجرهمْ خَنَقَتْهُ الظلالْ
بعد أن وزَّعتنا طيور الحديدْ
وحُرمنا السؤالْ
عن الورد والضوء والصوت والدولة المقبلة:
حُدودي هي النهرُ والبحرُ والأرجوانْ
كما كان يرسُمها في النصوصْ
جُدودي، قُبيلَ مجيء اللصوصْ

وقبل زمان الأسى، والجُحودْ.

- مرّةً كنتُ أغفو على جَبَلٍ مُشرفٍ،
ويطلُّ على بحر ملح ... وكان السببْ
أنني اشتقتُ أن أتَعَفْرَتَ، أو
أحتوي نجمةً في السماءْ
تحت إبطي، وأمشي بها مثل بحر الخَبَبْ
ثمَّ ألوي جديلتها في خَدَرْ
ثمّ أغوي الغجرْ
أنْ يدقوا طبول مواقدهمْ،
قرب نهر التَعَبْ
وأنادي النواطير، ثمَّ العصافير،
ثمَّ الرذاذ الذي يتشعبطُ في ذيل زيتونةٍ،
كي يكونَ دليلي إلى مخبأٍ من ذَهَبْ
ثمَّ أصرخ في قمةٍ: أنت بحرٌ يموتْ
أنت بحرٌ بلا دولةٍ أو نشيدْ.
- مرّةً في الخليلْ
الخليلُ التي دمعها طافحٌ في عروق الجليلْ
الخليلُ التي تلمح المتوسط عند امتداد الحدادْ
كيف تغرق في الملح حتى السوادْ
الخليلُ التي لا يشابهها أحدٌ في الأسى
غير قلبي وهذا الرحيل الطويلْ.
مرَّةً ... غيَّمتْ فامتطيتُ جوادي
وما ردّني غير باب الخليل.
كنتُ أعرف أنَّ الكروم، لمن غازل الشهداءْ
لمن ناغش الفأس والأصدقاءْ
كيف في مفرق الدربِ،
قالوا: علينا اقتسام الكَلامْ
واقتسام دم الانقسامْ
تنازلتُ عن حصّتي وحرصتُ على حصّتي
في الوصولْ.
إنني قابلٌ أن تُحكِّمَ جرح العنبْ
قابلٌ، فلماذا إذنْ يكثر الأعداءْ:
فاعِلُنْ وفعولنْ وفعْلُنْ ومُسْتَفْعِلُنْ
والزحافاتِ لا تُحصِها، رغم أنف الخليل.

قال أجدادنا الأوّلونْ:
يا مروج الأقاحي،
ويا شجر العنفوان اللذيذْ
زرعنا، زرعنا، زرعنا،
وهمْ دائماً دائماً يقطفونَ النبيذْ
في جرار النوى والتَعَبْ:
- مطرٌ حامضٌ سوف يغسِلُنا باللهبْ

مطرٌ حامضٌ في السهوبْ
مطرٌ حامضٌ في القلوبْ
مطرٌ حامضٌ سوف تشرب منهُ الوعولْ
مطرٌ حامضٌ في السيولْ
مطرٌ حامضٌ في صهيل الخيولْ
مطرٌ حامضٌ في الدموعْ
مطرٌ حامضٌ في العيونْ
مطرٌ حامضٌ في نواة الحَجرْ
مطرٌ حامضٌ في المطر
- بعد ذلك تأتي الأناشيدُ، والتُربةُ الصالحة:
هل تصير المسافاتُ ما بيننا مالحة
أم تُرى تتمددُ جغرافيا الفُرقة الرابحة
أم تكون لنا دولةٌ، عَلَمٌ ونشيدْ.

موغلٌ موغلٌ موغلٌ
في شعاب المُنى
أتدَّفأ بالأوف والميجنا.
شجر البحر، ملحٌ أجاجْ
أيها الأهلُ، إنَّ هواكمْ سِراجْ
ما اختلفنا على الدرب نحو الخليلِ
فهل خُلْفُنا في اقتسام الخراج!!!.
الأغاني التي عذّبتني هناكْ
عذّبتني هنا
والأغاني، وما بعد هومير، صوتي ... أنا.

نصُّ الوحشة

سَأُرَتّبُ عاداتي في هذا البرد المُوحشْ
وتكونُ الصحراء ملاذاً،

حين عواصمُهُمْ تلقاكَ،
بوجهٍ وسْواسٍ خنَّاسْ.
مع
هذا
فهي
عليكَ
ستبكي
في الأعراسْ.
ثلجٌ في الأوردةِ، وثلجٌ في الأفئدةِ، وثلجٌ في الموقدةِ،
وثلجٌ في دائرةِ جوازاتِ السفر البُنِّيّةِ،
ثلجٌ في الأرقام الباردةِ، وثلجٌ في الثقةِ،
وثلجٌ في الأحداقْ.
نار واحدةٌ في اللغةِ، ونار واحدةٌ في زَبَد الأشداقْ
نار الفحم الحجريّ الموشومْ
وتقول: البحر ... أم الصحراءْ:
أتنفّسُ مثل الصحراءْ
وأعُبُّ الرمل الخانق في بحر الرومْ
كيف اقتلعوا عائلة الليمونْ
دفنوها في هذا المعتقل الرمليِّ
بعيداً عن دفء الزيتونْ
تأكل صحراء
تشرب صحراء
تتنفّسُ صحراء
الأفق رمادٌ يعلو خارطةً باردةً فوق الجدرانْ
من جاء بكم أهلي
من بعد سراب مُدهشْ
لبرودة هذا البرد العريانْ
صحراءٌ تتنفّسُ في هذا الثلج الموحشْ
يا ... الله
يا ... الله
كم هو موحش!!!
- سأرتّبُ عاداتي
وفْقَ تقاليد المنفى
لكنْ ... سأطعِّمُ أطفالي بأغاني الجفرا وظريف الطولْ
حتى لا يضبطني مشعلُ منكسراً، محنيّ الرأسْ
في هذا المنفى المشلولْ
سأعلِّمُ نفسي قبل الفجر،
مواجهة اليوم التالي
أتذكر من بين الأشجار، الصبَّارْ
أزرعُهُ في كفّي
كي أمنح هذا الكرمل، لقمته المغموسة بالهَمْ
أحتمل الوحشة في عزلة روحي
في قلب ضجيج الناسْ

أحتمل الكلماتِ القارصة، وأحتملُ التلميحاتْ
يا شجر الأخوين المنتشرَ
على أطراف الساحاتِ، وفي القاعاتْ
أحتملُ مرارة هذا الكاسْ
حتى لا تتلطخ كفّي بدم الأخَوَيْنْ
وأنا منهمْ، مهما أبعدني الحُرَّاسْ.
ولهذا
سأرتِّبُ عاداتي
في هذا المنفى الموحشْ
يا ... الله
كم هو موحش!!!
* * *
حين الليل يفاجئني ... بصديق آبْ
أعرفُ من هذا المذياع الكذّابْ
أتلوّى
فيَسيلُ الدمع الأحمر فوق العنّاب
أو من يُدريني
بعد ثلاثين غيابْ
إن كان أبي
مازال يُقلّم أغصان الغابْ
ويداري لحيته البيضاءَ،
عساكرهمْ ترتابْ
أو ... أمّي
سترش الملح على الأعتابْ
وتنادي البحر الميّت: يا بحر الموتْ
ملحك مسكون بفراق الأحبابْ.
أهرع خلف البحر المجنون الأطوار
أسأله، يهرب مني، البحر المنسحبُ
كجيشٍ مُنهزمٍ، يبقى الزبد الأبيض،
تبقى الأحجار.
سأظلُّ أشبّهكِ بداليةٍ خلعوها،
غرقت في الماءْ
في صدر طفولتها حفظت أشعاراً وروايات
عن رملٍ وسيوفٍ وخيول وصهيلْ
وشهيقكِ في الأفق رحيلٌ ورحيلٌ ورحيلْ
ودموعي شمس باردةٌ ورمال تغلي
وأنا في هذا الرمل أفتش عن أهلي
يا أبيضُ يا متوسطُ يا جدّي كنعانْ
لستَ حزيناً مثلي
لست حزيناً مثلي.
يندلقُ البحر على الصحراءْ
يسترحم أقدامي
ينهار على كتفي وينامْ

يستدرجُ في الليل ضحايا الليلْ
بلهاثٍ وفحيح أخّاذٍ، وبعشب نيليٍّ رخوٍ
وكلامْ
ظلَّ يداعبني: سمحُ الوجهِ، غليظُ القلبِ،
رؤوفٌ ورحيمٌ وسلامْ
فتّان، قدّوسٌ،
خدّاعٌ ... يغويك بفتنتهِ ... وأنيقُ الهندامْ
اللون الأزرقُ
إن شاءت حيتان القرشْ
واللون الأسودُ في النعشْ
مثل الزلزال الأشقر في بلدٍ تدعى (الأصنامْ).
تَرْغَلْتُ صباحاً، كان ندى الأقواسِ على أشجار التينْ
كان النورسُ يرتشفُ الغيماتْ
الدوريُّ التقط الدودة، وارتفع على الأشجارْ
كانت شمس الثامنةِ تمصُّ الأسحارْ
مذهولاً كالعادة كنتُ بأبراج الحظّ، وبالعُلّيق وبالشربينْ
حين ضبطتُ البحر يغازل دَلَع الموجاتْ
يتماحك معها كالعاشق في صدر طفولتهِ،
يستدرجها ويناغيها، وفق الإيقاع التالي:
أيَّتُها البيضاء
أيَّتُها البيضاء
مثقلة أنت لماذا بهمومٍ وحديد وحطامْ
النخلة قالت للبحر الأبيض:
أنت حليبٌ في ثدي حبيبي وأنا
قهوته المطحونة
قال البحر الأبيضُ للنخلة: يا مجنونة
في سهلٍ أم مرجٍ نتقابلُ، كي ننجب قمحاً وغلالْ
ولتكن الحنطةُ لوناً مشتركاً، وليكن الموّالْ
مجروحاً كأغاني الصيَّادين، ومبحوحاً كنشيد القوَّالْ
النخلة قالت للبحر الأبيض:
دالية في قلبك بين الأمواجْ
قال البحر الأبيض للنخلةِ:
الكرمل في ضِلْعِكِ زيتٌ وسراجْ
قال الراوي:
كان البلّوط، السرّيس، الطيّون، وأشجار السنط،
وحبَّات الرمَّانْ
في زمن الأجداد الموغل في الأرحامْ
قد نَصبَتْ فرحاً في سفح الجبل العالي:
ولدتْ دالية الكرمل في تربة كنعانْ.
بحرٌ من صدأ الصخر، حصار السرخس، ملح الأيامْ
- قال الكرملُ: نعبثُ بالصَدَف المرجاني السابحْ
نضحك من موج يأتي مجنوناً فوق حصان الزبد الجامحْ
وسحابة صيفٍ سوداء وكاذبة: لن تمطرْ

هل نتراهن قالتْ جفرا: لن تمطرْ
قال الكرملُ: تمطرْ
قلتُ: ستمطر، أو قد لا تمطرْ
طبعاً كنتُ أنا الرابحْ.
كان الكرمل مشدوهاً بقناديل البحرْ
تلبس طرحتها البيضاءْ
قالت جفرا: هذا البحر المسكون بلوعتنا
سهلٌ يعطيك وضوحاً وغموضاً: كم أكل البحرُ
وكم شرب البحرُ دماً ... مصَّاص دماء.
* * *
فوق سطوح القرميدْ
بضعُ حماماتٍ تائهة في رمل الماءْ
تتنفسُ ملحاً محروقاً تتنفسُ صحراءْ
في هذا المنفى الموحش
يا ... الله
كم هو موحشْ.

يتوهّج كنعان

- جَهِّز جوادك للرعي في مرْج ذاكرة الغيم قبل المساءْ

- أحاولُ أن أمسكَ البحر من خصره القرمزيِّ،
أراهُ كذلكَ،
لكنَّه يشتهي أن يكون ربيعاً،
لكي يُعجبَ الآخرينْ.
بطيءٌ بريدك يا وطني، والرسائلُ لا تصلُ العاشقينْ.
وكانت تحومُ النوارسُ،
تملؤني غبطةً ... والنجومْ
مُسافرةٌ قرب شمس الأصيلْ
أحاولُ يا فرَساً حجريّاً على التلّة القرمزيّةِ،
كالبحر، مريمُ إفريقيا في الفضاءِ،
تَمُدُّ ذراعاً لوهرانَ،
ثَمَّ ... وراءكِ يختبئون، لكي لا يَرَوْا ما وراء الطُلولْ
ومريمُ إفريقيا ... لم تطابقْ بهاءَ الأصول.
كذلك قيل: انظروا الماءَ،
قيل كذلك: نِدٌّ لروما بقيتِ، أما زلتِ يا مُهْرةً
تركضين، يُتابعُ جَرْيَكِ هذا الذُهولْ.
أحاولُ،
كان المدى شجراً،
وشُجيراتُ عوسج هذا المدى،
عِشْرقُ البحر، لونُ السلامْ
فجهِّزْ جوادكَ للرعي في مرج ذاكرة الغيم،
حيث يقيمون أندلساً في الكلام.
النوارسُ تزعقُ مثل رضيع،

سَيُعلنُ رغبته في حليب الصباح.
تُقاسِمُنا زاد رحلتنا بالصراخ، ولم تستطعْ
الدخانُ يقيمُ جبالاً من الحلمِ، يرحل غرباً
فيطرده البحرُ،
عطرُ الطوابين بين شقوق المدارْ.
أحاول أن أرسم البحر، لكنَّهُ
كنساء الينابيعِ، يبدو صديقاً
ويهربُ من بين كفيَّ مثل حقول القطارْ.
وأركضُ: أنظرْ حِجاجاً من الصخر،
يأوي الحمام إليهِ من البحر والأفق
والتينة المقدسيَّةِ:
بلُّورُ سيقانها يصل المتوسّط،
أما الشُروش، فأعصابُ جدّي
ويهربُ منّي الكلامْ
إذا ما اصطدمتُ بتينةِ قلبي
عليها السلامْ.
هنالكَ أيضاً ستبقى الحجارةُ شاهدةً
أنّها أصبحتْ مطعماً للبلاغةِ:
مقهىً على الأبيض المتوسّطِ، دون نساءٍ،
ودون سماءٍ، ودون ارتجافٍ،
ودون نراجيلَ أو زَنْجَبيلْ.
- سنخترعُ البحر، ثمَّ نَرُشُّ البهار عليهِ،
ونجلبُ من جبل الشام أقمار غوطتها،
ومن القدس صخرتها،
من ضلوعك بيروت، رَوْشتكِ القرمزيَّةِ،
نشوي على الفحمِ،
فوق التلال المحيطةِ،
قلْبَكَ يا بحرُ،
أحجاركَ المرمريَّة، ننشُرها فوق حَبْل النهارْ.
- وداعاً نقول لعكَّا ويضطرب القلبُ
في قلعة البحر،
دون نقوشٍ ولا دولةٍ، والنوارسُ فوق الفناءْ
الفناءُ الذي صار مأوى قراصنة البَرِّ،
في غُرَفٍ، شلَّ هذا الهواءُ،
تباريحها وأساها، ولم يبق غير السجونْ
بطيءٌ،
بطيءٌ بريدُكَ يا وطني ... والرسائلُ لا تصل العاشقينْ.

* * *

جَهِّزْ جوادَكَ للرَعي في مرج ذاكرة الغيم قبل المساء.
- أحاولُ: راهنتُ أربعةً: كان وجه أبي
في مقالع مرمر قرْيتنا، تَعِباً،
حين غنّى مواويلَ ذاك المغنّي العراقيِّ،
قيل اسمُهُ ... (بوعزيزْ)

وقال لنا أحد الأصدقاءْ:
إذا لم يكُنْ بادئاً، اسمهُ ... هكذا
رسم الحاء فوق الترابْ
سأجْدَعُ أنفي، وأرمي به للذُبابْ،
فأقسم آخَرُ أنْ لا وجود لهذا المغني،
وحين استشرنا مناديلَ عرَّافة البحر،
جادَلْتُها، وربحتُ الرهانَ الجميلْ
وحتى أغيظ الأحبَّة، صحتُ بأعلى حنيني
حنانيكِ يا حارةً في الخليلْ.
- (يَقينٌ) على تلّةٍ، سرقوا قلْبَهُ، فاستفاق الجُنونْ.
جبلٌ قرب قريتنا، ويطلُّ على البحر،
والبحرُ مَيْتٌ يفاصل زلزاله الأبديَّ،
وأحجارُه مَرْمَرٌ واسألوا برلمان المَطَرْ.
اسألوا الشاحناتِ التي حَمَلَتْهُ، اسألوا
عنه تلك القصور التي سَرَقتْ من مقالعِهِ،
واسألوا عنه أحفاد جالوتَ،
يرتفعون به في هواء الشوارع،
يسقط كالطير فوق رؤوس الجنودْ.
أرشقوهمْ، ... يخافون،
هذا صباح الصهيل، وهذا مساء السَهَرْ.
أحاولُ أن أوقظ البحرَ من موته السرمديِّ،
أقول له في المساءِ:
دم البحر أزهر وردَ الشقائق من نجمة الحقل،
كنعانُ يخرجُ فجراً
كنرجسةٍ في حَجَرْ.
أحاولُ: دارٌ وحاكورةٌ وسماءْ
وسمعتُ الجنود يقولون:
أين الذي قدَّ من جَبَلٍ،
واستعذتُ بزيتونةٍ وركضتُ، ركضتُ ... وكانتْ
ورائي
خنازيرُ قاتلةٌ، والذئابْ
ثمَّ، ها أنت تولد مثل النَبَأْ.
وكنعانُ نخلٌ، وحورٌ، وسَنْطٌ ... إذنْ
سوف نلمحُ بحراً يهاجمُ رملاً،
ونلمح موجاً يذيبُ ملوحةَ هذا الخَطأْ.
أحاولُ أنْ أتتبعَ مَوَّالَ أجدادنا الطيبينْ.
وكم حاول البحر تسجيل جرأته فوق رمل الكَلأْ.
أحاول أن أمسح الحزن عن وجنةٍ،
قد علاها الصَدَأْ.
تَوقَّفَ حزنُ المواويل والرقص،
ظلَّ يغنّي على ساحة الليل،
منذ ثلاثين، كان فتىً ويُغنّي على مَهَلٍ في الشعابْ.
وعاد إلينا سليلُ الجراح، كسيرَ الجناح،

يغازلُ وردَ الصباح، ويغرف من ماء هذي البطاح،
ويغرسُ أشعارَهُ في السهول البَراح، ويُشعلُ رمّانة
في المتاح من الوقتِ، قال المغنّي: تكسَّر وهْج سلاحي
قفزتُ عن الحائط المستقيم،
ففرَّ الجنود وصاحوا
ولكنَّهم قد أرادوا سماع صياحي.
أفقتُ من النوم، حيث وجدتُ المسافة صارتْ
دماً وفراقاً، أفِقْ وأفقتُ، وجهَّزتُ روحي
لهوج الرمال، وعَسْفِ الرياح.
وأغرقتُ أشجار زينتنا بالرذاذ الذي في حواشي المتونْ.

أحاول – هل أستطيع مُساكنة الحُلْم في الدار،
ثمّ رأيتُ القرنفل في عوسج الدار،
منذ ثلاثين عاماً يحاصرني الحلْمُ:
دارٌ وحاكورةٌ، وضجيجٌ،
عَتابا، تُعاتبني الدارُ،
والميجنا، سأصيح: أيا من جنَى
وطويلٌ ظريفٌ، تَمُرُّ بقامتها السرمديةِ،
حيثُ ضفائرها كانسكاب الشعاع على الماءِ،
عاصفةٌ في الصباح، صباح كروم اليقينْ.
بطيءٌ بَريدُك يا وطني والرسائلُ لا تصل العاشقينْ.
* * *
- جَهِّزْ جوادك للرعي في مرج ذاكرة الغيم قبل المساء.
- سلامٌ، سليمٌ، سلامٌ، سليمٌ، سلامُ الأبدْ:
أرقُّ من القمح قبل اندلاع رياحِ السَموم
أرقُّ من المجلس البلديِّ،
إذا كان مُنْتَخَباً من عموم البَلَدْ.
أرقُّ من الورد والحور بعد سكون النسيمْ
أرقُّ من النسوة الحاملات جرار الغيومْ
أرقُّ من النوم تحت امتداداتكَ الهمجيَّةِ،
يا بحر منذ قديم الزمانْ
أرقُّ من النبع في الصيف عند الهجيرْ
أرقُّ من الكرز البربريِّ،
سوالفِ مريم في تِلْمِسانْ.
سلامٌ سليمٌ سلامٌ سليمْ
لكِ الموج والصَدَفُ الساحليُّ
على صخرة الكهرمانْ.
أقول لها: شَعْلقيني قليلاً،
سأمسك بالموج: مرجانُهُ سوف يخضرُّ،
مثل بنات المدارس في المهرجانْ.
وكنتُ أطارد غزلان سفح،
يطلُّ على البحر في غَسَق البحر ... بعد الحقولْ
وبحركَ يا ملح،

ملحكَ يا بحر، نبضٌ يقولْ:
زرعتُ عظامي وقلبي بقاع صنوبرةٍ في الخليلْ:
سلاماً إلى الراء كانت مَطَرْ
سلاماً إلى الفعل قبل السُكونْ.
سليمٌ سلامٌ سليمٌ سلامْ.
- سلاماً إلى طفلةٍ وردةٍ من عنبْ
وطفلٍ من الشبق المدرسيّ من النار،
في غابةٍ تتشعَّبُ كالنصّ،
إنْ كان أندلسيَّ الرنينْ
وكان على الطفل أن يَتَمطّى على حيط حاكورةٍ
في الصباح المبكّر
قبل الندى في جبال الحنينْ.
كنرجسة الماء ثوبُ العروس،
سلاماً إلى موعد الباص، أنشودةِ الأوّلينْ

سلاماً إلى مَقْعدٍ من خَشَبْ.
سياج القُرنفل باضَ عليه الحمامْ
وكنعانُ في جبلٍ سيّدٍ، سيطلُّ قريباً على العالمينَ،
ويكثر عَنْهُ الكلامْ.

- أحاولُ في ليلة البرتقال،
تُضاهي الفراشاتِ،
كانت جدائلها تتشعلقُ في جذْع زعرورةٍ،
ثمّ ... إنّي سمعتُ صراخاً،
خليطاً من القهقهات، وهمس حَنونٍ،
وَرَقَة تَنُّورةٍ مزَّعَتْها الرياحُ،
وتَرْغَلَتِ النجمةُ الجبليةُ قالت:
أمامك نهرٌ، وخلفك بحرٌ ومجزرةٌ،
وعَدَوْتُ وراء نجوم الجبال وأوقعتُها
في تجاويفِ جُرْفٍ، وعاد الصهيلْ
يؤجّجُ رغبتَهُ، يَتمدّدُ، ثمَّ تساقط غيمٌ علينا
احتضنتُ الرذاذ وغطيتهُ ببكاءٍ جريح نبيلْ.
أحاول في ليلة البرتقال،
اعتصرتُ، شربتُ، ارتويتُ،
كما احمرَّ خدَّانِ في الجرفِ،
نمنا على القش،
أيقظنا مطر الصيفِ،
جَرْجرتُ روحي،
وفرَّتْ يمامةُ ليل الكروم،
ادَّعت أنّها جَرَّحتْ خدّها ليلة البرتقال،
وأنَّ السحالي على تلّةٍ فُدَعَتْ نهدها
الجبليَّ، بقيتُ أراشقها بالوعودِ، تراشقني
فأراشقُها، وهي ترشقني دفقةً موجزةْ

إلهي، وبعد ثلاثين، قُمتُ صرختُ، رأيتُ المنامَ،
وشِفْتُكِ في التلفزةْ.
وكانت سماءٌ تراقبنا في السماءِ
وبعضُ الطيور ومشمشة تكتب الحادثة.
إلهي، أعدْ ليلة البرتقال،
سَتَحْتَشِدُ الكائناتُ على الدربِ
في مفرق الغائبينْ.
بطيءٌ بريدُك يا وطني، والرسائل لا تصل العاشقينْ.
* * *
- جَهِّزْ جوادك للرعي في مرج ذاكرة الغيم قبل المساء.
- أوزّعُ أسئلتي في الصفوفِ،
ويَقرصني النحلُ،
كُلُّ خليّة نحلٍ تُقوِّمُ لجْنَتها،
لا غبارَ على الطرقاتِ،
وزيتونة الوعد في مدخل الأسئلة.
وأرسي تقاليد للوردِ،
أحصي مَساماتِ كنعانَ، ثمَّ أوزّعُ جِسمي،
وأشرحُ صدري، وأقتاتُ من تعب الليلِ،
أفرُكُ عَيْنَيَّ بالبَصَل النرجسيِّ،
وأفْصِدُ هذا الدم الفاسد اللولبيَّ،
وأبني لقطعان هذي الغيوم بيوتاً زجاجيّة،
ثمَّ أنثُرُ ملحاً على الهيش في الغَوْر،
زوّادتي من جراحٍ مُعَلَّبةٍ،
ثمَّ يثأر جالوتُ،
لا صَخْرَ دون رُماةٍ، ولا ضوء دون قناديلها المُشْعَلَهْ.
الحداثةُ، هذي العظام التي كسَّروها فصارت
قساوتُها مضْربَ الأمثلة.
لا تَقُل كلما أثْخَنَتْهُ الجراح انتهى
إنَّ جالوت مِدْماكُ هذي الحداثةِ،
في الحَيْط والسلسلة.
وأذكرُ ديراً عتيقاً: حجارتُهُ من صلاةٍ،
سَنَجْبلُ طينَ العتاقة بالماءِ،
ثمّ نبيذ السقائفِ،
يُصبح رُمْحاً ونغرزه في عيونِ تنامُ
على نجمةٍ قاتلة.
ولابُدَّ أيضاً من النار،
كان العماليقُ يبنون بالطين،
بالقصَلِ الجبليِّ، قلاعاً من الصمتِ، يحمونها
بالعُيونْ
وبالحَذَر الذهبيِّ،
وشوق الصدور الدفينْ.
بطيءٌ بريدك يا وطني، والرسائل لا تصل العاشقينْ.
* * *

- جَهِّزْ جوادك للرعي في مرج ذاكرة الغيم قبل المساء.
- توهَّج كنعانُ بين القرى:
غوطة في الخليل: الفراشُ على الوردِ،
والورد فيها فصائلُ مثل الجيوشْ
أحاولُ أن أتثلَّجَ حين أرى نهرها وينابيعها
بارداتٍ، كغُربتنا البدويّةِ حين تثورُ،
ولكنّها لا تثورْ.
غوطة في الخليل: يمامٌ على غصن ليمونةٍ،
وحمام، وجوزٌ، ولوزٌ، وحورٌ، وصفصافة فارعة.
تكون الينابيعُ والعشبُ، ثمَّ
تكون الحضاراتُ – بيرُ السباع، ورقْصُ
الفراشات، فوق المُلاءات في الحقل،
هذي قوافِلُهُمْ تجمعُ القشَّ تحت القدورْ.
ولا تسألِ الشَبَراتِ، اللواتي
نُعلقُهنَّ غداً بجدائل تلميذةٍ،
كصفوفٍ تجيءُ العصافيرُ،
أو مثل تشكيلة الحَرَسِ الوطنيِّ،
على ساحةٍ سقطتْ فجأةً قرب نبعٍ،
وكانت قوافلنا في القديم، تَمُرُّ مُحمَّلة بالبهار،
من الهند والأرجوان الطبيعيِّ،
عبر سواحل كنعانَ،
ثم النبيذ العتيق الذي من كريتْ:
كذلك شاهدتُ أديرةً في السماءِ،
تذكّرتُ أنَّ الشرايين فُزَّتْ،
وقال المذيعُ: تكون الجزيرة في الشرق،
ثمَّ هُرعنا نُزاحمُ أطفالَنا في النوافِذْ:
فِعلاً هي كريتُ أو عسقلانْ.
أرى الإيل يُقعي على رأس تلٍّ،
يُراقبُ دمعي على المجزرةْ
رأيت اختلاطَ الخطوطِ،
اشتباكَ السماء مع الأرض،
ثمَّ تمنّيتُ لو تهبط الطائرة.
غوطة في بلاد الجَريدْ:
السماءُ على الأرض حمراءُ،
بيضاءُ مثل النوارس،
مثل قبائل كنعانَ،
قلعتُها كقلاع شكسبيرَ ... مرعبة،
والحصار القديم يُشابهُ أرجاءها،
جئت أنسى الحصار، فجاءَ الحصار الجديدْ.
شعوبٌ تُخَلِّدُ قاتلها في الصباح،
وإلاّ لماذا – أبو يوسفَ يعقوب حاصرها،
فأقامتْ له نُصُباً فارعاً، يصل الأخضرَ
العنبيَّ مع الأزرق النبويِّ على تلَّةٍ عالية.

تَوهَّجَ كنعانُ بين القرى، والرماةُ على السطح،
قد جفّفوا الطينَ والماء والقشَّ،
لكنَّهمْ لم يمسُّوا ندى الداليّة.
ولم يذبحوا أغنيَة
ولا وتراً من نبيذ المُجونْ.
بطيءٌ بريدكَ يا وطني، والرسائلُ لا تصل العاشقين.
* * *
- جَهِّزْ جوادك للرعي في مرج ذاكرة الغيم قبل المساء.
- تراني بعيداً، أنا حاضر غائبٌ،
غائبٌ حاضرٌ،
ثمَّ أقربُ من سرعة البرق، حين يحوم الخطرْ.
وأقربُ من صيْحةٍ للسهول،
وأقربُ من رفَّةٍ للشجر.
وأقربُ من خفقة النرجسة
وأقرب من شجر التوت في المدرسة
وأنتِ تَصبّينَ زيتاً على النار،
أنتِ تسدّين بوّابة السرِّ بالعَجَلات القديمةِ،
أنت الزجاجُ المُورَّدُ،
في ليلةٍ كالقدَرْ.
توهَّجَ كنعانُ وردْاً، وخوفاً، وخبزاً، وشاياً،
على تلّةٍ، قرب برقوقة المُنحدرْ
وأشعلَ في العالمينَ، السَهَرْ:
فإمّا نكونُ على الأرض سادتَها الصابرينَ، وإمّا نكونْ.
بطيءٌ بريدكَ يا وطني، والرسائلُ لا تصل العاشقينْ.
- يَجيئُكِ كنعانُ ملتحياً بالثلوج،
يطيرُ اليمامُ على كتفيهِ،
على فرَسٍ أشهبٍ، ليلة الاجتياح،
وَسُبْحَتُهُ صَدَفٌ تلحميٌّ ... وجُبَّتُه من حريرْ.
- يجيئُكِ كنعانُ،
كشرتُهُ من زجاج، وعيناه غاضبتان،
وسروالُهُ عَتَبٌ، وابتسامتهُ من قتامْ.
يَجيئُكِ كنعانُ، كيما يؤَسّسَ دولَتَهُ،
ضِدَّ هذا الظلامْ.
- يجيئُكِ كنعانُ، فابتهجي يا بلاد الندى، وقلاعَ الغمامْ
عليكِ السلامُ، عليكِ السلامُ، عليكِ السلامْ.

لا... فاطمة

آهْ ... لالاّ
آهْ ... لالاّ
آهْ ... لالاّ
خِلْحالُكِ، مالَ، وصلّى.
عصفورٌ شافكِ في البيْدَرْ
غافلَكِ، وراحَ يُصَقّرْ
البُرنُسُ من وجع المرمرْ
خَدّانِ من العنب الأحمرْ
العُرْفُ على الفرس الحَمْرا
يتمايلُ... حتى يتجلّى
آهْ ... لالاّ
آهْ ... لالاّ
آهْ ... لالاّ
خلخالُكِ مالَ وصلّى.
المُهْرُ يُشَمْشِمُ تفّاحة
يرعى في الوادي، أوْ يشرَبْ
النِسْوةُ ترقصُ في الساحة
النجمةُ غنّتْ بصبابة
الراعي أحضر شُبّابَة
أعداؤكِ صاحوا: فلنَهرُبْ
قد رَفْرَفَ سِرْبُ زْواوشْ
الوردُ تعرَّقَ ... واستغرَبْ
عاصفةُ حمام هبّتْ،
أمجادٌ، تُتْلى، في المغربْ
قلبي فرْفحَ، وأنا أرقبْ
فارسةُ جبالٍ، كادتْ تَسْجُدْ
كانت مثل قرُنفلةٍ من عَسْجَدْ
ما لانتْ أبداً، بل كانتْ

عنقوداً في صدر مُحنَّدْ
بل كانت، شمساً من ماسٍ، تتدلّى
آهْ ... لالاّ، آهْ ... لالاّ، آهْ ... لالاّ.
كانت فاطمة الخضراءْ
فوق حصانٍ من سحر براعتها وقوافيها
وتقودُ الريحَ،
تقودُ الجيشَ،
تقود الثلجَ،
تقودُ نسورَ أعاليها
تتربّصُ، حتى نصبتْ فخّاً قرب الماءْ
كانوا من قشّ،
أشعلت النار الفضيّة،
فاحترق الأعداءْ
وشكى النهرُ إلى الغابة ... حتى مَلاّ
القمرُ أهلاّ
آهْ ... لالاّ، آهْ ... لالاّ، آهْ ... لالاّ
خلخالُكِ مالَ وصلّى.
غاصتْ في طين الأرض،
ارتعش الحنّاءُ الأحمرُ
فوق رسوم أصابعها الأولى
نَسِيَتْ مرج سنابلها
ورأتْ عاشقها في قيدٍ، مَغْلولا
نسيتْ جَسَداً
يحتاجُ مهارتها المقهورةْ
أخذوكِ أسيرةْ
ماتتْ في السجنِ الأسودِ
مثل أميرةْ
وبكاها البحرُ، ارتجفتْ أغصانُ الغارْ
لكنْ صارتْ،
عَلَماً،
قسَماً،
صارت رمزاً،
صارت نجماً،
صارتْ جبلاً،
صارتْ سَهْلا
آهْ ... لالاّ، آهْ ... لالاّ، آهْ ... لالاّ
خلخالُكِ مالَ وصلّى.

لالاّ حيزيّة:
(عاشقةٌ من رذاذ الواحات)

أحْسِدُ الواحة الدمويَّة هذا المساءْ
أحسدُ الأصدقاءْ

أحسد المتفرّج والطاولات العِتاق الإماءْ
الأكفَّ التي صفقت راعفة
القوارير أحسدُها
والخلاخيلَ ذاهبةً آيبة
أحسدُ العاصفة
في حنايا الفضاءْ
أحسدُ الخمر منسابةً، وعراجينها في ارتخاءْ
وابن قيطونَ، أحسدُهُ عاشقاً طاف في زرعها
و (سَطيف): حقول الشعير، الأعالي،
ينابيعها
أحسد المُصحفَ الصَدَفيَّ الذي لامَسَتْهُ أصابعُها
(سيّدي خالدا): عَرَباً وخياماً ونخلاً، هوىً،
أحسد الأشقياءْ
أحسد الجبلين ... ظعائنُها شقَّت القنطرة
أحسدُ الشعراءَ الرواة الذينَ رأوها
على هودج الكهرباءْ
أحسد التمر في (بسْكِرَةْ)
الجفاف الذي جفَّ حزناً عليها،
مضى ساكناً في الغديرْ
أحسدُ الملح يقصفُ أعلى البروجْ
أحسد القيظ والزمهريرْ
أحسدُ الخيلَ: أعرافها وحوافرها والسروجْ
أحسدُ القهوة البربريَّة، تسكبُها في دمي
طفلةٌ ذاتُ ردْفٍ غنوجْ
أحسد الغابة المُمطرة
الضفائرَ أحسدُها، ومروجَ السنابل
وابنَ السبيلْ
رآها مع الفجر ترعى الندى في الحقولْ
الغرانيقَ أحسدها والبطاريقَ ثمّ الحمامْ
الوصيفاتِ أحسدهُنَّ إذا
ما رَمَيْنَ عليها السلامْ
عليها السلامُ، عليها السلامُ، عليها السلامْ
أحسدُ النجم حين غفا هائماً
فوق مِعْصَمِها ... ثم نامْ
أحسدُ الليل فوق زنود الرخامْ
أحسدُ الزنبق الوثنيَّ وسربَ القطا
ثمَّ سربَ العصافير، جيشَ اليمامْ
أحسدُ امرأةً من نبيذ الرِّعاعْ
أحسد القِدْرَ والنار والزنجبيلْ
- رغم أنّي نسيتُ الضلوعْ
على مفرق الدربِ في جبلٍ في الخليلْ –
أحسدُ العنب البربريَّ المُعَتَّقَ،
صار على شفتيها غمامْ

أحسدُ المقعد الحجريّ وأهدابها الشارداتِ
ندىً في التِلاعْ
أحسدُ الفحم من حطب وشِواء الغزالْ
أحسد النول والناسجاتْ
والجبين الذي يتعالى عليه الهلالْ
والمُغيراتِ صُبْحاً وعصراً على تلّةٍ في الفلاة
أحسدُ الدمعة النافرة
آه يا امرأةً من رذاذ السماءْ
آه يا شجر الغابة الماطرة
أحسد الرمل والعُشب والدود في المقبرة.
أحسدُ الشمع في كفّها ثم حنّاءَها في اليدينْ
أحسد الخُرجَ يعلو صهيل الفرَسْ
أحسد التوت في الصدر، والفجر في الثغر،
والموجَ في القِمَّتيْنْ
أحسدُ الجذع: زيتونةً مرجحتْ ساعدينْ
أحسدُ النبع مركز عشب القبيلة خلف الأفقْ
أحسدُ الصُرَّةَ الحلزونَ وخلخالها الدمويَّ،
وما بين بينْ.
أحسدُ الوركَ من عنبٍ ... وله مفترقْ
أحسدُ الخَدَّ في صَحْنِهِ
عُلّقتْ غمزةٌ من لُجَيْنْ
أحسدُ السِدْرَةَ المُنتهى ... والألقْ
غابةَ الصابرينَ الصَدودْ
أحسد الرقمتينْ
وأساها الذي فاق كلَّ الحدودْ.

* * *

واحةٌ للمطرْ
عَرَّجَتْ صَوْبها الفارسة
حيثُ كان دمٌ ينتظرْ
أحمرَ الشفتين بلون القمر
عندما كان يلعب في القفر بين الرعاة
كان يرقب غدْر الرمال النقيّة هذا القمر
كان يرسم تشكيلةً من خطوطٍ على الرملِ
دون أثرْ
الأفاعي، وقيل: نِثارُ فتات القبيلةِ في المنحدرْ
تسلل عاشقُها كالرذاذ الربيعيِّ بين المروجْ
رأى كوْمةً من عقيق قلادتها، ورأى
خطأً في عيون السوادْ
- يا ملفَّعةَ الفجر إنّ الهوى البدويَّ،
هوى الأرجوانْ –
كان مُتَّفقاً أن تبادِرَهُ بنشيدْ
فلم تستطعْ ... واعتراها الذهولْ
ورأى الظلّ في الماء مثل العَذولْ

يَتَباطأ نرجسة دامية
تَتناثرُ في الماء رائحةُ الشكِّ والحسرة الآتية.
- فأطلق طلقته الواحدة
في جبين الندى وغزال الحقولْ.
غير أنَّ حديث الرواة يطولْ.
* * *
- لو رأيتم مع الفجر غامضة تنتظرْ
ما الذي يجعل الفارس المنتظر
لا يقاتل عن موعدٍ، قرب ذاك الحَجرْ
اذكروا رهبة القتل بين النخيلْ
انظروا أرجوانَ القتيلةِ، لمَّا يكنْ
مثل أيِّ قتيلْ
العراجينُ خافتْ، وثارت مدامعها، قرب ماء السماءْ
سمعَ النبعُ فجراً مع العُشب، قبل خروج الرعاة
من مغائرهمْ في السهولْ
صرخةً واحدة
لعاشقةٍ مُرّغتْ بالدماءْ.
هدأتْ غضبةُ الريح في موقد النار،
وانطفأتْ دفعةً واحدة.
* * *
إنني واثقٌ أنَّ حنّاءها في الربيع،
ولم يلتفحْ بجهنّم بارودةٍ من حَديدْ
إنني واثقٌ أنَّهُ لملم الوحشة الواجفة
بعد عشرين عاماً، بكى من جديدْ:
- موجزٌ ورهيفٌ أسايْ
جمرةُ البدو أنتِ، فمن أين جئتِ،
تلوبين مختالةً في قميصْ
موجزٌ ورهيفٌ أسايْ
حفلةٌ في تِلمسانَ، أنتِ
مُوشّحةٌ بأغاني مساء الخميسْ
مُوجَزٌ ورهيفٌ أسايْ
قطعةٌ من سماءْ
أرجوانية عَلقتْ ليلة المجزرةْ
بجناح على الثلج في جَرْجَرَةْ
موجزٌ ورهيفٌ أسايْ
نقطةٌ من بياض مسايْ
نخلةٌ في أعالي الجبال تطلُّ على العاصمة.
أو كأنَّكِ جئتِ إلى غابةٍ،
بين (جيجلَ) و(القُلِّ)،
عند مسيل المياهْ
ربّما غيمةٌ من رذاذ السّهَرْ
تتسلقُ كرماً، فهل غاب عنك الدليلْ
قبل ذاك الوصول إلى البحر، أو بعده بقليلْ

أو كأنّكِ جئتِ من البحر، دون مُواربةٍ،
من صخور الجُزُرْ
لَفحتْكِ الرياحُ، ركضتِ إلى الغار،
كانت ضفائرك السود، ملساءَ مثل ليالي السَمَرْ
وأنا غارقٌ في دم الأرجوانْ.
- قالت النرجسة:
أيُشبهُني أحدٌ في صفاء الدموعْ
أيُشْبهُني أحدٌ في الكتابةِ أو في الحنينْ
أيُشْبهُني أحدٌ في التجاعيد والهمِّ فوق الجبينْ
أيُشْبهُني أحدٌ في الندى مثل رمّانةٍ طازجة
في دماء الوريدْ
أيُشْبهُني شعراء التماثيل،
أشعارُهُمْ من قديدْ
وابنُ قيطونَ غازَلَها من بعيدْ
ظلَّ في السرّ يُهدي إليها الورودْ
وبعضَ الرسائلِ تُترك مجهولةً في الصقيعْ
على باب خيمتها عبْر ساعي البريدْ
وتُهملُ ملفوفةً بوَتَدْ
إنني واثقٌ أنها لا تفكُّ الخطوطْ.
- ربَّما قيل إني أغارُ وفي القلب منّي حَسَدْ
أيشبهني أحدٌ: كنتُ غازلتُها في الطريقْ
ونَدَهْتُ عموم البَلَدْ
إلى ساحةٍ وشَلَفْتُ مناديلها،
وهُمُ ينظرونْ
النقوشُ التي حُفِرتْ في (الطسَيلي) رأتني
رأتني جموعُ الرعاة
أمَصْمِصُها قطعةً قطعةً، ورأتني الشياهْ
وطار الحمام على ساعِدَيْها ارتمى
زرقةً واخضراراً، وما قال: آه
زاجلاً كان هذا الحمامْ
وهواي الذي في الضلوع هواه.
* * *
إذَنْ يا ابنَ قيْطون، هات قصيدتك النائمة
تعال إلى منبرٍ قبل بدء الصلاة
ليحكم بيني وبينكَ، جمعٌ من الشعراء الكرامْ
ورهْطٌ رواة
وإن لم تثقْ ... فالقُضاة.
* * *
القتيلةُ زيتونةٌ،
أم رماحُ المقابر قد غُرستْ في السؤالْ
القتيلةُ رملٌ على البحر،
أم ذهبُ الأضرحة
ليس نسمع غير صدى النائحة

أو كأني رأيتكِ من قبلُ يا رغبة جامحة
ربّما في سفوح الجبالْ
وأنا واثقٌ أنَّ هذا الرذاذ له صلة بالرمالْ
غير أنَّ الدليل الذي كان بين يديّ اختفى
مثل برقٍ ... وظلَّ السؤال.
* * *
- فلْنَقُلْ: عاشقة
في ليالي الصَبيبْ
ولنقلْ: حين أغوَتْ ... غوَتْ في اللهيبْ
ولنقلْ: ساحرة
ولنقل سُحرتْ خلف أحجار وادي الرمالْ
ولنقل – فرَضاً – إنّها امرأةٌ حاذقة
ولنقل: – صُدفةً – زُحلقتْ رجْلهُ في الغرامْ
ولنقل إنّها نجمة في السماء واضحة.
(إنّني عاشقٌ جرَّب الذبح والمذبحة)
ولنقل – مُهرةٌ جامحة
سئمتْ بَرْد فرشتها،
وتسلّل ينبوعُها دافئاً في الظلامْ
ولنقل – وردةٌ عطشتْ
فرواها النخيلُ ... وخافْ
ولنقُلْ – إنها تُربةٌ شققتها ليالي الجفافْ
ولنقل – غجرٌ لملموا نارَهُمْ
حول تلك الضفافْ
ونَسوا جمرةً عُلّقتْ في ذوائبها البائنة
ولنقل – مثلاً – إنّها امرأةٌ خائنة
طارحَتْني الغرامْ
عندما كان عاشقها في الصلاةْ
وابنُ قيطونَ كان يُدبّجُ بعض رسائلهِ في الخفاءْ
ما الذي يزعجُ الشعراءْ
ما الذي يزعجُ بعضَ الرواةْ
إذا كانت امرأةً خائنة !!
* * *
- قد يضيعُ كلامُ الرواةِ سُدىً
بعد تدجينهِ في المقرّر في الجامعاتْ
أو إعادة إنتاجهِ باختصارْ
في اللِجان التي نقّحتْ كُتُبَ المدرسة.
ربَّما لم تكن من دمٍ، إنّما نرجسة
سافرتْ حول مرآتِها
وأراهِنُ ما عشقتْ أحَداً
إنّما عشقتْ ذاتها
قرب واحات (أولاد جلاّل) في الفلَواتْ.
فليكُن
فليَكُنْ

إنني أحسد الغابة الماطرة
أحسدُ النسر في جَرْجَرَة
أحسد التمر في بسكِرَةْ
أحسد الرمل، والدود، والعُشبَ في المقبرة.

روسيكادا ... قبل المطر

روسيكادا ... بعد المطر

أعِنْدَكَ ما يُشعل القلب والتبغ والثلج
في هذه الليلة الباردة؟؟
أعندكَ ما يفرح القلبَ، لو مرَّةً واحدة.
أعطني رشفة من دم الدالية
أعطني عُهْدةً للأمان
ورُمّانةً في ثنايا الكلامْ.
أتزعجكَ الريحُ والبرتقال الجريحُ،
أتزعجك الحربُ، والسَّلْبُ والنهبُ،
والشَقْطُ واللَهْطُ،
تزبيطُ حالي وحالكَ،
يزعجك الانقسامْ
قتيلان في اليمّ: هذا ضلوعي،
وذاك دمي، كيف أفخرُ،
قل لي ... وتعتبُ أيضاً،
وَتبتزُّني عند طرح السلامْ [1]
* * *
- ولكنَّهُ صامتاً ظلَّ
مثل صخور (ابن مُقبل) في الفلَواتِ
ولم يلتفتْ [2]
توسَّلتَ للريح للنبع للأرض للكائناتِ
تَدُلُّكَ: أين الطريقُ
وهل أينعتْ صخرتي،
عندما حاصرتْها خيول القبائل،
وانفجر البرقُ في الرأس،
يا فندق البحر في روسيكادا [3]

- سطيف، سيدي خالد، بسكرة، جرجرة، جيجل، القُلّ، تلمسان، الطاسيلي، أولاد جلاَّل، أمكنة جزائرية .
- ابن قيطون ، شاعر شعبي جزائري عاش في القرن التاسع عشر، ذهب إليه العاشق سعيد ، يشكو له موت حيزيّة ، فكتب قصيدة باللهجة الجزائرية مطلعها : عَزّوني يا مْلاح ... في رايسْ لِبْناتْ / سكْنِتْ تحت اللحودْ ... ناري مَقْدِيّ .
- قصيدة هوامش .

يضيءُ لمغتربٍ عشِقهُ،
ثمَّ أوصيتُ عامِلهُ:
حين ينفجرُ الفجرُ،
أيقظْ طيور جناحي،
لعلّي أرى مِشْعل البحر يوقد نيرانَهُ،
في الخليج، لعلّي أرى لحظة البحر،
حين يعانق رأس المدينةِ،
كم حاول البحرُ،
يأتي ازرقاق المحيطِ الغَويطِ،
لو أنَّكَ تُوقظني،
ثم واصلتُ نومي
وكان النوى دامياً،
والضلوع تئزُّ،
وشَقَّقني الصيفُ، أوغلتُ في الحلم
ثمَّ رأيتُ – غداً – زائرات الينابيع،
دونَ جرارٍ، ودون نصوصٍ، ودون صلاةٍ،
ودون مساقط للنوءِ،
قيل: الجفافُ
وقيل: الذهولُ
وقيل: تُهاجرُ، ثمَّ تُسافر، ثم: تُغادر، ثمَّ تُناورُ،
ثمَّ تتوبُ، تلوبُ، تغيبُ،
وتذهل عنك العصافيرُ،
والتبغ،
والتينُ،
والعنبُ البدويُّ،
ويذهل عنك شيوخ القبيلةِ،
والزعفرانُ،
وينساك بئر الأفاعي،
وتنساك دارٌ لأجدادك الموغلين غداً في سراب اللظى،
باحثين عن الملح، والبحرُ ميْتٌ،
هُنا يلكزونَ سروج الجياد وأعرافها
يوغلون ... وبريّةُ الله ساكنةٌ:
هذه عسقلانُ الخراب،
وتلك مضارب أهلي،
على سفح جلعاد [4]
يا دولةَ صُعْتُها ... والسُرى
بارداً كان ... والقمر الجبليُّ،
تآمر مثل الرقيب الذي يمنعُ الشعرَ،
صوتُ الذئابِ،
يؤكدهُ جَفْلانُ الحمير،
ارتعاشُ الخيول ورعْدة فرسانها،
ورأيتُ أبي بعد عشرين صحراء،
كان أبي قاحلاً وحزيناً،

فقلتُ: هو الاحتلالُ،
أو العُمر،
أو فُرقة الأهل،
أو وجع في عروق الدوالي،
جفاف القلوب، انكساراتها،
ثمَّ غادرني نحو أسلافهِ،
صامتاً، وأشاح بعينيهِ:
إن شئت أشعلْ جناحكَ،
ناديتُهُ
ثمَّ ناديتُهُ
ثم أمسكتُ ليلاً بأكتافهِ: دُلّـَني
دُلّني لطريق تؤدي إليها
ونادتْهُ أمّي
ومن شدَّة الانبهار
تشعلقتُ – سهواً – بثوب العزيزةِ
كان أبي يمسك الفأسَ
ثمَّ أشار لها ... وارتعدتُ
أشار لها وأشرتُ:
ادفنيني هنا، ثم أردفتُ:
آهِ – على ميتةٍ
تحت هذا العريش،
الندى رطبٌ مثل حنّائكِ السمح،
أيضاً يُضاف لذلك رائحة الأنبياءْ.
غاضباً كانَ،
ظلَّ يداعبُ أغصان زعرورةٍ ويُشذّبُها
أتغازل هذي القطوفَ من العنب الجندليِّ،
تطارحها العشقَ،
أيَّ أبٍ أنت هذا،
ألَمْ تستمعْ لصراخي وضعفي، ولم يستمعْ
باهراً كان مستوفياً شرط أحزانهِ
وأشرتُ لتابوت داليةٍ في الخليل
يَجفُّ بطيئاً ... وتابعتُ في جَدَلٍ صامتٍ
صمتَهُ الرعويَّ،
وظلَّ أبي مُطرقاً في التراب، ولم ينفعلْ مُطلقاً:
صُعْتَني نطفةً من أسى
ورميت البذار ... ونادته أمّي
لقد جُبْتَ تلك البحار،
ركبتَ مع الطير،
زرتَ عواصم فارهةً،
ورأيت العواصم في الفجر،
كوْمة صخر تفتَّتَ،
أو وكْر نحلٍ،
يحوم حواليهِ بحرٌ يغير بأمواجهِ

ويُتَقْتِفُ عشباً على قدم الوكْر
ثمَّ رأيتُ السماء تَرُجُّ
وفاجأني الخوفُ ... نادته أمّي
ولكنّه سيظلُّ يغازل صخر السلاسلِ
في الكرم، أومأ للفاس واستخرجَ
البندقية من باطن الأرض،
ثمَّ أشار إلى النار والنسوة الغارقاتِ،
يُحنّينَ أجسادهُنَّ،
يُكحّلن أجفانهنَّ بلونين،
ثمَّ أشار إلى حطب الغابةِ البدويةِ،
باحَ لقومٍ على هيئة القيح،
أرجلهمْ في السلاسل،
لكنَّهمْ أشعلوا النارَ،
ذاب حديد السلاسل
ثمَّ تجمهر رهطٌ
وفي جبل الأيل صلّوا صلاةً
ولم أستمع في حياتي
لأعذب من صوت قائدهمْ
في العشيّةِ
ثمَّ أشار أبي لاعتدال الظهور
انتظام الصفوفِ، فهل زُلزلتْ أمّنا
واستفاقت من الملح قرب صخور جبال الخليلْ.
تطلعتُ نحوهمُ ورأيت الزغاريدَ
حامضةً في الشفاهِ
استمعتُ لداليةٍ:
ما ألذَّ نبيذ الأناشيدِ
ينبجسُ الصوتُ من مقلع المرمر القرويِّ،
أصختُ قليلاً،
وكان خطابُ الإشارة قلتُ: كلامٌ
- أليس النبيذُ دليل الكروم
وأومأ للفأس واغتسل الوردُ بالماءِ
ثمَّ سألتُ أبي في المساءِ
عن امرأةٍ كنت أعشقها
وأنا غارقٌ في ثياب الطفولةِ،
كنتُ ألاحقها، وهي ذاهبة نحو مدرسة البحر
ثمَّ تؤوب إلى المسجد النبويِّ
إلى آخر الصفّ، تفرش سجَّادة النَطْع
يا حَسْرَتا
قُتلتْ خطأ تحت زيتونةٍ
في شجارٍ على الماءِ
بين قبيلتهمْ وقبيلتنا، أيها النبعُ،
كيف أقاوم نسيان أحجارك الناعماتِ،
قناديل بحرك ليلاً تضيء مواعيدها،

ثمَّ قلتُ له: يا أبي
أ ... وَ ... لا ... تتعظْ أيها البطريركُ
الذي لا يُعاندُ
يا أيّها البطريرك الذي ... وبكى
فارتعشتُ، ولم يتّعظْ، حين قلتُ له: يا أبي
كُرومكَ ذبحٌ بذبحٍ، تواريخُ للفقراءِ،
أفكرتَ في الموتِ في جبل موحشٍ،
في بلاد المغولِ، أفكرت،
هذي نساء النبيذ تزورك،
أعطيكَ ماءً وخمراً، تعالَ،
نُدوزنُ رعب القبيلةِ،
أغتاظُ لو صبَّت الغيمة الأبديةُ،
نوءاً من الصمتِ
ثمَّ استوى فوق تلّتكَ الليلُ
أغتاظ أيضاً قبيل انهمار العواصفِ
في الحالتين:
خناجرنا تشقح البرتقالَ،
تشقُّ البرازخَ، يرتفع الأرخبيلُ،
وأغتاظ حين أرى الاحتلالات جمراً
أرى التلَّ يُمنع من مهرجان مقايضةٍ،
لجلودِ الثعالب بالصَدَف الأرجوانيِّ
أغتاظ، أكتبُ صفراً، ويكتُبُني الصفرُ،
تلك المساحة بين اتّقاد الرؤوس،
اشتعال المدى،
سُفن الأرجوان محمَّلةً بالعقيق العتيق، الأنيق،
جناح الغرانيق، قرب المضيق،
وبين اشتعال جديدٍ يوطّدُ أركانَهُ
في العراءِ المدجّج بالصمت، قولي إذنْ:
أين كنتِ مساء الخميس، تجوسين مرجَ قميصي،
ومدرسةُ البحر ليستْ مِداداً،
سأغتاظ من نومكِ الضحَويِّ
العنيدِ على سفح غابتكمْ
وتطلُّ على البحر
أو يسجدُ البحر مثل الذليلِ،
على ساقِ سروتكِ النبويّةِ،
صُرَّتِك اللولبيةِ،
واثقةً أنتِ
والبحرُ ليس جديراً بقلبك في السفح
ليس جديراً:
أقيس المسافة بين الجليل وقرطاج
ثمَّ المساحة بين أبي صائحاً
من وراء بحيرته الملح
بين الشآم

أقيس المسافة من عسقلان،
إلى روسيكادا، إلى مُهرةٍ من حليبٍ،
وأردافها ضامراتٍ،
وحنّاؤها صَدَف الأرجوان الربيعيِّ،
حتى الجفون ربيعيّة، والمتونُ ربيعية،
والعرائس حين تداعبها ضحوةً،
وتعود إلى البحر قبل الهزيع الأخير من الليل
يا مهرةً تتجول بين الصفوف، وترقبني
غارقاً في محبّتها وأتابعُ ظهراً كلام أصابعها،
في النبيذ الجديد العتيقْ.
حدودُ اللياقةِ صارت تكبّلني، ربّما
- نلتقي صُدفةً في السجونْ
وقد نلتقي صدفةً في أثينا وقبرصَ
قد نلتقي صدفةً في بلاد الصقالبة الطيّبينْ (5)
أرى الماء في صخرة الرأس،
يُعجبني البحرُ وهو يُكَسْدِرُ منذ القديم،
يحاول شعبطةً،
إنَّ مدرجك الوثنيَّ طويلٌ
سأفعل كالبحر، حين يهاجمُ مرتفعاً، والهواءُ
على السفح، راعي الإوزِّ بكى،
حين زلّتْ قواهُ،
وفوجئ بعد ثلاثين عاماً،
بكوم عظامٍ وجمجمةٍ،
قد تكون أبي.
يا أبي، يا أبي يا أبي
وظلّ يداعب فأساً ويومئ للكرم،
ظل على رأسه نورسٌ صامتٌ،
فجأةً دَقْدَقَ العامل الجبليُّ على النافذهْ
وفتَّحتُ عيني، وأغمضتُها ... ثمَّ فتَّحتُها يا أبي
يا أبي يا أبي
ولكنّه ظلَّ ينأى وينأى وينأى
فأفطرتُ رمّانتين،
شربتُ كؤوساً من الدِبْس،
غمَّستُ في العنطبيخ الخليليِّ،
من أجل بردٍ يجيءُ،
تقهويتُ،
دخَّنتُ قنبلةً،
ثمَّ زاحمتُ هذا الزحامْ. (6)

هوامش:

(1) لأنّك تشحدُ زيتاً من الآخرينْ
تُلملمهُ نتفةً نتفةً ثم يأتي اللصوصْ
يضيفون أضواءهُمْ في النصوصْ
وأنا أشرب الزيت في المعصرة

أضيفُ له كهرباء الرحيل،
وخبزَ الطبُونْ.
وآخذ من حرقتي نتفة،
وأضيفُ لها حرقة الطيبينْ.
(2) الإشارةُ ليستْ بياضاً على السطر
بل قنبلة.
(3) حَرْفياً تعني رأس الأجداد الوقادْ
وتعني حرفياً جدّي كنعانْ
أما ما أقصده منها بالضبط
فهو: الأرضُ المنتشرة في الأرض
وفي السكّانْ.
(4) جلعادْ
جبلٌ وجبالٌ في ديواني الثالثْ:
قمر في جرش كان حزيناً
في صفحةِ: دادا ترقصُ حول النهر.
(5) البلغرُ والصرب وأنحاء بلاد الروسْ
في خبرٍ آخر أنَّ المعنى مدسوسْ.
لكنّي أثق كثيراً برواية فُضْلانْ.
(6) ثمَّ حين توهمت بأنّ النص في طريقه للاكتمالْ
بدأتُ أفكر في الحواشي والزينة وبهار الهندْ
وأنا أوّل من وضع الهامش في ذيل قصيدة
يمكنكم الاطمئنان إلى صحة قولي:
أن يتذكر أحدكم ديواني الثاني:
(الخروج من البحر الميّتْ)
تجدون هوامش في أكثر من نص.
الهامش جزءٌ لا يتجزأ من قلبي
يتشعّبُ حتى يصل إلى الجبل، البحر، السهلْ
لم يكن النرجس ما يدفعني للقول
بل كثرتْ في زمني السرقاتْ
فأنا مظلومٌ سأرد الظلمْ.
وأعود إلى هذا الهامش بالذاتِ أقولْ:
فوجئتُ بغيلانٍ وخنازير:
هذا يريدني أن أوقع صكاً على جلد غزالْ
وآخر على ورقة بردي
والثالث قال سيكتب بماء الذهب الأسود
الرابع يريدني أن أوقع على تراب المخيّم
قبل مجيء العصافير فوق الأسلاك
والخامس راوغني وأنا نائم
كي يسرق توقيعي من رمل البحر
ولكي أوضح الأمر للسادس
قلبتً طاولة على قرونهم ... ولم أهربْ.
وبقيتُ موحشاً ومهجوراً
كغابة رذاذ
حجرٌ شجّ رأسي

ورأيتُ الجموع تهتف بدمي
عند باب المغارة
أيُلملم لحمي ثانيةً أمزجُهُ بهياج الأشجار
وقلبي بشراييني
أيها الفلسطيني.؟!!!

مدينة تدور حول نفسها

قريباً من المجلس البلديِّ،
بعيداً عن المجلس البلديِّ،
اتّكأتُ على حائطٍ باردٍ،
مثل مقبرة السفح،
كنتُ وحيداً وحيداً،
وينخرني الهمُّ والوهم والانتظارْ.
وبعد قليلٍ
سألتُ المدينة عن ناسها
وجفاف ينابيعها، وابن باديسها
وعن موت حُرَّاسها في الدروبْ.
وَناديتُ (مالكَ حدّادَ)،
مالَكَ مستوحشاً وغريباً على التلِّ،
في الليلة الباردة!!!
أعطني شارةً لتساعد هذا الغريبْ
أعطني وردةً كي أحلّ الطلاسم
قبل المغيبْ
أعطني نجمةً واحدةْ
دُلَّني كيف أمسك بالقلب ليلاً
وأغتصبُ الرجفة الواعدة
بزقٍّ من الخمر والحب والأصدقاءْ.
قريباً من المجلس البلديِّ
أقارنُ بين الخليل وبين الخليلْ.
جسورٌ تفرقنا جُزُراً من جفاءْ
وتجمعُنا حول مائدة الملح والانتظارْ
نظرتُ توهمتُ في لحظةٍ أنَّ بحراً
وراء المدينة حتماً سيأتي
رأيتُ الجموع تراقب أفْقاً من الزهو والكبرياءْ.
وقال صديقي
الذي يحسبُ الاحتمالات:
زارٌ يُخدّرهُمْ بعد زارْ
أضاف تعال لكي تشهد المقصلة
وراءك جفرا، وكرملُ
قد يعشق الصخر والزلزلة
فقلتُ له: ... ودخانُ المصانع في الأفق
طوقٌ من الوهم، أم رعشة الانفجار!!

نظرتُ إلى جبل الوحش:
كيف البناياتُ قرميدُها جُلَّنارْ
ولكنْ
وفاضت دموعي الغِزارْ:
- ولكنَّهُ صامتاً ظلَّ ثمَّ أشار إلى صخرةٍ
كي أغازلها أولاً
ثمَّ أحضنها ثانياً
وأقبّلها ثالثاً، رابعاً، خامساً
وأعاندها سادساً
وأصالحها سابعاً
وأمَسِّدُ أضلاعها ثامناً
ثمّ أقرأ ميزانها تاسعاً
ثم أهدي دمي لعصافيرها عاشراً
تجيئك ليّنة كالعجينةِ بين يديك،
فتفركها بالرياحين والتين والبرتقال الحزين
وتقرأ شعراً لصخرتها والجسورْ.
- فعلتُ
اتكأتُ على القلب، أعصرُهُ كالخمورْ
أشاحت وقالتْ: أما زلت تهذي
بأنَّ التراب يدور؟!!!
* * *
- وقال الصديق الخبيرْ:
إذا جئت ... فاخلعْ نِعالكَ،
وادخُلْ جدائلها في الصباح النديِّ،
أضافَ: أنا من ثلاثينَ أعرفها،
وأبي جاءها قبل تلك الثلاثين،
لو شئتُ عرَّفتُها: قبةٌ وسراديبَ،
أما الأزقةُ، (لا تسأليني)، فكانتْ تعجُّ برائحةٍ كالبهارْ.
وراء السراديب، طوق الدهاليز،
كان الحمام يجيءُ إليها من (القُلِّ)،
يمنحها ذهباً وعقيقاً،
يُخبّأ في الوكُناتِ،
وكان الفدائيُّ يمشي على مَهَلٍ
في الأزقَةِ والناسُ تومي إليهِ،
انظروا
إنَّهُ شامخ واضحٌ كالنهارْ.
وكان الرصاص الفرنسيُّ
عند الظهيرة
يبتلُّ بالخوف والاحمرار.
إذا شئتَ: قابلْ ثلاثين من هؤلاءِ
الذين تراهمْ،
يبيعون خبزاً ووروداً على الطرقاتِ،
وكان مكان البناية ينمو العَرار.

- فقاطعَه (مصطفى) موغلاً في مدار المدار:
بُعيد رحيل أبي
في جبال الحنين، لجأنا إليها
وقمصاننا مُزّعتْ ... والسراويل خضراء،
تشكو الزمان
ويشكو إلى الله منها الغُبار.
خَدَشنا حياء المدينةِ واستحفل الجوعُ،
جرَّبتُ ميتمها،
كان جوعي اصفراراً ويُتمي اصفرارْ.
ولكنني بعد هذا تماسكتُ،
زنَّرتُ خاصرة النهر بالاخضرار.
- فأخرجَ (إدريسُ) عن صمته الرعويِّ،
وكان يخاف وقال: اشربوا
إنّها نخلة من دموعْ.
ما ... لنا وتراكيبها
أمسكوا بالعراجين، هُزّوا الجذوعْ.
أراها صباحاً كما امرأةٍ صعبةٍ،
تتظاهر باللين،
صالبة كالمجوس ومصلوبة كيَسوعْ.
إذا جئتها راكعاً تتدلّلُ فامسكْ،
جدائلها أولاً
ثمَّ أردافها عُنوةً
واختَرقْ ليلها بهدوء وديع.
يؤكد قولي: مرور المدينة ظهراً، وكنَّا نراقبها،
بانبهارْ
سماء النخيل التي ترتوي، ثمَّ ترقبنا من عَلِ،
نحن ضمن رعيّتها،
ضمن هذا القطيعْ.
فقلتَ له – شامتاً –: آهِ أنتَ كما العيس
في فلَوات الجفاف الفظيعْ.
- أخيراً
ترجَّل، (علاَّوةُ) الأبديُّ الصموت عن الصمتِ
قال الخلاصة في الشمس والجسر والقنطرة.
ولم أقتنع بالتفاسير،
رغم مرور الشهورْ
أشاحت وقالت: أما زلتَ تهذي
بأن التراب يدور
فقلتُ: نعم إنَّ هذا التراب يدور.
* * *
أرى البحر فجراً يحاصر صخرتها
في العشاء الأخيرْ.
أرى البحر يأتي مع الليل
يغسلها بالبخورْ

أرى البحر يفتضُّ عذرية الصخر،
يغسلها ثمَّ ينهي غموض المدينةِ
يوقف ثرثرة المهزلة.
أرى البحر أيضاً يعانق نجماً
على سطح قرميدها وحجارتها البيض،
ثمَّ شبابيكها الزُرق،
يأتي دخان المصانع في العيد، يغمرها
ثمَّ يُحْدِثُ في جوفها بلبلة.
- قريباً من المجلس البلديِّ اتكأتُ
على حائط الأسئلة:
قسنْطينةُ الجسر
أنت مدينةُ سحرِ
شمالاً
وشرقاً
وعَرْضاً .. وطولْ
ولكنْ، إذا دقَّقَ المرءُ فيكِ قليلاً
يقولْ:
مدينةُ سحرٍ ... وينقُصُها البحر، وفْقَ الأصولْ
لكي يصبح الطقسُ محتملاً ولذيذْ
وتنقصها صُحُفٌ، قهوةٌ ... ونبيذْ
وبعضُ الرسائل من جَفْرتي في الخليل.
* * *
بقيتُ أراقبُ بحراً سيأتي
بقيتُ على صخرها مرهقاً،
مثل نوحْ
بقيتُ على جسرها حائراً،
غاب عنّي الدليلْ
وغابت شموس الوضوحْ
يمازحني الثلج في شهر تمّوز، ثمَّ
تمازحني الشمسُ في شهر مارس، كالحب
والبغض، قولي: متى سأرُدُّ السلامْ
وإذْ أنتَ حيرانُ يأكلُكَ الشَكُّ،
فيما أقولْ
عليك بتفجير أسئلتي في الصباح النديّ البَتولْ
وَسائلْ نقوش النحاس الذي إن رأى حالها
هَطَلَتْ أدمعُهْ
وسائلْ على التلّ، (حَشْحوشَ) يلقي
النكات على الجامعة
وعُمّالها العائدين من الليل لليل
خطوتهمْ
صيحة نافرة
ورَحْباتها تطلب المغفرة
وأولادها الجالسين على الطرقاتِ

انتظاراً ... لشوط الكُرَةْ
أأنتِ قسنطينة الجسر والنهر والقنطرة
أأنتِ قسنطينةُ اللغة العربيّةِ والمفخرة!!!
* * *
أحاولُ رغم الأسى أن أطوِّقها بسمائي
وأهربُ منها إليها
أسيلُ على جانبيها مِداداً
وما جفَّت المحبرة.
ونلتُ الشهادة في الصبر منها،
برُتْبَةِ أيوب،
قد حاصرتهُ رؤى المجزرة.
لماذا ندمتِ وحاصرتِني بغبار الإشاعاتِ،
ثمَّ قرار الرئيسْ.
أحاولُ أن أوصل القلبَ بالقلبِ، والجسرَ
بالجسر، هذي كؤوسي، وهذي دناني
أهذا جزاء صريع الأماني
قسنطينةُ الجسر لم تستمعْ
لعذاب الأغاني
وتزعمُ أنَّ ضفائرها اللولبيَّة، ما مسَّها أحدٌ في الليالي
وفي السرِّ كانت تراني
شربتُ النبيذَ العتيقَ على ساعديها
لأهربَ منها إليها.
* * *
سأحلمُ دوماً ببحرٍ يزلزلها
سأحلمُ دوماً بزلزالِ (وطَّارَ) يغسلها
كي يزول الرَمَدْ
تنادي وتصرخُ والملح يعلو ذوائبها
ثمَّ تصرخُ ... لا أستجيبُ، ولا يستجيبُ أحَدْ
- ثمَّ قلتُ: يظلّون أهلي،
وتبقى قسنطينةُ الجسر،
غالية كالخليلْ.

المُرجئة ... والمؤقّت

حيثُ تحتشدُ الأسئلة
سأرتُبها واحداً واحداً واحداً
فوق تلّ الوضوحْ
وأسائِلُها أولاً: ما هي المسألة

قسنطينة : مدينة كنعانية سيرتا ، عاصمة الشرق الجزائري .

– مالك حدّاد : أحد شعراء الثورة الجزائرية باللغة الفرنسية .

– الطاهر وطَّار : روائي جزائري صديق، له رواية الزلزال .

سأغدّي مساربها بالجداول،
أرسمُ شمس السُفوحْ
على التلّة العالية
وإن عاتَبَتْني
وإن عذَّبَتْني
وإن حاصَرَتْني نوىً وفراقاً وهَجْراً،
فلستُ أبوحْ.
* * *
أوّلاً: حين أصحو، أتَمْتِمُ
أين النساءُ اللواتي احترقن دماً
عند باب سَدومْ؟؟
ثانياً: أين قهوة حقل الرعاةِ
وأين حليب دعاء الكروم؟؟
ثالثاً: أين دار أبي من جحيم التَنقُّل،
بين الأفاعي ومهزلة الأصدقاءْ
ولماذا تُعلَّقُ عائلتي في الهواءْ؟؟
رابعاً: ولماذا إذا فرح القلب يوماً
تهاجمني حفنة من كآبات هذا المساءْ؟؟
خامساً: فسَدوا وفسَدْنا ولكنْ
لماذا بلادهُمُ لا يحاصرها أحَدٌ
وإن صحَّ قول الذي لا يُسمَّى
لماذا هُمُ الغالبونْ
سادساً: ولَماذا إذا افترقا
كان قلبي القتيلْ
وإذا اتّحدا،
صار جرحي يَسيلْ.
ولماذا إذا نَدَهَتْنا الخليلُ،
نَصُدُّ نداء الخليلْ.
ولماذا إذا ما ذبحنا على حَجَرٍ
في البلاد التي طلبتْ أهلها
زعْتراً في الضلوع وتعويذةً في الرئَة
تغيب الصحافةُ، تَبحثُ عن خَبرٍ
في التخومْ
ولماذا إذا انقسم القلبُ في سنوات الجفافْ
يكثر المرجفون وتَلْتَئِمُ المُرجئَهْ
لماذا أمامك رومٌ وخلفك رومٌ، وخلفك رومْ.
سابعاً: ولماذا الرضيعُ إذا طقَّ قهراً
بمنفاهُ يُمنع عبر نقاط الحدودْ
ويصبحُ تابوتُهُ حجراً أو خَطرْ.

- أيّها الشاعر الأمميُّ الفرنسيُّ،
منفاك من لغةٍ، وأنا من وطنْ
أنت لم تحترق في مساكَ

وما علّقوك على وَتَرٍ في غبار المُدُنْ.
سوف تفترضُ التسوية
أنت تبكي على وطنٍ ساقهُ مُفسدونْ
ولكنَّهُمْ في غدٍ يرحلونْ
فكيف سنفترضُ التسوية.
أراكَ غداً، وأرتّبُ أسئلتي كالنخيلْ
وأتركُ زاويةً لا تلائم موتي
بحقل البَصَلْ
تؤدِّي إلى نَفَق
سوف يُفضي إلى نَفَق في الدهاليز
حتى أصلْ
قبل هذا، أحوصلُ أسئلتي، وأغربلها كالشعيرْ
حيثُ أنت تَصِلْ
حيث أنت تَصلْ.

مُناكَفَة البحر

يَشْلِفُ البحرُ قبّعتي، ليُساومَني لاحقاً
وألاحقُهُ: يا كثيرَ المُزاحْ
كان بَطّيخُهُ يانعاً في الرمالِ
ولاحقتُهُ ... صاحَ بي:
يا كسير الجناحْ
تعال إذا شئتَ: خُذها وصدَّقتُه،
ومشيتُ إليه كمن يتوسلُ أن يرسلَ
البحرُ فاكهةً في الصباحْ
يَكْحَتُ البحر أجسادنا المُتْعَبَة
بليفتِهِ لننامْ
على سُرُر البحر،
مرجانُها ... طافحٌ بالغرامْ
تَرَجَّيتُهُ، أيها البحر، كُن ناعماً كالأقاحْ
أنا لا أريدُ العراك ... فألق السلاحْ
ورَمْرمتُ شقحة بطيخةٍ ... يا سلامْ
مُثلَّجَةٍ كجبال سيبيريا ومفعمةٍ بأسىً
ثمَّ راوَدَني الانتقام
وحين أبى ردَّ قبّعتي
قمتُ جرَّسْتُهُ بقبيح الكلام.

نـــزجـــس

عَيَّروهُ بأنْفٍ يشقُّ عنانَ السماءْ
وبالنرجس الدمويّ الذي في الضلوعْ
وبالصمت والكبرياءِ، الذي أعْجَزَ الأنظمة
يُناطح أمكنةً، دُجِّنَتْ بالعصا والكرابيجِ، والمالِ، والأوسمة
يُناطحُ (كافورَ)، والشعراءَ الذين حَواليهِ،
ينتظرونَ النقودَ، بجثْـزيرهِ قيَّدَكْ
وإذا لم تكُنْ فاسداً ... أفْسَدَكْ.
يُناطحُ من أجل أنْ لا يكون المديحْ
سوى لفلسطينَ، والشُهداءِ، وأسرى السجونْ.
رَجُلٌ شاردٌ دائماً في حنايا الفضاءْ
رجلٌ لا يناسبُهُ الانحناءْ
قيل يُشبهني في التقاطيع
قيل: خصوصاً سوادُ العيونْ
رجلٌ واضحٌ غامضٌ وحزينْ
رَجُلٌ ساهمٌ في (لعلّ)، (عسى)
سابحٌ في بحار المُنى
إنَّهُ – دونَ لَفٍّ ولا دَوَرانٍ – أنا.

مكتب

ذهبتُ إليه في (البيرو)
فقال: غداً ستأتيني
فقلتُ له: غداً عرسي
فقال: غداً ستأتيني
فقلتُ: غداً تظاهرةٌ
من الأشجار للأحجار والطين
فقال: إذنْ فلسطيني
فقلتُ: نعمْ فلسطيني
- خيارُ الناس،
شعبُ السنديان الصَلْبِ

والزيتون والتين
- ولكنْ
ليس يعنيني.

زيـــارة

أراكِ كما القُرنفل يا القرنفلُ،
تلسعين الجُنْدَ بالكلمات والغضب الصموتِ،
ودقّةِ الكعب الشجاعةِ،
ثم عبر الليلِ،
صَدْراً دالعاً، سأراكِ،
أو غمّازةً في الخدّ والخَفَر الجميل، ورقّة الأشعارْ.
أشوفكِ تكنسينَ الحوشَ، والدار المرقعة،
العتيقة – (يا القرنفلُ) بالأناشيد الحزينةِ،
يا القرنفلُ،
كم جمعتِ الروثَ، والحطب المرطَّبَ بالندى،
والورد فوق حطام تلك الدارْ.
- أحاولُ أن أزور السجنَ من شهرين،
ما سَمَحوا ودمعي حامضٌ كالنار.
ذهبتُ إليكَ كي أهديكَ بعضاً من تجاعيدي
حطامُ الدار مثل طحين أعيادي
أحاولُ أن أدُسَّ القلب في المنديل،
بين حجارة الشُبّاكْ
أحاول أن أراكَ كما القرنفل يا القرنفلُ،
أسمعُ النبض الذي يشتاقُ،
لكنْ ... بيننا أسلاكْ
حمامُ السجن صار مُراقباً والغيم والأفلاكْ
أعود لأزرع الحاكورة الصفراء بالمرمَرْ
أعود لأزرع الأسماكْ
أعود ألملمُ الأحجارَ، لوْ في عتمةٍ من طينكِ الأسمرْ.

كريستال

أبَعْدَ ثلاث خيباتٍ،
يكون لقاؤنا كريستالْ!!!
أبعد القتل، والتقسيم، والتشقيق، والتجوالْ
وبعد القيلِ بعد القالْ
يكونُ لقاؤنا كريستالْ
لِكَوْنِ مدينتي تغفو،
على حجرٍ من الصلصالْ.
رأيتُ عدوَّنا يَهْرفْ
وما اختلّتْ موازيني
ودمعك – نازفاً – يذرفْ
على عيني
وتعرف أنني أعرفْ:

تعالَ نُرتّقُ الأحوالْ
تعال نعانقُ الزلزالْ
تعال نُدوْزنُ الموّالْ
أبعد ثلاث خيباتٍ،
يكون لقاؤنا كريستالْ!!!

افتيال

جِنرالٌ دخل التاريخ الرمليَّ،
رآها تائهة تتلوى دون دليلْ
كانت كالقشطةِ مثلَ صفاء البلّورْ
قتلتْ فتياناً قبل التاريخ وبعد التاريخ.
وكم اغتالت عيناها عشّاقاً وقُضاة.
كم ذاب الشعراءُ
من الوجدِ،
رأوْها في هودج عاشقها تتدلّى كالعنقودِ،
تُشعُّ كقنديلْ
في ليل الصحراء الموحش،
في أول قافلة الجيش،
تُضيءُ مقدمةً ومؤخرةً، ميمنةً أو ميسرةً،
كان العاشقُ في الساح يُقارعهمْ ويُجندلُ
مقتولاً خلف قتيلْ.
* * *
كافأه الجنرالُ بقيدٍ في الرُسْغ وزنزانة
وتعجَّبَ شعراءٌ ورُواةْ.
كان العاشق في السجن أسيرا
(أدْفأهُ) الجنرال الدمويُّ بطِعْنَةِ لمّاع مصقولْ
ليلاً، أخبرها أن العاشق حَزَّ القلبَ،
بشفرتهِ ... واحتلَّ الجنرالْ
جسد التاريخ، احتلَّ الجسدَ الممدودَ، سريرا
لكنْ
ما احتلَّ القلبَ ... ومات بعيرا.

حَـسُّـونـــة

قالت التونسيّةُ حين أتاها النبأ
غيمةٌ داكنة في مطار النخيل
غيمةٌ من خطيئة أجدادنا
أو خطأ.
غيمةٌ هاربة
من جمارك هذي الحدودْ
غيمةٌ من حليبْ
لا ألومكِ يا غيمةً من حليب
إن تغيَّبَ بعض الشهودْ

لا ألومكِ
إنَّ عيوني ترفُّ،
ومعناهُ أنَّكَ سوف تعودْ
غيمةٌ ستراك هنا
فوق هذا الصراط تميلْ
أيُّها التونسيُّ الجميلْ
أيها الولد القهوةُ الزنجبيلْ
أيها السامقُ المتعالي على الأرخبيلْ
أيها الطافح بالهمّ والوهم والكدح والاشتياقْ
أيها البَرْزَخُ الجبل الدَرْدَنيلْ
في خليج الوفا والعناقْ
قالت التونسيّةُ: سوف يجيءْ
غيمةٌ داكنة
حاملاً بَدَلَ البركة الآسنة
خنجراً لا يضيءْ
وأناشيدَ قد صدأتْ في الجروحْ
كنتُ ألمحها وهي تغسل شرشف طفلتها
في أعالي السطوحْ
كنتُ أسمعها، وهي تروي لجارتها
عن مواكب نوحْ
بعد أن غَدَرَ البحرُ، خانَ الرفاقْ
تركوه على حيط حاكورةٍ في السفوحْ.
أيّها التونسيُّ الجميلْ
إنَّ ديك الأسى غارقٌ في البَياضْ
لا ألومكَ إن عُدْتَ خالي الوفاضْ
جنّةٌ في السِياقْ
تحت أقدامهمْ، وعلى شجر الهندِ،
قد طوّحوكْ
لا ألومُ بنيكْ
إذا غمَّسوا الخبز في دمهمْ والحريقْ
لقد جوَّعوهمْ
كما جوَّعوكْ.

جذع مشترك

أيُّها الأصدقاءْ
واحدٌ منكُمُ خانني في المساءْ
* * *
حارسي طيلة السَنواتْ
أمرُهُ قد كُشِفْ
إنّني واثقٌ وبرغم غياب الأدلَّةِ،
أنَّ شراييْنَهُ ترتجفْ
حارسي طيلة السنواتْ

شاعر للأسفْ
قال لي: قد قرأنا على شمعةٍ
في الحَلَكْ.
ودَرَسْنا سويًّا
تذكّرتُ شيخاً جليلاً،
يُعاقِبُنا بعصاه الجليلةِ،
تحت الزياتين والتين،
كنَّا تلاميذهُ،
من محيط الخليج إلى ساحة المُعْتَرَكْ.
قال لي: إنّهُ بحرنا الظُلُماتْ
إنّهُ جذعنا المشترك.
راكضٌ خلفنا، ثم يمشي بأضلاعنا،
ويوحّدنا في فُلُكْ.
حارسي أصفر الوَجَنَاتْ
وله أذنان كأوراق شتلة تبغ،
وعيناهُ جاحظتان،
ويكتب خطّاً رديئاً، ويؤذي أباهُ مع الأصدقاءْ
تَقوَّسَ من شدّة الانحناءْ
عَجيْزَتُهُ دائماً في ارتخاءْ
كان يأكل خبزي، ويشرب خمري
ويقتاتُ من ركضهِ في ركابي
حين حاصرتُهُ بالإشاراتِ،
أوشَكَ أن يعترفْ
ودونَ مقدمةٍ أعلن الانصرافْ
فرَّ منزعجاً ... وارتَبَكْ
حارسي – كم نصحتُكَ عبر العلاماتِ،
ما ليس لي،
ليس والله لَكْ.
حين شمَّ قرنفلةً في يدي
قال لي: إنَّه بحرنا الظلماتْ
إنّه جذعنا المشترك.
قال لي: هذه الكَفُّ خانتْكَ، بل
خائنوكَ أنا.
حارسي ظلَّ مستوحشاً طيلة شهرين،
ماذا جرى يا تُرى في زوايا الغُرَفْ
حارسي ظلَّ مختبئاً، ويغطّي نذالتَهُ
بالسَعَفْ
أتُراهُ رأى أنَّ أمر حراسته قد كُشفْ
حارسي طيلة السنواتْ
شاعرٌ للأسَفْ.
* * *
أيُّها الأصدقاء
واحدٌ منكُمُ خانني في المساءْ.

جنازة البحر الميّت

مات بحري، وفي جوفه سلسلة
مات بحري،
على خصره قنبلة
فوق متراسهِ، قد نما العشبُ والأقحوانْ
ودمٌ فاسدٌ من زمانْ
الوعولُ الشجرْ
جَفَلَتْ من لظى الكهرباءْ
وانقطاعُ المطرْ
سَبَبٌ واضحٌ،
لمزيدٍ من الصبر والاتّقاءْ
يا جراد المفازاتِ،
إنَّ المُلوحة قد وصلتْ للقرارْ.
قبل يوم جنازتِه طُرحتْ مسألة:
منذ عشرين كان أفاقَ، وفجَّرَ سيلاً من الأسئلة
فلماذا يعود إلى النوم،
من بَعْد عشرين نار!!!
اسألوا الأشقياءْ
اسألوا الأعدقاء
اسألوا الأسئلة
اسألوا المسألة.

مَرْيَمات بيت لحم

أنا ... والمسيحُ الذي كان جاري هناكْ
المسيحُ الوفيُّ الأمينْ
شمَّ رائحة ... فانتَبَهْ
أنَّ مشنقةً تمَّ تفصيلها في الظلامْ
وأنَّ الوُشاةَ على النبع ينتظرون القرارْ
أنا والمسيح الذي كان جار الكرومْ
نراقبُ نجم المجوس،
فنلمحُ في الفجر عاشقةً من سَفَرْ
نفتشُ خبز الطوابين عن كوْمةٍ،
من وثائق هذا الخبرْ
هو العاشقُ التلحميُّ الذي
فاض صُبحاً مطر
وقلبي سيبقى إلى أبد الآبدينْ
جذور الزياتين والتين والمريميةِ،
في المُنحدرْ
نقيسُ المسافاتِ ... ما بيننا،
وما بيننا رَمْيةٌ ... لِحَجَرْ.
لأسفارنا في المدى نكهةٌ كالنوارس،

عطشانة كالنباتْ
وكفَّاي قد شُققتْ
كثياب المسيح على اللوح،
في ساعة الصلْب والمعجزاتْ.
أنا منزلٌ خلّعوهُ ورشّوا الرمادَ،
على أنهر الذبح والسَبَخاتْ
أشبّهُ نخل قُنَيْطرتي بالنساء
أشبِّهُ تطريزها التلحميَّ
بأثلام حقل الرعاة
تصحَّرَ قبل المطرْ
تُرى: هل أشبّهُ نخلكِ بالمريَماتْ
يخبّئنَ بعضَ الصناديق تحت سلال العنبْ
ليومٍ ... يقومُ المسيحُ على التلّة العالية
ليشربَ من دمعةِ الدالية
ليفتح أبواب هذي الصناديق،
في ليلة الانطلاقْ
أخيراً عرفنا لماذا النوى لا يُطاقْ.
هل المريماتُ اللواتي التحفن ثياب الوعودْ
يداوين في ليلة الصلب هذي القروحْ
تُراهنَّ صرنَ هوىً طازجاً في جبال الخليلْ
أم المريماتُ ندىً دافئات الخدودْ
كرُمّان حاكورةٍ لا تنامْ
هل زبيبُ الخليل، بنات الشآمْ
يحاورْنَه الآن في الزمن اللولبيْ
ألا فاسألوا التلحمية في السجن،
أو فاسألوا التلحميْ.

فـــنـــدق

منظرلمدينة أصيلة بالمغرب

قد صار لي غرفة
في المشرق العربيِّ،
لي منفى ولي غرفة
في المغرب العربيِّ،
لي منفى ولي غرفة.
طفلٌ يوعوع داخل الغرفة
وأنا أدخّنُ خارج الغرفة
سمَّيتُهُ كنعان،
باسم الأرجوان الرطبِ
باسم الأرض والصخرة.
القدسُ تشكركُمْ
اللدُّ والرملة
الكرمل العالي
والمرج والتلّة
وأنا وجفرا والحقائب والكُتُبْ
ثمَّ الغسيل، تليهِ دفّات الخزانةِ،
ثمَّ كنعانُ الجديدْ.
- جفرا تقول بأنَّ أشعاري
وما أشْبَهْ
ستُقرّبُ الدولة
البيتُ مهدومٌ،
والقلبُ مختومٌ،
العقلُ مختلٌّ،

الفعلُ مُعتلٌّ،
والأرضُ ... محتلّة.!!!

مطرُ الخناجر والحقول

لسهول عينيكِ انتظاري
صار تفاحاً ورمّاناً وتينْ
وتُنَقّطينَ بحبر دمعك في جراح الآخرينْ
من زرقة البحر الشهية ترسمين البحرَ
في الزمن اللقيط
بين الصّنوبر والصهيلْ
أيّ الأحبّة سوف أذكر أو أعَدّدُ أو أقولْ
هذي الفضاءات الرحيبةُ حنطة الغاوي،
ومِخْلاةُ الدليلْ
قد عيَّرتْني الفاتناتُ بعشق أحجار الخليلْ
وأنا قبلتُ لأنّها جفرا البَتولْ
ولأنّها المطر الربيعيُّ الخجولْ
ولأنّها أمّي ... وفوق صخورها هبط الرسولْ
وحقولها تلد الخناجر في الحقول.

مِقلاع

كُلّما أجّلْتُ ناري
صارت النارُ رمادَ الحَطَبَة
كلّما أشعلتُ غاري
أخضر العود تموت التجربة
ولهذا بين بينين،
أناخ الهمُّ والوهمُ،
على عوسجةٍ خضراءَ تقتاتُ،
قناديل خليج العَقَبة
لا تؤاخذني إذا فاض المطر
حين أستعجلُ فكَّ الرقبة
سيكون الوقتُ محصوراً على كفِّ سَقَرْ
بين مقلاع عجولٍ ... وحَجَرْ.

حجر كنعاني

الآنَ صرت منارةَ الضالّين عن هذا السبيل
الآن صرتِ مدينةً ومخيّماً وقرى وحارسةً
لأبواب الخليلْ
قد كنتِ من ملحٍ يطلُّ على البحار الميّتة
قد كنتِ من هلع تنادين الصقورَ مع المساءْ
والآن صرت شجاعةً وكريمةً ومحاصِرَةْ
والليلُ رغم مقامهِ حول الجُموع الهادرة
سيذوبُ هذا الليل، رغم الليل في هذي الدماءْ.

- ناديتُ يا حجر الخليلْ
كُنْ نجمةً أو نيزكاً أو كهرباءْ
كن طائراً، منقاره كالمقصلة
سدّدْ خطاك إلى القلوب المقفلة.
- الآن صرتَ وكنتَ قد أتعبتهُ،
هذا الجَسَدْ
طوّبتُ حبّك للأبد.

يريدونكمْ

يصعبُ الابتسامْ
في زمانٍ يُهان الحجرْ
ويُكَرَّمُ فيه لصوصُ الكلام
يصعب الابتسامْ.
يريدونكمْ حجراً كالصَنَمْ
مفاعيلَ من وَرَقٍ تهتفون: نعمْ
وبلا حجرٍ أو قلمْ
يريدونكمْ دون كنْعَنةٍ أو عَلَمْ
يريدونكمْ ثورةً دون نارْ
يريدونكمْ هكذا باختصار.

لهُمْ ... ولنا:

لهُمْ (الروكُ)، هُمْ دائماً في عَجَلْ
ولنا (الراي)، والميجنا في مساء القُبَلْ
ولهمْ كهرباءٌ مُلوَّنة تشتعلْ
ولنا القمر المكتملْ
ولهمْ ... كل هذي المدائح، هذي الصفوفْ
ولنا كل هذا الخسوفْ.
الهواء لهمْ
ولهمْ خبزُ هذي الكُرَةْ
لهُمُ الوعل والأيل والقبَّرة
ولنا حسرةُ الثرثرة
النساء الجميلات أيضاً لهمْ
في الهوى والغِناجْ
ولنا ... شدَّةُ الاحتجاجْ.
ولهمْ خمرةُ الدير بعد الغروبْ
ولنا الجُلْجُلَة
والتواريخ إن قرَّروا
ستُزَوِّرُ من أجلهمْ
ولنا كثرةُ الأسئلة.

حصار قسطاج

(أنا شاعر، وهو مجرد امبراطور!)-
(أوقيدا)

شجرٌ من غرامْ
أنزوي
أتوحَّدُ
أخشى مفاجأة الأصدقاء
وضجيج الترامْ.
فعلُنْ، فاعلنْ وفعولنْ وَفالْ
جذرها واحدٌ في الخليل وقرطاج حتى الغصونْ
موحدةٌ عندما تطرح المشكلة
هكذا أبدأ المرحلة
من مراكب كنعانَ في المتوسط تبحثُ
عن مرفأٍ في التخومْ
شجرٌ في الوعودْ
شجرٌ في الكلامْ
حين ردّوا السلامْ
أطلقوا نارهمْ في جفون القصيد
صار قلبي رُكاماً وراء الركامْ.
كوْمةٌ من حديدْ
(سيِّدي ... بوسعيدْ):
يا إلهي وقلبك فوق الصخور العتيقةِ
مرتجفاً كالغمامْ
كدتُ أصرخ: هذي الرعودْ
ستفاجئهمْ دون كل الأنامْ
وعلى السفح
حيث المقاهي رياضْ
داكناً منزلي
كان رغم البياض.
وعلى السفح مثل الخيولْ
كنتِ مجنونةً، والرفيقاتُ حولكِ مثل الحَرَسْ.

وفي الأذْنِ قُرْطٌ جميلْ
آهِ – قرطاجُ: وجهك سمح لذيذْ
حورةٌ ضامرٌ وعراقيبُها كالفرَسْ
وسرخَسُها غارقٌ هادئ في المدى
وسمرتُها ربّما من نبيذْ
فخذها زُبْدةً، ويداي الرغيفْ
ومائي
يُبلّلها بالندى
العيونُ مسائيةٌ كالغجرْ
تقدحان مطرْ
شجرٌ من شَرَرْ
وحشةٌ في ضجيج الصهيلْ
قال هاني لبعل الذؤابات في الفجر
هل غربتي قد تطولْ
ومتى يبدأ الصقر قرع الطبولْ
رشف الكأس ثمَّ ارتجفْ
حاصرته طيور الذهولْ
فجأةً
فجأةً أومضتْ في الخليلْ
صار قلبي رخامْ
كوْمةً من ضجرْ
صار قلبي حجرْ
أومض القلبُ ثانيةً في الخليلْ
صار كفّي حَجَرْ.
شجرٌ من طيوفْ
كدتُ أنسى مذابح أهلي
على صخرةٍ
وتَشَتُّتَنا، وانكسار الوَتَرْ
ورنين السيوف.
شجرٌ من غرامْ
وهْجكِ البربريّ العنيفْ
غابةٌ من حمامْ
غابةٌ من مطرْ
ومَساكِ يخيفْ
أومضتْ، أومضتْ في الخليلْ.
كان قلبي حَجَرْ.
صار كفّي حجرْ
* * *
اذبحوا الخوف فينا
يُشَرّشُ
حتى يثور الذليلْ
واركلوا جثة الخوف في حُفرةٍ
وبلا أثرٍ، أو دليلْ

خَرَسٌ وارفٌ كالنخيلْ
من خليج المحيطْ
من محيط الخليجْ
بكاءٌ يزلزل أركان هذي البيوتْ
نشيجٌ غميقْ.
نحاول مُلكاً، وقد لا نموتْ
نحاول حتى يشيب الوليدْ
نحاول حتى يذوب الحديدْ.
سيِّدي ... بوسَعيدْ:
نحاول مُلكاً ... وقد لا نموتْ
بثوب السُموم الذي أرسَلَتْهُ لنا الرومُ،
خلفكَ رومٌ، حواليكَ رومٌ، وفي الماء رومٌ،
وفي الشاي رومْ
في الصحافة رومٌ، وفي كُتب الجامعاتْ
في أسرَّةِ زوجاتنا في البُيوتْ
نحاول مُلكاً، وقد لا نموتْ.
يا امرأ القيْس،
مالي أراكَ حزيناً صموتْ
البلاغةُ ذمَّتُها واسعة
يا امرأ القيس
إنْ شئتَ قرطاجَ، لا بُدَّ من شوكها
ولا بُدَّ أن تتعفَّر قبل الوصولْ
يشدُّ ذراعكَ رملٌ،
يناديكَ نيلْ
يا امرأ القيس إنَّ السَمَوْألَ تاجرُ أسلحةٍ،
واسمه صِمُوئيلْ
البلاغةُ سيفٌ عتيقٌ كسولْ
دمها خَدَرٌ من كحولْ
ودمي من جراح الخليل.
البلاغة ذمّتها واسعة
حبرها طافحٌ في الجرائد مثل القُروحْ
يصبح القردُ في حبرها، ظَبْيَةً، والحصانُ
حمـارْ
وذاك يضيءُ يساراً، يَسارْ
فإذا أقبلتْ غيمة في النهارْ
صاحَ: هذا خراجي أنا والمسيحْ
وفي آخر الليل
يمضي يميناً ... ولا يسألُ
وآخرَ يُسعده اللهُ صام طويلاً، وأفطر كأسَ مديحْ
كذا ... أسْهَلُ
والبلاغة ذمّتها واسعة.
* * *
طافحٌ بالأناشيدِ والهمّ والهَمْهَماتْ

وحيداً أناطحُ في عزلتي صخرةً فاسدة
أرشُّ العواصف في بركةٍ راكدة
فهل قلبُ غانية مثل قلبي الجريحْ
وهل خازنُ المال في بيتكمْ
مثل كفّي النظيفْ
آهِ قرطاجُ لم يبق منكِ سوى
حجرٍ في المياه
أشربُ السُمَّ مثل أميرَتِنا حين حاصَرَها
الآبقونْ
كشفتْ فَرْجَها للثعالبِ، قالتْ: أنا حامضة
وعالية كالقطوفْ
لستُ صَدْراً لبعلٍ،
ولو دوَّدَتْ جثَّتي في السجونْ
باع قرطاج بالتبن والمزبلة
فاشترى الذلّ فوق الجبينْ
وهوى في النهاية في خشب المقصلة
أنا مثل – هاني – الذي
ما حنا البعلُ يوماً عليهْ
وناطح روما وحيداً،
ومات وحيداً على حجر الجُلْجُلَة
إنني فوق صدركِ قرطاجُ، وردتكِ المهملة
فانثري في عظامي نداك الحنونْ.
لستُ أرغبُ في السُمِّ يا حجر الجُلجلة:
لي رسائلُ من عنبٍ لم تصلْ
ولي حجرٌ مُهْملٌ في المتونْ
ولي كوم لحمٍ على جبلٍ في الخليلْ
ولي كرملٌ في المنافي بكى حين قالوا
له: يا ولدْ
أنت طفلٌ بلا دولةٍ أو نشيدْ
ولا عاصمة.
قال لي كرملي:
جائعٌ جائعٌ أبتاه
قلتُ: نبعٌ سيجري على قدميكْ
قال لي: شوكةٌ في يديكْ
قلتُ: يوماً يفيضُ الإلهْ.
بكأسٍ ... وخَضْرا ... ووجه حَسَنْ
في خليج القرودْ
يا زمان الأسى والسُدودْ
ما أنا من (غَزيَّة)، إن لهثتْ
كالجواري وراء اليهودْ.
في الزمان الرديءْ
كتبوا في الرقاعْ:
شمسُنا لا تضيءْ

دمنا في البقاعْ
لستَ منه بريءْ
لستُ منه بريء.
هل عرفتمْ لماذا، إذا ما اعتراهُ القنوطْ
ينسفُ القافلة
وجدار حبيبي غداً آيلاً للسقوطْ
إذا نام عشاقهُ في خلايا الوعودْ
هل عرفتمْ لماذا أنا راحلُ في مدائن لوطْ
هل مقامي على رملكمْ
هل مقامي على تربةٍ من صديدْ
آهِ – أفئدةٌ قاحلة
من مَحبّتنا ماحلة
كمقامك كنعانُ بين اليهودْ.
- كَذَبَ البائعُ الساحليُّ النَزقْ
كرملي من دم الأنبياءِ،
وكرملُهُ من ورقْ.
كيف يجمعُ (لينينَ – لانانَ) ... بين يديهْ
حيثُ راح يُغازلُ صورتَهُ، ويَعُدُّ النقودْ
ويُحصي القيودَ على مِعْصَمَيْهْ
وينتظر الفوزَ بالجائزةْ
لهذا، يُنافقُ، كي يُعجِبَ المترفينَ، وكافورَ،
ثمَّ جريدة صوت اليهودْ.
* * *
رقادٌ مريحٌ على شكل بلوى
وأسرى من الأسر للأسر،
غربتُهُمْ لافحة
وفي باب قرطاجَ بحرٌ عميقْ
وتزهو الطواويسُ، يعلو ويَعلو النقيقْ
الدجاجاتُ منثورةٌ فوق عوسجهمْ كالدقيقْ
في زنازينها سارحة
ولها الحقُ في الموت، أو في الكلامْ
ولها الحق في أن تكون فدائية في المنامْ.
وما أشبه اليوم بالبارحة
تُباع ببازار روما العتيقْ
جملةً كالرقيقْ.
طفحتْ في المدى الرائحة
لهذا، ولا بُدَّ من لطمةٍ جارحة
على باب قرطاج، حتى نفيقْ.
على باب قرطاج كان الضجرْ
وكان الرذاذ الخفيفْ:
رذاذٌ من الشرق يأتي، ويملأ نصف الحقولْ
رذاذٌ من الغرب يأتي، ويملأ نصف الحقولْ
عليك سيلتقيانْ

أإذا اجتمع المَلَكانْ
أإذا اتَّفق الملكانْ
ما الذي ستقولْ.
على باب قرطاج كان الضجرْ
وفي باب قرطاج شِقْتُ كلاب الأثرْ
رأيتُ خيولاً مضرّجةً بالذَهَبْ
خيولك بيروت، تلهو ببضع قروشْ
ويسألني الصحفيُّ سؤالاً رقيقاً:
أكانت ببيروت هذي الكروشْ!!!
أجبتُ وبهَّرتُ صوتي مضيفاً إليهِ
دماً وحريقاً
وبعضَ الرتوشْ
بلى، إنهمْ يشربون الأسى في المسا
ينامون في مهجعٍ وارفٍ كالنعوشْ
وينتظرون اجتماع الشتاتْ.
* * *
لُدغنا ثلاثينَ قبل الرحيلْ
لُدغنا ثلاثينَ في الفَجَواتْ
لُدغنا ثلاثينَ في المعركة
لماذا إذا هدأتْ نجمة الحربِ
تُعطى الجوائز للهاربين؟!!
يا امرأ القيس، احذرْ قميصكَ،
قد سَمَّموهُ،
وحاذِرْ خيوط مؤامرة العنكبوتْ
إنّها في قميصكَ، فانفِدْ بجلدكَ،
رُدَّ الهدايا لأصحابها، لا تكن خائفاً
لا تكن كوْمةً من سكوتْ
لئلاّ تموتَ، لئلاّ تموتَ، لئلاّ نموتْ.

صدرفي (1990)

الديوان التاسع

نصائح

حين تكون الجُملةُ مَخْفِيَّة
بدهاليز الفتنة، أوْ في قلب الريحْ
وتكون الجملة ضوءاً يجهل زيت القنديلْ
لا تشرحْ أسرار المنديلْ
بل يكفي أن تترك شيئاً للقال وللقيلْ
يكفي أن تترك للقارئ فسحة صمتٍ بيضاءْ
من أجل التأويلْ.

حين تكون الجملة مُتْقَنَة، مثل نساء الفاترينَاتْ
لا تسأل عن أسباب الرهبة، أوْ عن موت الرغباتْ.
إنْ جَمَحَتْ في كفّيكَ – الليلة – أكتافُ المُهْرَةْ
تهرسُكَ بعينها، وتدحرجك إلى قاع الحُفرةْ
فاجرحْ كفَّيكَ لهذا المطر الفاسدْ
كيما تتذكر راعية الملح ... وأشجارَ التوشيحْ
تحت الصخرة.
حين تكون الجملة صفراءْ
مثل الأورامْ
أو حين تكون الجملة مرميَّة
في أوحال الأوحامْ
وفضاء الجملة منغلقٌ مثل: نَعَمْ
في تربة هذي الصحراءْ
لا تَقْرَبْها
اذهبْ للنرجس في حوض الماءْ.

حين تكون الجملة طفلاً يثغو
للغيمة، والحجر الأحمر، وَرَهام النَوْ
حين تكون الجملة أدغالاً
يركض فيه الأرنبُ والواوي والثعلبُ
ما بين العتمة ... والضَوْ
اشربْ رضعتك البيضاءْ
خُذْ أوراقكَ وَارمِ النجمة للعَوْ.
لملمْ أسنان غزال البريَّة
وارمِ الأسنان البغلية
للشمس الغاربة كجنيَّة.

حين تكون الجُملة مرخيَّة
كهُلامْ
وأكونُ أنا مشدوداً في القوس، نبالاً وسهامْ
أتمدّدُ، أسترخي بعض الشيء على مَصْطبة الأيّامْ
مَنْسيّاً مثل الصخرة في بحر الأوهامْ
سيكون على الجملة حين تنامْ
أن تشتد قليلاً،
تتمطّى ثعباناً في الفجر يُحرّكني كغرامْ.

حينئذٍ
أتوغّلُ في الوَهَج، وتشتعل الغابة باللذّةْ
وعلى ظهري
أستلقي كقتيلِ
لأنامْ.

قصيدة جهويَّة

سأقدّمُ حكْماً ذاتيّاً لا يُلزم أحداً
من شعراء القرميد الطينيّ المرميّ على طُرقات الأجدادْ
لا يُلزم ميثاق الأمم المندثرة، قبل الميلاد، وبعد الميلادْ
لا يُلزم أحداً بالرقص على جمر الذكرى، ونبيذ الأعيادْ
لا يُلزم حتى راعية، ترعى الفقراء بباب الوادْ
لا يُلزم حتى مريم، أوْ نخلتها، أو بلح جدائلها.
بالتالي، لا يلزمني في محكمة الزيتونْ
حتى لو صرتُ خبيراً بخرائط أهلي.

سأقدّمُ حكماً ذاتيّاً! عَنَّ على بالي
دون مقدّمةٍ، أو تمهيد، أو تبريرْ
كالغيث الجبلي الطافح فاجأني
ثمّ تمدَّدَ كالطعنة في موّالي:
* * *

أنا ... والمسيحْ
وُلدنا بمنطقةٍ واحدةْ
فإذا لم يَطرْ في الصباح جناحي
عليك أن تقبض الريحَ
ثمّ تشُمَّ جراحي
مع التِفْلِ في القهوة الباردة.

أنا ... والمسيحْ
راعيان ... وضدَّ المجوسْ
فإذا لم تكُنْ قد لمحتَ القطيعْ
سارحاً في فضاء الجبال الفسيحْ
كأنّكَ ما شفتَ إلاّ الخرائط والعطر،
في الغربة الجامدة.

أنا ... والمسيحْ
مشينا على الشوكِ،
ثمّ المسامير،
ثمّ جُررنا وراء الخيولْ
وكانت ورائي جيوش المغولْ
تكزُّ بأسنانها الذهبية مثل اللصوصْ
على تلّة المنحدرْ
لِتَنْعَفَ في النهر كلَّ النصوصْ
حينذاك هُزمتُ وأطبق جيش الظلامْ.
قانعاً بالأناشيدِ،
مُفْعَمَةً بالتشابيه ثمّ رنين السيوفْ.

أرسم البحر كالجثة الهامدة
أعلّقها فوق جدرانهمْ ... في الرفوف
قانعاً بالصُوَرْ
ومريمُ في حقل تعذيبنا، نخلة شاهدة.

أنا ... والمسيحُ إذنْ:
ولدنا قُبالتَهُ، تحت ماء السماءْ
المسافة ما بيننا في ليالي الخطر
كالمسافة بين الشرايين والقلب،
ثمّ سلاسل حائطنا في الدماءْ
ثمّ هذا البنفسج فوق السياجْ
الحديقةُ والحوشُ يسرح فيه الدجاجْ
الكرومُ ... نفيفُ هواءٍ نظيفٍ، بَليلْ.
غفا التلحميُّ السماويُّ، يرشف كأس الفضاءْ
وأنا أتَمَضْمَضُ مِنْ عنب الأنبياءْ
فارع الروح والطول، قرب سماء الخليل.

دخان الأثاويل

قيل: كان الوحيد الذي قد نجا
بعد أن أغرقَ البحرُ أفلاكَ نوحْ
بعد عشرين مجزرةً ... ظلَّ يحمل نُقّافة،
ثمّ يخرج في الليل،
يبدأ قرع الطبولْ.
فارع الطول كالسَنْط بالذاتِ،
مثل صَنَوْبَرَةٍ،
قرب مدرستي في الخليلْ.

إنّهُ بدويٌّ
ولم يعرف البحر والرَخَوِيّات والأرجوانْ.
كان يلتقط الغيم في أرض كنعانَ،
يطرد عنه الدخانْ
ويشربُهُ دُفْعةً واحدةْ
لهذا غزا المَحْلُ تربتنا الواعدة
مرَّةً واحدة
حيثُ أنشدت النسْوَةُ الراجفات لإيل المَطرْ
في حنايا الزُقاقْ.

أصدّقُ يا عوجُ يا بنَ عِناقْ
بأنّكَ تلتقط الحوت من قاع أبيضنا المتوسطِ
عند حلول الظلامْ
وتشويه في الشمس،
حين تكونُ على بُعْدِ مليون عامْ.
لأنَّك ما كنت غير الندى في الجليلْ
لأنَّك زيتونة قرب مدرستي في الخليلْ.

الحبر ... والقصبة

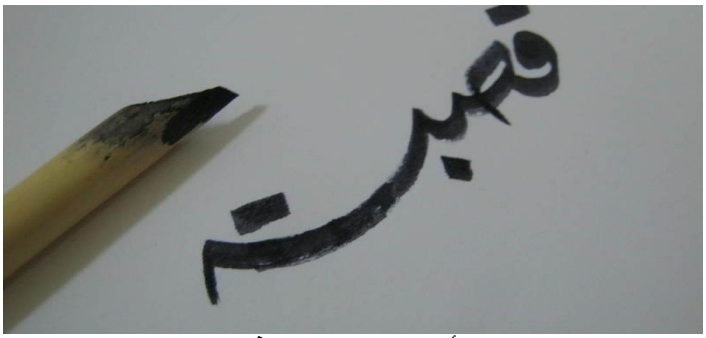

أعيدي لمهرك هذا
بهاء الخطوطْ
كأنَّكِ ما زلتِ مخطوطةً فوق طاولة المَشْرَحَة
كأنّكِ ترتجفين، وفي يدكِ المِرْوَحَة
وأنا أنفث الحبر بين التواءات هذي الخيوط.

سأمسك أقلامك المتعبة
وأكسرها واحداً واحداً في المساء على المصطبة
وأرسمُ قارب شهوتنا في سماء المحيط.
جرّبيني – ولو مرَّةً – يتها الجاحدة.

- قالت المحبرة:
لا تكبكبْ دمي دفعةً واحدة
وخذني برفقٍ على ساعديك،
اتخذني وسادتك الباردة
واخترقني
أنا فرَسٌ تستطيع صياغتها هكذا:
فرس تستطيع معالجتي
رُقعةً، رقعةً،
قِطعةً، قِطعةً،
أو تعلّقني ثُلثاً ... مثلاً:
نسخةً في صدور الدواوين، مهما تُقلّبني،
فأنا كوفةٌ وقرنفلةٌ في حواشي الغدير.
وأنا من حداد الحقول على قصب الماء
جئتُ مُجلّلةً بالحريرْ.
- يا – ابنَ مُقْلَةَ – ما هكذا
تؤخذ التجربة
عَنْوَةً،
وهي نائمةٌ في السريرْ.

غابة قلبي

أكظم الغيظ من أجلها
أكظم الغيظ حتى نعود إلى سهلها
أكظم الغيظ حتى أخففَ من قهر مريام:
حاراتها، وأساها، وأسلاكها، وينابيعها الشاعرة.
أكظم الغيظ، حاصرَني في المساء الرماديّ
جيشٌ من الهمّ والأعدقاءْ
من حُطام الخسارات في غابةٍ من حديدْ
من حطام الخسارات، صُغتُ معادلتي الخاسرة.

عندما نذرف الدمع من أجل مريام في مهجع الدائرةْ
قُرب منحدرات الجفافْ
يجمعون هواياتهمْ في نبيذ المساءْ
يسرقون علاماتنا،
ثمّ يغتصبون الأدلّة،
يقتسمون الخليلْ
يجمعون مناصبنا الشاغرة.

لم ألوث قميصي بمهزلة الاختلافْ
لم أوسخ بياضي بحبر النفاقْ
ثمّ كيف يُعاقبني الفاسدُ الوطنيُّ،
يُعاقبني المسخ،
بالخلع والطرد والاشتياقْ.
أكظم الغيظ من أجلها
أكظم الغيظ حتى نعود لمريام قبل طلوع النهار
تاركاً للوشاة جوائزهمْ
في الجدارْ
كقطيع النعاجْ
يمدحون اصفرار المعادن، ثمَّ رنين الخراجْ
وأنا أتبع الغيم والوعدَ ... والمنتظرْ
علَّهُ، لو هززتُ الجذوعَ، يَهُرُّ مطرْ.
* * *
لا يشبهني أحدٌ
لا أشبه أحداً
حين أغوص بقاع البحر الميّت، أستخرج آثامي،
وأعلّقها،
أنشرها في الليل على حبل القمر الولهانْ
سأنتّفُ ريشَ الحجل وأشويه مساءً،
ما أحلى حطب القيعانْ
ثمّ أمصمصهُ، ألقي بعظام النعناع
على إيقاع الصوت المتلاشي في الوديانْ
في قاع الوادْ
سأنادي الكرمة والبحر الميّت،
ثم أنادي كوكبة الرعيانْ
أسألهُمْ عن عطر الأديرة، وعن بطيخ السهل الأحمر
في مرج الغزلانْ
لا يجرؤ أحدٌ أن يشبهني
واسألْ إن كنت تكذّبني
جدّي كنعان.
لا يبقى في الزمن الصعب هُنا
لا يبقى في الساحة غير حْميدانْ
لا يبقى في الوادي غير حجارته ... وأنا.

البُلبُل شاكسني، ابنُ الكلبِ،
أقام عريشته فوق سياج حديقتنا الصخريَّة.
الشحرورُ ابتدأ حليبَ رضاعتهِ،
دشَّنها حفلة تغريدٍ وحُداء.
السنجابُ يُنطنط في غابة قلبي الوحشيَّة.
البُندقةُ اهترأتْ، شابت، تابَتْ،
كانت خضراء ... وبُنيَّة
كانت خضراء ملفعة بقناديل الضوء الطازجْ.

البحرُ الأحمر غازلها عن بُعدٍ، حرَّكها عن بُعدٍ،
مَدَّ رذاذ الرغبة في الجذر الدمويّ، وناداها
لكنْ لم تسمعْ.
البحر الميّتُ أعطاها تلاّت الملح، وأنهار الإثم،
فلم تأثَمْ
السنجاب تأوّه في صَلَفٍ، راح يُقشّرها
خضراءَ وآثمةً وعجوزاً كانت تحت المطر الأخضر.
البُلبُل كان ذليلاً، وهو يراقب قشرتها،
وزجاج نوافذها، يتناثر في قلب الماءْ
الماءُ انزعج لهذا،
ولهذا قام بترويج الإعلانات الصيفيّة.

لعطور الأسلاف وأعراف الخيل البدويَّة
لسماء اللغة الأولى المنتشرة في البريّة
الماءُ يبقبقُ مثل غريقٍ يتلاشى في الأفق الشرقيْ
البلبلُ يرمي بُندقةً، والشحرورُ ينامْ
الجسد لمريام
السنجاب نبيذ البحر المردومْ
لكنَّ الصوتَ صهيلٌ لبنات الرومْ
لا يغضب أحدٌ من أجلكِ يا مريامْ
لا يغضب أحدٌ من أجل المهدومْ
لا يغضب أحدٌ من أجلي.
* * *
أكظم الغيظ من أجلها
أكظم الغيظ، ثمَّ أفجّرهُ في الربيع
نيزكاً في عيون القطيعْ.

البحر المتدارك

البحر المُتدارِكُ، خَبَبُ الأنجم في الأفلاكْ
قفزاتُ فراشات البحر على عشب الميَّة
صوفُ النعجةِ في عوسجة مَنْسيَّة
صيّادون، مراكب في صَيْدونْ

البحر المتدارك، مثل هُلام الحلزونْ
خشب الورد، علاماتٌ وَشِباكْ
نَقْرةُ قُمريٍّ في الثلج على الشُبَّاكْ
تكتكةُ النقّار على غصن الزيتونْ.

البحرُ المتدارِكُ مشدودٌ مفتونْ
بالقافية الصوفيّة
آخُذُها من صوت الرعيانْ
آخذها من موّال آراميْ

آخذها من دندنةٍ صينيّة
آخذها من همس صبيّ لصبيَّة

البحر المتدارك، فاصلةٌ في سطرِ
نَبْرَةُ جِنيَّة
في شاطئ نهر معزولْ
مِشْيَةُ ينبوع
سَرْسَبَةُ الماء على الصخرةْ
وعويلُ الغولْ.

البحر المتدارك، أيضاً خَطْماتُ غزال البريّة
يتكسّر في المرعى المأهولْ
تمرٌ، نوقٌ، لبنٌ وكلامٌ مَعْسولْ
في الكتب الصفراءْ.

البحر المتداركُ رقصُ السُلطات المَعْنيَّة
فوق حطام الدور القصديريَّة
رخَويّاتٌ في الوادي
تتشمَّسُ بين الأشجارْ
حَيَّة
تتمطَّى، تتثاءبُ مثل نشيدٍ موشومْ
تُصهِصينُ الرومْ
مرثيَّة
ينشدها العاشق قرب البيت المهدومْ.
البحر المتداركُ، دقّات القلب المختومْ
حين تُفاجئُهُ الأخبارُ المَرْويَّة
أشعارٌ من حبق، تُروى في الحاناتْ
وجبال تتحرك حين يغازلها الزلزالْ
رعشةُ موّالِ هَيْمانْ.

أحمل أسئلتي ... وأدور بها بين الركبانْ
كغزالٍ مجروحٍ ولَهانْ
حين تكون الكلمةُ ... حمقاء وَنَيَّة
وتكون مفاصلنا في الأزماتْ
مَرْخيَّة.
أمسكُ أجوبتي، وأكزُّ على الأسنانْ
حتى لا يَدْهَمَني يأس القطعانْ
أهربُ للبحر المتدارك، أقتاتُ الأسماكْ
والطحلبَ فوق صخور المرجانْ
حتى لا أبقى مربوطاً بالأسلاكْ
حتى تأتيني جفرا في النوم كحوريَّة
وتوشوشني: لستَ بغلطانٍ، لست بغلطانْ
حين تغطيك جبال الملح، ويغمرك النسيانْ

خذ قدحاً من عنب يقينك، وارقص كالجانْ
فوق جبال الصوّانْ
لستَ بغلطانٍ، لست بغلطانْ.

إلى البحر خُذها

كانت النجمة الآفلة
ترتدي ثوب خالتها في الطريقْ
وتُفتّشُ عن مَهْربٍ للخلاصْ
وتغنّي بأطراف عنّابها: يا صديقْ
لا أرى داعياً للبلاغة، خُذني إلى البحر،
قدْ يطلقون الرصاصْ.

قلتُ: هذا الصباح الوسيم الأنيقْ
يوشوشني أنْ تعالْ
خلف أحجار وادي الرمالْ.
لم أواعد مع الفجر أيَّة قوقعةٍ،
قُنْدُسٍ، أو نقيقْ
لم أواعد بطاريق تلك الجزيرة، رهبانَها
المارقين بأجنحة النحل قبل الشُروقْ
العباءات سوداء في حضرة البحر،
في هجرة الطير، قبل انحراف الفصولْ
إذنْ – ما الذي جعل الرخويَّة تندهني مرّتينْ:
لا أرى مخرجاً، فإلى البحر خُذني غطاءً لبرد الشتاءْ
ثمّ شاهدتُ قافلةً من قطيع (ثرابانْدو)،
يهرّب سلعته في الشُقوقْ.
عسلاً طازجاً وسجائر من خَدَرٍ طافحٍ،
ثمّ شاهدتُ عطراً، قلائد لولو،
تذوقتُ صوتاً، شممتُ
غناءً لشاعرةٍ،
ثم شاهدتُ أكياس ملحٍ،
وحتى الدقيقْ.
ثمّ لم أنتبه أنّهُ شافني مُمسكاً
خصر قارورةٍ من نبيذٍ عتيقْ
صاح بي: أيّها البدويُّ العريقْ
لا تكنْ حائراً، وإلى البحر خُذها،
فقد يطلقون الرصاصْ
لا تكن من زجاجٍ، وخذها، إلى شجر الليموزينْ
لا تكن من ثلوجٍ، وخذها إلى غابةٍ خلف ذاك العَرينْ.
- خلف سور الصنوبر، كان الحريقْ
يحتويني ... وكان الغمامْ
ساتراً من وشاياتهم للمضيقْ
كان ذلك الزفير، وكان الفحيح، وكان الشهيقْ

ثمّ : واصلْ فتوحات أجدادك الأوّلينْ
صرختْ مُهرتي، وهي ترعى على قمّة عالية:
أيُّها البدوي الذي ليس يشبعُ من توتة الاحتراقْ
حَدَثَ الاختراقُ، لقد حدث الاختراقْ.

ظلَّ كنعان في الساعة الثامنة
يرشُّ على جبهتي الماء ... حتى أفيقْ
ولم أستطعْ يا أبي،
أنْ أرى جذوةً في صفاء الزجاجْ
لقد فرَّت النجمة الآفلة
ولم أتبيّنْ لها أثراً في الشقوقْ
وما ظلّ منها سوى جملة كالقصاصْ:
لا تكن خائفاً، وإلى البحر خذني،
هنا يطلقون الرصاصْ.

هاجَمتني الضباع

هاجمتني الضباعُ مع الغسق النرجسيّ
تلمّستُ ناراً وجرَّدتُها من ثياب الكلامْ
كلُّ أنحائها خاطبتني بصوتٍ رقيقِ:
نعمْ، لا تُلامْ
فاعلنْ تتمدّدُ عُريانةً، وفعولنْ تبادلني
الغمغمات، وسادتُها من رحيق المتونْ.
وبها أستعينْ
ضدَّ هذا الخراب اللعينْ.

هاجمتني الضباع ... وشاهدتُ أرجوحةً،
قبَساً في وريد النباتْ.
كنتُ ذاهبةً في المساء إلى دار خالي
ولم أستطع أن ألامس أسوارها الرائعة
فاتجهتُ شمالاً إلى التلّة الفارعة
لاحقتني الضباع إلى التلّة الفارعة
تشممتُ رائحةً ما تبيّنتُها
لم أجد شبهاً لتفاصيلها
فهربتُ إلى تينةٍ في شقوق الصخور الحرامْ
كان دافورها مثل كوز الذُرة
فوجدت أمامي هنا مجزرة.

هاجمتني ضباع البراري، وسدّت أمامي الطريقْ
فاتجهت يساراً، ولمّا أجدْ ثغرةً،
دُرْتُ صوب اليمينْ
خلعتُ المناديل، ثم السراويل،
ثمَّ تراجعتُ للخلفِ،

حتى أرى نقطةً من يقينْ
فوجدتُ اليمينْ
ابنَ عمّ اليسارْ
ووجدتُ اليسار
ابنَ عمّ اليمينْ.

هاجمتني الضباع،
وراحتْ تحاصرني من جميع الجهاتْ:
رأيتُ أمامي مباشرةً ... مِشْنَقة
رأيتُ الخناجر، وجهاً لوجهٍ،
وأحسستُ مخرزها في العيونْ.
دُرت نحو الأشقّاء،
لم يستمع لي أحدْ
وما شفْتُ لو دمعةً في عيون البناتْ
ولمْ يستمع لي أحدْ.

يطفحُ الذلُّ في الكائناتْ
تمّحي من قبائلنا الرعويَّةِ،
حلو الشمائل، أذبحُ،
حتى البلاغة صارت من المعجزاتْ
فأين ربيعُ الصفاتْ.

- دُرتُ عشرينَ، ثمّ اتجهتُ لناحيةٍ في الأمامْ
أمامك رومٌ، وخلفك رومٌ، وفي الجَنَباتْ
فقرّرتُ أن أطلق النار،
نحو جميع الجهاتْ.

... وقال رحمه الله ...

في وصف البحر الميت

كان جدّي يُربّي الخيول على تلّةٍ عالية
قال لي: كي أعوّدها أن ترى البحر،
وهو يُنازعُ، يلفظ آخر قذْفة نارْ.
تهيج الخيول، فترفسُ رمل الأعالي،
تصيح النساءُ: اهدئي يا جِرارُ، اهدئي
يا جرارْ.
قال لي: أقصد البحر، وهو يشقُّ الزحامْ
على خصرهِ نجمةً، وردةٌ، جُلّنار.

ينامون في الموج،
قد يقرؤون الجرائد ظهراً على ظهرهِ،
وأنا ساهر حول جثمانه، لا أنامْ

كقُرصٍ من النار أبدو
على غُرَّة الفرس الوتريَّةِ،
كنتُ جلبتُ لها عَلَفاً من أريحا ... وزُرتُ المقامْ
ولكنّها انقصَعَتْ مثل قوس الأفقْ
مثل بحركِ هذا الذي ... قمتُ زَعْزَعْتُهُ،
وهرشتُ شواطئه ... فانفلقْ
تناثر منه الصديد كرائحة القيح
في شهر تمّوز،
من دُمَّلٍ قابعٍ عند صُرّتهِ بالتمامْ.
- رحمةً بالحصان الجميل الذي يرفس الموتَ،
أطلقتُ كلّ الرصاص على صدر حبّي
هنا ... في المنام
النساءُ يَنُحْنَ على فرس البحر منذ قديم الزمانْ.
قال لي: مرَّةً ثُرْتُ، ثمّ َ هَمَدتُ على صدرها
في الظلامْ
وأدركتُ:
يحدث هذا مع البحر،
ليلاً،
ويا سيّدي
مرَّةً كلَّ عام.

أيّها الميّتُ الحيُّ مثل الشهيدْ
البراري هنا أجفلتْ من هدير الحديدْ
لأنَّكَ طوّقتَ بالرعب والشاحنات.
كنتُ شاهدتُهُ من أعالي الطفولة فوق السفوحْ
ذَهَباً لامعاً فوق سيفٍ جريحْ
علقمٌ طعْمُهُ مثل عَلْوَة شيحْ
المراكب تائهةٌ،
خشبٌ سابحٌ ... والمسامير
تمسكُ كمْشات ريحْ
وأنا أرقب الوعل والأيل
في فجَوات براري المسيحْ
أتابع راعيةً: قرطُها من عقيق الحجاز
خلاخيلها من نحاس الغجر
أساورُ كفيكِ مَلْويّةٌ كالأفاعي،
أناشيدُها، شبه مذبوحةٍ مثل بحر ذبيحْ
الشُوَيْهاتُ تمشي على التلّ، هادئة البال، مثل حجر.
قال لي: لا تكن خائفاً من صراخ الجنودْ
لا تكن عارياً راجفاً مثل عارْ
لا تكن مالحاً كجذور العَرارْ.
قال لي: جائعٌ وقويٌّ،
أناطح برد الليالي، وقيظ النهارْ
أنا الميّتُ الحيُّ بالموت دنَّرتُ نفسي

ولكنني أرفض الاندثارْ.

- لستُ كومة شوكٍ لتُحرقَ في أيّ وقتٍ،
هنا في زوايا الصباحْ
لستُ مخطوطةً في المخازن بلّلها الماءُ،
تمحونني في المطابع،
تذرونني في الرياحْ
أنا الميّتُ الحيُّ مثل الشهيد.

دار عمّتي جليلة

مُسَوَّرَةٌ بالأماني، وعشب الليالي،
طحالبُها في شُقوق الأفاعي
وأعشاشها كالقطوف الدَواني،
وأعنابُها خمرةٌ في الصَواني،
وعالية السور، والمشْرَبيّات ألوانها كالأغاني،
حوائطها من قشاني
وأحزانها من سُلالات كنعان، رائقةٌ في القناني
وما مَرَّ لصٌ على جفْتِ زيتونها الجَدِّ إلاّ ابتلاني
بطعنة سُمٍّ رماني
وما زال إثمي يلاحقني ... وأعاني
من النصّ يمتصُّ منّي الظلالْ.

جليلةٌ كانت على الرابية
تُنقمِشُ أرغفة قبل عيد الصليبْ
جليلةٌ مَرْويَّةٌ بالأناشيدِ،
من قصب الساقية.
أساورها من رخام الخليلْ
قلائدها من عقيق الشمالْ
تُجَمِّلُ طابونَها بالأغاني،
وتروي لعاشقها البدويّ،
مجازر عن سنوات الجفافْ
وفي ليلةٍ من دمٍ، حدث الاختطافْ.

جليلةٌ بنت الكروم، وأخت الرجالْ
خُطِفتْ، وهي في هودج
حوله حَرَسٌ من غَضَبْ
كان خاطفها تابعاً
من تبابعة الاحتلالْ
أقام لها عرسها الدمويّ، وألقمها فُستقاً من ذَهَبْ
ولكنّها،
هيَّأت موت جلاّدها،
حين حاول لمس قطوف العنبْ.

(كان سيفُ – كُلَيْبِ بن مُرَّة في الخابية
يُجندلُ هامة جلاّدها الطاغية
بضربته القاضية.).

في كريت حيث أُطلي

غيمة مارقة
أضجرتني
فلا هي مرَّت، ولا
سكبتْ دمعها فوق هذا الرفيدْ.
غيمة عابرة
على جذع بلّوطةٍ، تتلكَّع قُرب الحدودْ.
شرشها في عروق الصخورْ.
غيمة تَتَغَنَّجُ مثل الأساور في مِعْصَمٍ لَدِنٍ،
مثل إشراقة الآس والأقحوانِ،
على التلّ، مثل فحيح الجذورْ.
وكنعانُ حاول أن يتمطّى، ليمسكها
مثل عصفورة نادرةْ
غير أنَّ عراجين درب النخيلْ
لم تُطاوعْهُ ... فرَّت إلى الغربِ
نحو الجُزُرْ
فلاحقها ... ورماها حَجَرْ
صاح: يا غيمة من حليب الرضاعةِ:
هُرّي مطرْ.
هزأتْ منه في سِرّها،
أطلقتْ ضحكةً فاجرة:
- أيُّها الطفلُ لستُ حليبَ سَقَرْ
أنا لستُ ذاهبةً باتجاه – كريتْ.

عمّتي آمنة

عمَّتي آمنة
أشعلتْ موقد النار، بالغار، والروثِ،
والطاقة الكامنة
شمَّرتْ ردْنَها كي تُجَهِّزَ فصل الربيعْ
في الصباحات أبقارها سارحة
في التلال المحيطة بالقلب، أو في البقيعْ.

عمّتي آمنة
تثرثر عن نجمةٍ
شيَّعتْ قلبها في حنايا الصقيعْ
وطلّقها زوجها طلْقة بائنة.
تثرثر عن خبر سوف يأتي على غيمةِ الأسئلة
وعن زيت هذا السراج

يجفُّ بلا مطرٍ ... أوْ رَهامْ
وعن صبغة البيض بالعشبِ،
ليستْ على ما يُرامْ.
اذهبي نجمة الكرمِ،
إنّي أرى بيضة زائدة
خلف خُمِّ الدجاجْ.
في البداية كُنَّا جميعاً مع الماء بيضاً خَداجْ
نُطفةً في المياه
وفي شهر نيسان صرنا، وصار الرجالْ
يسحجون: هَلا يا هَلا يا هَلا
يا بنات الحُفَرْ
هو الخصبُ يأتي من الأيل
من أول الغيث فوق أعالي الجبالْ
من صهيل رعود المطرْ
تكون البساتين، ثمّ يكون السياجْ
ويُقسَّمُ بالعدل بين المساحات هذا الخراجْ
ويَنْبَلجُ الضوء في الظلمة الداكنة.

عمّتي آمنة
وزَّعتْ ورساً وشقائق نعمانَ،
هشَّت لها الكائناتْ
وجارتُها نثرتْ أسهُماً في الفضاءْ
نثرتُ أنجُماً ليلة الأربعاءْ
بلّلتْ غربتي ... ورؤوس البناتْ
خبّأتْ بيضةً زائدة
في ثنايا القميصْ
وقالت: غداً يُبعثون،
غداً سيكون الخميسْ
الطيور ستخرج من وَكْرها الحجريّ
مع اللحظة الراهنة.

عمّتي آمنة
أخرجتْ بيضة زائدة
من ثنايا القميصْ
لتلك التي طُلّقت طلقةً بائنة
كان يوم خميسْ.

نـــرجـــســـة

قبل عشرين عاماً ... وخمس سنينْ
شارداً كان قلبي،
وكان ابتهاجك بالطوق فوق صخور النجومْ
يومها قلتُ للنرجسة:

طوّقيني: ذراعاك من زبد البحر،
أو رغوتي في ثياب الحريرْ
ثمّ لا تعقفيني كما النون،
عند ارتخاء الجفون،
بعد عَصْف ليالي العبورْ.
نَرْجسيني قليلاً من الماءِ،
بعضَ البهاءْ
أشعليني كزلزال هذا الفضاءْ
واحرسيني من الملح، مثل النواطير في هَضَبات الكرومْ
وانثُريني – إذا مِتُّ – بين نعاج الغيومْ
واصفُري كرياح القلاعْ
ابعثيني كما تبعثين البذورْ
أيقظيني كما توقظين الطيورْ
في حِجاج الصخورْ
وإذا شئتِ، عودي إلى المدرسة
طفلةً في ثياب النُّشورْ
اتركيني هناك على الجُلْجُلة
في حدائق غابتكِ القاحلة.
- قالت النرجسة:
وردة من دم الشعراء أنا
وأنا النبع والجذر والهَلْوسَة
ومرآتهمْ في الجبال، إذا قصدوا الميجنا
عندما تتحول كل المرايا زجاجْ.
- البهاءُ من الأرض، والماء في ساحلي
قُرضة من غمام السماءْ
وأنا مُفلسة
إنني وقفة في الهوامش، لا في المتونْ
أيُّها الرعويُّ الحزينْ!!!

تشكيلات رعديّة

قال لي – وهو يرشف فنجان قهوتهِ،
يرحلونْ
قال لي – وهو يرفع جبهته للسماءِ،
يغازل سرب النوارس،
مرَّت على جهة البرّ، حيث الرعودْ
سيّدي – : إنّ هذي السطوحْ
لا تشابه قلبي، ولا الشَجَرات
يشابهن سرب البناتْ
ولا الرسمُ يشبه وجهي
ولا السوق تشبه سوقي
ولا الزيزفونُ، ولا الذكرياتْ.

تصوَّرْ: هنا ليس لي من جذورْ.

قال لي: كلُّ ما أورث البحرُ زرقتَهُ،
سوف يورثني الوقت،
هذي الحروب شجونْ.
قال لي: خنجرٌ في عروقي
وأخشى الصَدَأ
إذا كثرتْ في المنافي القرونْ!!.
قلتُ: يأتي الرَهامُ مع العصر، منتشراً في الكرومْ
قال: قد لا يكونْ.
لا تَقُلْ في ذراعي وسامْ
وفي قدمي رجَّةٌ من شظايا الهُتافْ
سوف تحصلُ حتماً على رمْيةٍ في السجونْ.
قال لي – وهو ينهي مواعظه القُدسيّة: إني أخافْ
أرى أنَّ قلبي ... وقلبك، شابا،
وزيتوننا ... في نشافْ
وأهرقَ من جرحه، من حواشي العيونْ
دمعةً في المتون.
قال: إنّي أخاف.

- قلتُ: إنّي أرى فوق تلك الجبال التي
رجعتْ قهقرى
غنماً سارحاً في الشعابْ
أرى مطراً قادماً في طبول الرعودْ
عبر تشكيلة البرق عبر الخرابْ
أرى قلعةً من ندىً
في أعالي السحاب
أرى دولةً في مسار السُرى
قال لي – وهو يكسر فنجانه – : يا ترى
يا ترى يا ترى.

عاصفةٌ من طفلٍ أكحل

زَبَدٌ أكحلُ،
ثوبٌ مَسْمُومٌ،
ومسافاتْ.
جملٌ أخضرُ،
ثمّ غرابٌ،
ورضيعان،
امرأةٌ،
نهرٌ،
طرقاتْ.
الطفلُ الأول في ضفّتهِ الأولى، ما مَسَّدَ فوق ضفيرتها

الطفلُ الثاني في ضفّته الأخرى ماتْ.
مع هذا ظلَّتْ – أمُّ الغيث الزَرْقا – تتلوَّى في القنَواتْ
زرعتْ عَلَماً، فبكتْ ألماً، حصدتْ ندماً ... ونُدوبْ
حلفتْ، لكنْ ظلَّت بين البرَّين تلوبْ.
ذَهَبٌ في قاع البحر يموء كأنثى
في كأس عصيرٍ أشربها فجراً في الشُّرُفاتْ.
قفْرٌ رعويٌّ وطبول رعودٍ، برقٌ وغيومْ
لغتي بيت مَنْسوفٌ ... أو مَهْدومْ
تذكار سجين يتناثر ورْداً،
وفسائلَ من وجع ... ولغاتْ.
شجرُ الرعدِ نقوشٌ، كنعانيّاتٌ محلولات الشَعْر
عساليجُ كرومْ.
لغتي أعراسٌ وصهيل وجنازاتْ
وأنا مزروعٌ في العُزلةِ، مفتونٌ بحمير الوحش،
مخطّطة كسطور المخطوطاتْ.
زبدٌ أكحلُ، ثوبٌ مسمومٌ ... ومسافاتْ
أتفيّأ شجراً، يتقيأ نحلاً، يتقيأ عسلاً،
كنقائك في الشمس، وراء البلُّورْ
وأرشُّ أسايَ على الدربِ الأزليِّ،
وفوق صفائح جبل الطُورْ
أمتصُّ ندى التين، وأقرأ فصلاً من سحر العنبِ
الدابوقيّ لسيّدة التفاح الكنعانيْ
كانت من أعلى جبل الأيل، تُبصْبِصُ في ساحتها
في حقلٍ مهجورْ
كم شجرة بلّوط، شَنَقَتْ قُدّلتها في قلب زجاجة
وشَوَتْ حبّتها سأماً في قاع الشمس الوهَّاجة.
حين يكونُ النصُّ
غراباً، شرب البحر الأسودَ، قرب الغابة
ما عرفَ الدمعة في عين الأرملةِ،
وما قبَّلَ أوسمةً لشهيدْ.
حين يكون النصُّ
جليداً مختوماً، أوْ مائدةً في قاع سماواتْ.
ويكونُ عمود الشعر، اسمنتاً صلباً لا دمعة فيهِ،
إذا عصفتْ في القلب، الأزماتْ
أو يبقى كهُلامٍ، وخداعِ رَخْوٍ في طوْر التكوينْ
نسمعُ جعجعةً دون رصيدٍ، أو نسمع هَمْساً
أو خوفاً ... وتصير الموجةُ تلو الموجةِ
فُقَّاعاتْ.
من زبد البحر من الهامش بالذاتْ
زَبَدٌ أكحلُ، ثوبٌ مسموم، ومسافات.
أعرفُهمْ في حضرته مثل كلاب الصيد،
يلوكون الكلماتْ
أعرفهم مثل الجاشنكير،

يذوقون طعام السيِّد في السَهَراتْ
حتى لا تصل إليه ينابيعُ القلَواتْ
الشعراء المَرْخيّون، إذا طال الليلُ، وحوصرنا
برُكام الأفيونْ
الشعراء المُرجئةُ إذا شمّوا عطر الليمونْ
الشعراء النمَّامونْ
أعداء الحجر الكنعانيّ، وأعداء رُماة المقلاع،
وأعداء الزيتونْ.
ما أطيب قلب الشاعر، حين يصدّقهمْ
يحمل في الكفّ وثيقة ذَبْحهْ
ويدور بها من باب الحرص على الإيصالْ
يَتَنَقَّلُ أيّاماً وشهوراً فوق بعيرٍ،
كي يصل إلى حَتْفِهْ.
والآخر، ذاك الغامضُ يجري مثل العاصفة الهوجاءْ
كتب قصيدته عن عاشقةٍ نرجسةٍ،
تتخايل في قعر الماءْ
نالوا جائزةً منحتها نرجسة الماءْ
لعبيد الشعر المائيْ
العاشق في صحراء الأبديّة مرميْ
يتناوشه الثعلبُ والضبعُ،
الواوي والجُندبُ والضبْ
زَبدٌ يوصلُ مكتوباً
رملٌ لا يصل إلى الحُبْ.
وأظُنّ – وبعض الظنِّ سرابٌ،
أنَّ عليَّ بنَ الجَهْمِ، يُشابهني
أرعى في جبل الملح شجيرات الشيحْ.
حين ركبتُ الناقة، أقصد أسوار حدائقهمْ
في أعشاش الوقواقْ
أشهد أنّي كنت فتىً مَمْصوصَ العودْ
وسمعت ضجيج مدائنهمْ، وشمَمْتُ الطقس الرطبْ
في الزمن الصعبِ، الصعب الصَعْبْ.
رشّوني بالعطر، صحوتُ من الندم، ولكنَّ الفتنة ملحٌ
ذاب وغابْ
فتّشتُ حدائقهمْ عنها، وسألت العنَّابْ.
أنكرني النهرُ، وأنكرني الجسرُ، وأنكرني الشعراء الوقواقيّونْ
حينئذٍ، قرّرتُ الهرب إلى الداخلْ
فهناك الكنعانيّاتُ يُلملمن الدمع، ويَقْصُصنَ جدائلْ
حتى نشعل نيران الثلج، ونغسل رمل القلبْ
زبدٌ لا يوصل مكتوباً، رملٌ لا يصل إلى الحُبْ.
أمّا – وضَّاحُ – فقد سَلَبَ امرأة السيّدِ
فرصتها، وجديلتها، واللُّبْ
كانت كنبيذ جرارٍ في شلاَّلْ
كانت مرعىً للسيّدِ، مملكة للنرجس

مزرعةٌ للشاعر ... والقوّالْ
كانت تخفيه عن العَسَسِ تُدغدغهُ بالشالِ
وتقرصُهُ في الخالْ.
يبدو لي
أنَّ الشاعر قد فضَّ حداثتها، فاشتعلت، أو سُحرتْ
أمّا الصندوقُ، فقد كان من الخشب الورديِّ
ومن صُنْع الراوي.
يبدو لي
والله تعالى أعلمُ
أنَّ السيّد ولْهانْ
جملٌ أخضرُ،
عِنّينٌ أصفرُ
وله قرنان.
عاصفةٌ تمشي فوق رصيف تتباهى
تحرق أفئدة القُطعانْ
مِشْيتها فِتنٌ كبرى
فلفلة كحلاءُ ... وحارقةٌ، مشيتُها
مثل صنوبرةٍ ... ومعاركُ وهراوات.
عنقودٌ من ياقوت أو ماسْ
تَهْتَزُّ الأرضُ لخطبتها،
فيسيلُ التلُّ على الماءِ لكي تصبح تِلْماسْ
وانهمرتْ أمطار ينابيع النوميديين، فصارت
مدرسةً وقلاعْ
حتى إن خرج الورد من الحجر، تدلَّى الحلزونْ
مَشْويًّا بالملح، اشتاق العلاّمةُ عبدُ الرحمنْ
أن يخرج من قلب مغارته في أوَّل أبريلْ
يتوكّأ في العتمة كتفَ القنديلْ:
كتب مقدمةٌ،
يتلوها تمهيدٌ، أبوابٌ، وفصولْ
أمّا الخاتمةُ، فقد كانت نصّاً مفتوحاً للتنقيحْ.
ثم أقيمت حول الماء خيامٌ وخيولْ
تتحنجل عاصفةٌ في الأعراسْ
خلخال حبيبي حجرٌ ونحاسْ
وتراني عاصفةُ الفلفل مذعوراً،
أهربُ من همس الوسواس الخنّاسْ
أهرب نحو الوحشةِ مفتوناً بالفتنةِ والناسْ
لقلاع الحاضر،
ليمون القرطِ،
وقمح السَهْل.
أنتِ الفتنةُ،
والقتلُ،
وأنتِ أشدُّ من القتلْ.
عاصفةٌ تمضي تتركني وحدي في الوحلْ

عند بساتين القرَويّينْ
عند دكاكين الحِرفيّينْ
ما بين الدار البيضاء ... وفاسْ
حيث يطيحُ النوءُ حنوناً، فيُبلل قلبي الولهانْ
قلبي الممتدّ إلى قرطاج، وضلعي الممتدّ إلى وهرانْ.
ما دُئْبُ القافية إذا جاءت تَسْعى
لَيّنَةً كالأفعى.

مـــفـــاوضـــات

الينابيعُ والورد كانت، وهشَّتْ لمقدمها، وانحنتْ مرّتينْ
لبياض جدائلها، ولغدفتها، ثمّ َ منديلها الساحليّ الرصينْ.
فاضطررتُ لأن أحمل الفأس، أرفعه عَلَماً،
كان زُرّاع تبغِكِ، قد أيقظوا النسوة الحالماتِ
بعشب، يغطّي تَصَحُّرَ أفئدةٍ في المكانْ
كان حَجَّارُكِ الجبليُّ قد اقتطع الشِحفة الدمويَّة،
حيث الرخام المكينْ
في فضاء السفوح، لكي يَبْتَني برلمانْ.
كانت التينةُ النبويَّةُ تهذي
عن النَفَل المُتساقط في الماءِ، ثمّ َ انحنتْ مرّتينْ
في السلاسل خَرّوبة وشوشتْ جارة الماءِ في الليلِ،
فانبجستْ ضاحكة
زغزغتها العصافير، فانشقحتْ فلقتينْ
تناوشتُ واحدةً، بمهارة قطٍّ، وأخرى
هَوَتْ في البقيعْ.
كانت الدالية
تَتَلَوْلَحُ مفتونة في فضاء البراري العتيقةِ،
كالدمع في سقف غارٍ عَميق من الأرجوانْ
تُجهّز أكواب فرحتها، ليلة الأقحوانْ.
كانت الأمّهاتْ
يطرّزن عرقاً من السَعْف فوق الصدورْ
يُهاهين فوق شواهدهم في الخلاءْ.
كانت السَعْفة المائلة
تُجرجرني للكلام عن النبعة الجارية.
كان شيخٌ يقصُّ الروايات في ساحة البئر،
عن غضب البحر: زلزاله في الضلوعْ
وعن عشبة المريميَّة، حيث تخبّأ فيها يسوعْ.
كانت المطبعة
تحرّك أسنانها بالمناشير قرب الحدودْ.
الينابيع والورد كانت، وَهَشّتْ لمقدمها، وانحنتْ مرّتينْ
عندما هبطتْ تحمل الشمع في درج الغرفة العالية
في كمال غلالتها في الربيع.
قالت الدالية:

تتقصَّعُ سيّدتي الغالية
بكمال غلالتها ... وأمام الجميعْ
عندما وزَّ من جهة الرمل هذا الرصاص الجديدْ
هوى البعضُ في مرمر التجربة
أيّها الرعويُّ السموحُ العنيدْ
ازرع الرُمح هذا
أمام الخيامْ
في الثغور التي لا تنامْ
قُل لهمْ: إنني المشكلة
منذ عصر الجليدْ.

وجهة نظر

قال لي،
وهو يومئ للبحر: اكتُبْ عن البحر،
عن زبد البحر،
اكتُبْ على صخرة من رخامْ
بقايا الكلامْ.
قال: اكتبْ عن النرجسة
تحمل الآن في كفّها دفتر المدرسة
ثمّ انظرْ إلى قُبلة التوتِ،
مَوْضعَ غمّازةِ الخدِّ،
انظر إلى مِشْية الفارسة
فوق هذا السياج الحرام.
قال لي إنَّه قارئ الضدِّ،
اكتب عن الهامشيين في آخر السطر،
اكتب عن الخنفساءْ
وهي تدخلُ في الليل فوق سريركَ،
تهرش أطرافك البالية.
قال لي – ثمّ َ، اكتبْ عن الراعية
عن القزّ والنحل، اكتُبْ عن الساقية.
- أراهنُ: قد تتعب الماشية
في مكاتبها الأبنوس، تنِمُّ لكي تُطعم المتعبينْ
قال: وانظرْ لقُبَّعة الجنرال الموشّاةِ بالمادحينْ
قد يدور النفاقُ، ويجلس حيث سَلَكْ.
عن الطبْل والزَمْر، والرقص والخمر،
والكاس والطاس، والناس والماس والمُعتركْ
وعن نسبة العقل في مائلات الرؤوسْ
وعن تأتآت الرئيسْ
سَيغضبُ ... إنْ لم تكن فاسداً ... أفسدكْ.

قلتُ: مهلاً
تشعلقَ قلبي طيور الخيامْ

أخي أيّها الثلج في طرقات النُعاسْ
أخي، ترجموك إلى كومةٍ من عظامْ
وأنا يانعٌ مثل نعناع مريام، صعب المرام.

احتمالات

هَدْأةُ الليل، هذا الرضيعُ يشاغلنا بالبكاءْ
ما لَهُ يتلمَّسُ أيَّ سببْ؟!!
ربّما كان هذا البكاء
بقية دمع النهار على طاولات المساءْ.
أراجعُ دفتر أحزانهِ،
كِلْمَة، كِلْمَة،
كنتُ طعَّمتُهُ إبرتين فقطْ:
إبرةٌ ضدَّ هذا الجليدْ
وأخرى تُحصّنُهُ ضد هذا الفساد الأكيدْ
واحتمالٌ يظلُّ:
رأى لعبةً في حنايا السماءْ
جاهداً ظلَّ يرشقُها بثمار العنبْ
ما لَهُ يتلمَّسُ أيَّ سَبَبْ!!!
الأكيدُ الأكيدُ المُرجّحُ في كتب الجامعاتْ
أن يكون رأى
دولة في الفضاء الفسيح،
وعاصمةً في الهواء الجريح،
وحاول إمساكها ... في المنامْ
فاستطاع الوصول إلى المرجئة
ولم يستطعْ أن يُشير لأيّ سَبَبْ
ولم يستطعْ
أنْ يُنشّفَ دمع الخليل، وعكَّا،
ورمل النَقَبْ.

وسواسْ أبيض

حين كان العَلَمْ
مِزَقاً لُطّختْ بأساكَ، اتعظت من الأولينَ،
ولَمْلَمتَهُ، ونسجتَ لكنعان مجذافهُ،
لدليلة ضِلْعاً من الشجر الكرمليّ، وأرسلتهُ
عالياً عالياً في الندى، قرب باب الحديدْ.
ثمّ رَتَّقْتَهُ في ليالي السَهَرْ.
ثمّ صُغْتَ القماش، تدفّأت في ظِلّهِ
رايةً من ثياب الرضيعْ
الحصى قُمتَ حوّلتَهُ نجمةً في الثريدْ.

حين كان العلمْ
غامضاً ... والهويَّةُ غامضة،

كنت أمسكتَهُ، ورتقتَ مع الليل عَوْراتهمْ،
ولكنّهمْ يلغون بلا خجلٍ،
يركضون إلى كعكة النطْنَطة.
بعد هذا وذلك شاهدتَهُمْ
يصلبون النشيدْ
ويقتسمون تفاصيله بالصراخ، وبالبلطجة.

وأنا ما مَدَدْتُ يدي
وما نابني منه غير الأنينْ.
كلُّ ما أطلبُ الآن جرعة ماءْ
الأغاني التي سَرْسَبَتْ في دمي دنْدنة
وإنْ لم يكنْ
كلُّ ما أطلبُ الآن، قبراً على تلَّةٍ
في أعالي كروم النصارى، أموتُ على مئذنة
تحت داليةٍ مُزْمِنَة
أقابلُ بحري الذي عاش في سالف الأزمنة
عندما وصل السمُّ فيه الوريدْ.
- تقولون: قلبي ينـزُّ الصَديدْ
شاعرٌ غارق في الملوحةِ،
في سَبَخات الأنا
بعد مقتله خلف طاولة الرسم في غابة الثلج،
والنار والمذبحة
صرتُ أتبعُ زيتونة نائحة.

لملموا في النهار مناصبنا الشاغرةْ
لا يَهُمُّ إذا اقتسموا البرتقالْ
أو رَمَوْا كومة الأسئلة
إنَّما سوف يقتلني الخوفُ في سَبَخات الأنا
إذا اقتسموا الميجنا
أنْ أظلَّ وحيداً ... هنا.

رخويَّات ... طُنجَة

مرَّت الناعسة
قُربنا، فطرحنا عليها ابتسامتنا الناعسة
مرَّت النسوة الغامضاتْ
يُعلّقنَ فوق الصدور ... البياضَ على اللافتاتْ
مرَّت الجوقة البلديةُ، تحكي عن السهل،
قافلةٌ من بهاء أناشيدها الطازجة
فرشقنا بآهاتنا، صمت هذي السماء.
مرَّت العرباتْ
مُحمَّلَةً بالحقائب، والورد، والسائحاتْ
لكي تمسك الضفَّة الغائبة
مرَّت الرَغباتْ
كي ترى وشم أندلسٍ في البياضْ
فاقترحنا بأن يذهب الفحل منّا
لملءِ السطور اعتراضاً وراء اعتراضْ
مرَّت الرخويّاتُ قبل رنين الكؤوسْ
فقُلنا، تكونين رائعةً في نبيذ الرؤوسْ.

- عند غياب الشمس الأندلسيَّة.
عند عناق المتوسط والأطلس،
عند السفح المهجورْ
شركاتٌ تبلع أغصان النورْ
شركاتٌ تبصق أبنية،
من أجل ضحايا سنوات الوَقْفةِ في الطابورْ.
أرخيتُ ستائر نسياني فوق النافذة الجبليَّة
في نُزْلِ الوكر الأندلسيْ،
نخلاتٌ من رجز البحر، وساقيةُ نبيذٍ تَنْعَبْ
وامرأةٌ في رأس الطلعة قبل المغرب، تتعَبْ.
ثم رأيتُ منازل سوق الحرفيين تطارد لقمتها،
وكأنَّكِ يا طنجةُ، برزخ هذا الوهم الفاصل
بين الحمَّالين، وأفواج المَنْسيين.
حيثُ الأطلس والمتوسط، يمتدحان سماحةَ هذا الماءْ.
لصهيل الأطلس، طعم لحوم الخيل المشويَّة
في السفح الولهانْ
وكأنّك يا طارقُ تنتظر الخلجانْ
بين سماء النورس،
والضوء الخافت،
حتى تهدأ قبل الفجر الوَسْنانْ
وكأنَّ الآخرَ ... ثعبان.
جئناها كيتامى أربعة حروبٍ،
ظلّوا ينتظرون الفرسانْ
قالتْ: إنْ شئتَ الدقَّة في تاريخ
الحاشية، وأنواع غناء الرُبَّانْ

أو أسماء قراصنةٍ نُقشتْ في جدران الخانْ
إن شئتَ ملامسة الضوءِ، سماع كلامِ الرعيانْ
فاسمعني الآن، الآن، الآنْ:
اذهبْ للصخرة بين السفح
وبين البحر ... تراه
يروي أشعاراً، ويُعدّل خُطْبَتَهُ،
ما بين صلاةٍ ... وصلاة
وفق كلام رعاةٍ سمعوها شخصيّاً منهُ،
ويحفظها البحر ... كما يحفظها الزيتونْ
كان – المُرجئةُ – يَعُدُّونَ عليه الأخطاء النحويَّة
واحدةً تلو الأخرى،
ويقيسون مسافات البحر الغجريّ المجنونْ
ما بين الفاعل والمفعول،
والخبر المتقدّم، والصرف، وأحوال التنوينْ.

بعد سماعي أكثر من أربعة رواةٍ، ناديتُ
الماء المالح، والخلّ مع الليمونْ
وخَلَطْتُ حنيني القادم
بالتوشيح القادم من نافذةٍ
في سوق العشّابينْ
قالت: إنْ تعبوا في الليل يُغنّونْ
إنْ ذكروا الزعتر يبكون.
لكنَّ الرَخويّات الأندلسية، نادتني في الفجر:
ادْخُلْ حوض النرجس
ادخلْ حوض النعناع البريّ
ادخلْ في حوض قرنفلة النفق السرّيْ
ادخلْ مزهوّاً بين الجبلينْ
ادخلْ في قاع النخلاتْ
ارفع بين يديك الغصنينْ
ادخُلْ في حوض النرجس.
- ادخُلْ – حاصرني الخجلُ، وكان الحجل المَشْويْ
يندهني، كانت دندنة من عودٍ أندلسيْ
تندهني ... والرخويّاتْ
لم أدْخُلْ حوض النرجس
يا مُهْراً يرقبني ما بين الثغرات
ثمّ غفوتُ قليلاً، فسمعتُ صراخاً،
دقدقةً في آخر خيطٍ من غسقي تندهني:
لا ترِدِ الماءْ
لا ترد الماء
يا ولداً مسكوناً بالرعب الدائمْ
كانت حلزونةُ هذا الوقت النائمْ
في رحم الأشياءْ
تندهني ... والحقُّ يُقالْ

مدَّت شاربها الأوحد من قوقعةٍ بيضاء وسمراءْ
قالت في غنجٍ مسموع
لم أشهد لحناً يشبههُ من قبْلْ:

(بالليمون وبالثوم وبالماء الحارْ
قال الدّبوس الملتصق بجدران الإبهامْ:
إنني جاهزٌ دائماً كوسيط مجّانا
وقلّما أنفع لغير هذا.
قالت الحلزونة، وهي تمدُّ شواربها:
عندئذ تكون نهايتي الأبدية
طيّبة للغاية.)[1]

بالليمون، وهل غير الليمونْ
بالثوم وبالماء الحارْ.

- ظلَّ عبدُ اللطيفْ
يُطقطقُ معلقةً فوق كأس النبيذْ
وطنجةُ نائمة،
في غمائر هذا الغناء الحزين اللذيذْ
الغناءُ الذي يربط القلب بالقلبِ،
هذا الغناءُ الذي سمع النبضُ مأساته،
ابتدأتْ هكذا:

نار حبّي مطوَّقة بالبحار، وجمرتُهُ قايدهْ
تشنشل قلبي من الحزن،
نَهْنَهَني الدمع، حتى الرعاة
على جبل الأيل ناموا
نسوا جمرة موقدة
خلاخيل حبّي على فرسٍ من رخامْ
ومرَّت رفوف الحمام
على غصن قلبي تغني ... وحرقتها (قايدة).

بين طنجة – تطوان، كان الدخانْ
علامة ترحالهمْ خلف أسلاك تلك الحدودْ
شالُ كنعان ملفوفةً مثل قرن غزال
في تقاطيعهِ جمرةٌ في الحَشا قايدة
نوى سيّدي، ناره في السحاب
فراق حبيبي اقتلاع
اسألوني، اسألوا برد ريح الشمالْ
وأخبار حبّي تلوبُ البقاعْ
وتخترق الجهة الموصدة

[1] مقطع نثري .

اسألوني، اسألوا جمرةً في رؤوس الجبالْ
في فمي جمرةٌ موقدة.
بعد أغنيتي، حاصرتْني فلسطينُ والأرجوانْ
وتأكّدتُ ... أندلسٌ سقطتْ في الهوانْ.

- قلتُ: أشمُّ عظام الأجداد المحترقة،
في هذا الليل المكدودْ
قلتُ: إذنْ مرَّ الكنعانيون هنا أيضاً بالتأكيدْ.
الولدُ الأندلسيُّ على باب الفندق
أهداني موعظةً: طنجةُ عاصفةٌ في الصيفْ
ورقادٌ شتويٌّ في باقي العامْ
طنجةُ أبنيةٌ من لحم مسروقْ
اللحظةُ سيّدةٌ ... في السوقْ
طنجةُ عرسٌ دمويٌّ مجبولٌ بالدمع وبالحنّاءْ
وانظرْ صدغيها:
وَرَمٌ
اللذّةُ ذابلةٌ في الحاءِ وفي الباءْ
عشّاقكِ – طنجةُ – صيفيون، وعاشقك الأبديُّ
ينظّف ساحاتكِ من ذهب الغثيانْ.

- ظلَّتْ نرجسةٌ تتبعني حتى أقطفها،
لكنْ،
هاجمني النسيانْ
عند السور الورديِّ الفتّانْ
بعتُ الموعظةَ بصوتين، وتَوْشيةٍ
من رمل المايةِ، وغصون الرمَّان.
الإيقاع يعذّبني،
الإيقاع يدمّرني،
الإيقاع يلاحقني،
إيقاع الرخويَّان يلاحقني،
صدّقني،
حتى الآن.

أحدٌ ... يدقّ الباب

سَبَبٌ خفيفٌ،

ثم يتلوه انهمار مشاغلي فوق الغيومْ
سببٌ قديمْ
سببٌ ثقيلٌ هزَّني فرحلتُ في خوف التخومْ
أمّا القبائل: فالقصائد شبْهُ جاهزةٍ إذا هجم العويلْ
بعصيِّها وطبولها، ثمّ الجرائد في الصباحْ
أمّا الفواصل، فهي ظلّي في الكرومْ
أمّا المطارات التي نقلتْ حبيبي
فهي زرقاء الرمادْ
إنْ شئتَ، أطفأتُ الجمارَ، رميتُها
في الريح، يندلق الحِدادْ:
(أحدٌ يدقُّ الباب
هذي هَمْهَمات الريح تهمس للربيعْ
أحدٌ يدقّ الباب،
قاطعكَ القطيعْ.)
الآخرون يثرثرون، ويطلبون المغفرة
أمَّا أنا يا بحر، فاسمع صرختي المتناثرة
هرعوا إلى باب الحديد إلى الثقوب
في كلّ ثانيةٍ، تدق العاصفة
الروح نائمةٌ، الروح هائمة، وفي خيط الحريرْ
الوهم يغرق في سرير الوَسْوَسَة
أما العواصف، فهي قافلة الخروجْ
تنأى عن الألق القديمْ
مَنْ ذا يحرّك سِرَّ صمت العاصفة!!!
الكلبُ خلف الباب يرجف في الشتاءْ
أحدٌ يدقّ الباب،
لا أحد يدقُّ الباب يا ولدي
ولا أحدَ يتوب عن الصقيعْ
الريح تهمس من وراء البابِ،
قاطعك القطيعْ
سَبَبٌ ثقيلٌ أيُّها البحر الثقيل.

قبرٌ في لندن

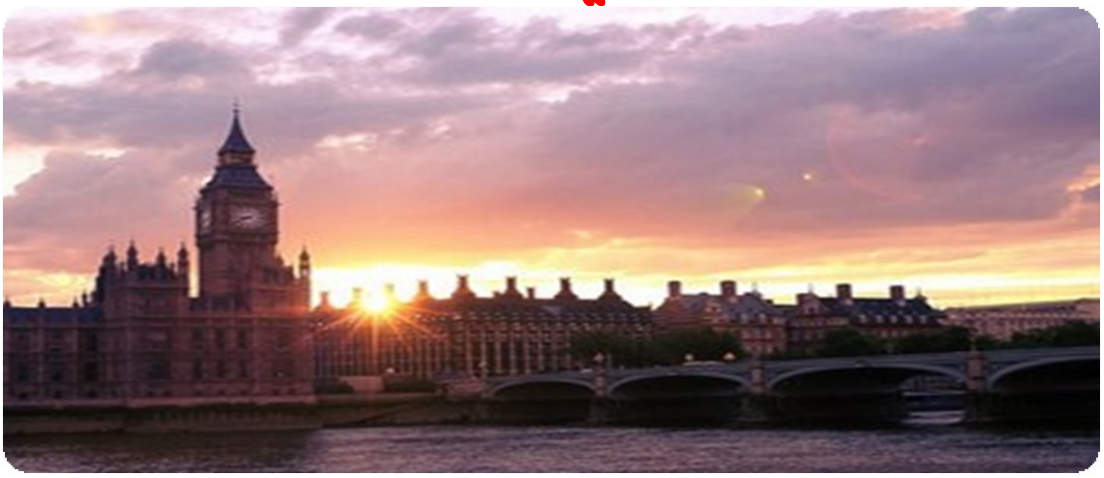

رجلٌ من عنبٍ،
قهوائيُّ السِحْنَةِ
لا فرقَ إذا كان المطر الصيفيُّ
يحاصرنا بخليط الألوانْ.
رَجُلٌ يحمل أسئلةً، ويطوفُ بها فوق الأمواجْ:
خذْ سيفاً يا بوشكينْ
خذْ وَتَراً يا ناجي
خذْ حِدْرَكَ يا حَلاَّجْ.
ينطحُ مدناً حالكةً من صخر الصَوّانْ
أين رنينُ الأجراسْ
ويهرول مثل نبيذٍ يسري في داخله بركانْ
أين إذن عسلُ الأقراصْ
وشموعُ رسومِ الطاسيلي
أعصُبُ فوق جبينكِ منديلي
وأشقُّ الكاسْ.

(رَجُلٌ من جَسدٍ مهترئٍ مكسورْ
لكنْ ما طأطأ أبداً لهدير الأضواءْ
أين إذنْ حنظلةٌ وكنعانْ:
- الأوّلُ: قبرٌ في لندنَ،
الأوّلُ رَسْمٌ في صُحُفٍ والقاتلُ أوَّلُ من يرثيهْ
- الثاني شعرٌ ممنوعٌ يركض في التيهْ
- والثالثُ يشرب قهوته في البار،
ويعنيهِ الأمرُ ... ولا يَعْنيهْ.)

رجلٌ يحمل لغة النار، ونار اللغة شهابُ التشكيلْ
لا يعرف لغة الثلج، ولا طُرقَ التدويرْ
وله قلبٌ يشبه حبَّة ليمونْ
أمسكَ بالخنجر، شقَّ القلبَ،
تناثر كالحنّاء المعجونْ
وسقوه نبيذاً من خَدَرٍ وحُلولْ
اشربْ
هذا نَسْغُ الزيتونْ !!!
اشربْ منقوعَ الأوهام، وقبْض الريحْ
اشربْ دولتكَ المُرَّةَ كالشيحْ.
قل لي يا هذا،
هل نركضُ فوق سرير الأمواجْ
هل نذهب للغيمة في ذاكرة الماءْ
قل لي يا هذا،
إنْ كنت تنازلهمْ، أم تختار الوقت الوهَّاجْ
قُلْ لي يا لوركا،
قل لي يا بوشكينْ،
قل لي يا ناجي،
قل لي يا حلاّجْ.

عاصفةٌ مقْمرةٌ مرَّتْ قربي، وأنا
أحلمُ بحليب الماعز والنُّوقْ
عاصفةٌ مُشْمِسةٌ، ناجي
وأنا
في صدر صحائفكمْ
مَشْنوقْ
عاصفةٌ مرَّتْ، وعلى مَهلٍ فرَّتْ
تعبتْ كفَّاي من التلويحْ
تعب القلبُ من التصريحْ
من يسحبُ من قلبي الشيحْ.

إنْ قيلَ: طويلُ القامةِ مثلُ صنوبرةٍ،
أو أي شبيهٍ، قال القاموسُ:
عَشَنَّطٌ أو عنطنّطٌ، أو جَسْرَبٌ،
أو شَوْقبٌ، أو سَلْهَبٌ، أو شَوْذَبٌ،
أوْ طاطٌ أو طوطٌ
أو قاقٌ، أو قوقْ
لكنْ يكفيني أن ألمحَ هذا الجسد الغالي في السوقْ
لأقول: الحلوةُ مثل صنوبرةٍ، جَسَدٌ ممشوقْ.
إنْ قيلَ: خَفاءٌ، تشكيلٌ سرّيٌّ، تحويلٌ،
إبدالٌ مجروحْ
أوْ قيل: صفاءٌ ينزاح عن اليوميْ
قنبلةٌ عاشقةٌ تتفجّرُ بالبَوْح النبويْ
أو قيل: صهيل الفرس البحريْ
أو قيل: عناصر تستخرج من قلبٍ مذبوحْ
أو قيل: مزيج الألفاظ المرميَّة في الدرب المفتوحْ
معنى المعنى، عنبٌ ندركُهُ، أو لا ندركُهُ،
بمجرد تلميحْ
أوْ نظمٌ منثورْ
أوْ قلنا: إنَّ اللغةَ مَبانٍ أوْ دورْ
وإذا قلَّبنا الأمر، كما امرأة من كلّ جوانبها
بين الأشجار العملاقة، أو في الأرض البورْ.
ماذا ينفعني إنْ كان القبرُ
قبرَ بثينةَ في صحراء الروحْ.
ماذا ينفعني، إنْ قلت الآهَ، ولا يسمعني
أحدٌ في وطن الآهْ
ما أفعلُ يا جاكِ بريفيرْ
إن كان الرسّامُ البرّيُّ سيُرمى في أرضٍ،
لم تألفها قدَماهْ !!!
فلننظر في مرآة أخرى غير المِرآة.
حين يكون الشاعر مطروداً في بحر الرومْ
يقتاتُ فتات الحاضر، أو يفتح نافذةَ البلّورْ

فتُطلُّ على وادي الحيَّاتْ
وتكون الشمسُ رقيباً، ويكونُ الخبز ذليلاً، واللغة تخومْ
من يُسندني إنْ مرَّتْ قافلة في رمل اللغة الولهانْ
تركتني مأسوراً لا أقدر أنْ أصف الهفواتْ
سارتْ قافلة أخرى في ذاكرة الماء وأقداح الرمّانْ.

يا كنعانيّ الطوب الأحمر يا ناجي،
وحدك عوسجة ومديحْ
يا سيف الدولة في تطوانْ
يا شجر الدولة في وهرانْ
مَنْ يلمح موتي في هذا الثوب المسمومْ
في الروض العاطر، في حبر دليل الحيْرانْ
مَنْ يخرجني من مخزن أزجالِ – ابنْ قزْمانْ
مَنْ يعطيني قدًّا من حلبٍ، لوناً من ماتيسْ
ذيلاً لوشاحٍ من غرناطة، ظِلاً أو نوراً من ميرو
غُصنا في توشيحْ.
ريحٌ سوداءْ
من يُوقفُ هذي الريحْ
من يَشْفُطُ من قلبي هذا الشيح.!!!

صرخةُ زرع في شفرة منجلْ
ثمّ سباقٌ محمومٌ ... ومسافاتْ.
أنبيذُ بلاغتهمْ مثلاً
كنبيذ الرهبان بأديرة المرتفعاتْ!!!
الأول برهان البرهانْ
الأول صفر يتحاور مع صفرٍ، ينجب صفراً في الخانْ
الثاني في الليل لغاتٌ مسْحوراتْ
الثاني برميل مشتعل الأشواقْ
أما الثالثُ فهو الثلجُ الدفَّاقْ
يكتبُ شعراً ليس يُطاقْ
لم يسمع قُمريّاً يبكي، لم يتبلّلْ برذاذ الغاباتْ.
واسألني فأنا أندلسيٌّ مجروحْ:
هاأنذا أترككمْ بوماتٍ للقال وللقيلْ
نثراً منقولاً في ضوء العزلة، لا إيقاعَ ولا تخْييلْ
نرجسةً ذاويةً قابلةً للجرح وللتعديلْ
هاأنذا أترككمْ غرقى في قاع النيلْ
فأنا نار البَعْل على جبل الكنعانيينَ يطلُّ على
ملح البحر، يرى صحراء مؤابْ
مفتوناً ستراني قطعان الغابْ
وأنا الألِفُ، وأنتم تذييلُ التذييلْ
لغةُ الضدّ أنا
وأنا نرجسكمْ في هذي الصحراءْ
عاصفةٌ مارقةٌ، فلفلةٌ حارقةٌ لغتي

خبز التّنّورْ
عاصفة تكنسُ هذا الصدأ المزمن تحت السور،
وخلف السورْ
عاصفة مرّتْ في الإيقاع وهزّتني
كالبرعم في الريحْ
أمسكُ بالغيمةِ فوق سطور الزيحْ
لكنَّ الشاعر والجنرالْ
حين هجوتُ فسادَهُما،
نصبا لي فخاً في لندنْ
لم أقتلْ أحداً،
حين رسمتُ العفن المخبوء،
وراء التصريحاتْ
بل كنتُ أدندنْ
موّالاً من زمنٍ فات.
لكنْ
من يوقف هذي الريح السوداءْ!.

ترتيبات

في التاسع من شهر ديسمبر، أفتح للزوّار سِجلاً،
لمتابعة الأخبارْ:

اليوم الأولُ لزيارة موتانا الأحياءْ.
اليوم الثاني أجعلهُ ليمام المسجونينْ.
اليوم الثالث: تخزين التموينْ.
اليوم الرابع: أوسمة حمراء من الطينْ.
اليوم الخامس: باقاتْ.
صَدَفٌ آموريٌّ،
بَلَحٌ آراميٌّ،
عنبٌ كنعانيٌّ،
حجر التهديدِ،
وأشجار التنديدْ
أعلام فوق سطوح القرميد:
الأخضر ضلعي
الأحمر دمي
الأبيض شمعي
الأسودُ منفايَ وترحالي في هذي البيدْ.
اليوم السادس للزرع وللتشجيرْ
اليوم السابع عاصفة كحلاءْ
ثمّ أوزّعُ لونين لكل امرأةٍ كنعانيّة:
مريمُ ... ثمّ دليلةُ، تتلوها حلوةُ زيدانْ
وأخُصّكِ يا سارا الورديّة
بقناديل الريحانْ

للأسباب الجهويَّة
أهديك قطوف مديحٍ من شوقٍ وتَباريحْ.
لكنْ
من يفتح هذا القوسَ،
ومن يسحب من قلبي هذا الشيحْ
من يسحبُ من قلبي هذا الشيحْ.!!!
صدرفي (1992)

الديوان العاشر

1. لا قناديل فيها ولا أسئلة

الوحوشُ تغازلني في بهاء السطوحْ
الرذاذُ الشفيفُ يعاتبني في مسارب غابتكِ الموحشة
النشيدُ القديم الذي كنتُ دَنْدَنْتُهُ في الصباح
عندما مرَّت الفتنة الطافحة
لم أجد أثراً لملامحهِ قرب باب الحديدْ
الطيورُ التي التقطتْ في الهجير بذور الأقاحْ
غرَّبت باتّجاه الجنوب الذي كان يوماً – شمالَ الجنوبْ
ما الذي سوف أمنحُ للوردة الجائعة ؟!!!
ما الذي سوف أعطي لطفلةِ هذا الشهيدْ ؟!!!
ناشفٌ غضَبي
جارحٌ عَتَبي
ناحلٌ قصَبي
فاردٌ حُجُبي
غامضٌ طربي
واضحٌ عجبي
مُسْدَلٌ كُثُبي
مُشرع تَعَبي
مازجٌ خَبَبي :
فاعلنْ فعِلُنْ ... وَفعولنْ سأحشُرُها
في المحيط الذي طوَّقَ الدائرة.
ثمّ لو شئتُ أن أتبعَ الخيط والخطَّ في رحلةِ القافلة
لوجدتُ الخليل يَعَضُّ نواجذهُ ندماً أيّها الشعراءْ
تعالوا معاً نكسرُ الدائرة
تعالوا نحطّمها شقْفة ، شقْفة ، ثمّ نرمي بها

في حقول العنبْ
القصيدةُ رقصٌ على صهْوة الخيل في الليل قرب جرار النبيذْ
القصيدةُ بوْحٌ أنيقٌ لرُمّانها الناضج الوجنتينْ
القصيدة وحشيةُ القطّة الغامضة
تتعربشُ في ذيل فستانها
وتخرمشُ سورَ المناديل في مَرْمَرِ الساعدينْ
القصيدةُ أرملةٌ فارقتْ بَعْلها في ذُرى بهجة الاحتفالْ
القصيدةُ هذا الفراق الذي في دموع المطارْ
أو لقاء صديقٍ عتيقْ
فجأةً في مقاهي القِطارْ
القصيدة تفّاحتان تنامان في خجلٍ في ثنايا القميصْ
القصيدة (قُدْسٌ) تراها العيون من الغور مثل العروسْ
نشتهي أن نبوسَ القبابَ ولكنّها لا تبوسْ
القصيدةُ زعلانة مثل أسوارها الناطرة.
القصيدةُ مفترقٌ ومُفارقة ساحرة
تشعلُ الحربَ في الدائرة.

الشرايين ناشفة ، ثمّ محبرتي ناشفة
الحَمام المُحجَّبُ ، يكرعُ كأس نبيذٍ على
شرفة الفندق الشبقيّ على حافّة الغور
قرب نخيل المساءْ
الحمام المحجّبُ يخلع شال الحريرْ
الحمام المحجّبُ يلتقطُ القشّ ثمّ يطير
إلى خشب الجُلْجُلَة
يا (ابن مُقْبلَ) جَهِّزْ لهذا الرخامْ
كي يثرثر بعض الكلام.
مرّةً قمتُ أمسكتُ سلْسالَها
ولْولَتْ ثمّ صاحتْ : ولَهْ !!!
تعال معي خلف بلّوطةٍ في الخلاءْ
قلتُ إنّي أخافُ إذا شافني سيّدُ القافلة
القصيدةُ غامقة في العيونْ
القصيدةُ ساكنة كالرسوم العتيقة في (مادبا)
القصيدةُ مُشمسَة مثل فاكهة الغيم،
هذي أريحا التي أصبحتْ نجمة الأرجوَانْ
لا مكان لها في المكانْ
وأنا نبعةٌ نَشِفَتْ فوق كوْم قصائدكِ الذابلة
هل أحطّمُ هذي المداليل، هذي الدَوالْ
غارقاً في مُشَعْشَعَةِ الكرم، أشرب صمت الظلال ؟!!!
أم أداري زماني ، وأخفي السؤالْ
العلاماتُ ليست كهوفاً لراعيةٍ شوَّبتْ
من هجير الأناشيد، قالتْ : أراكْ
ثمّ مَلَّستُ فوق ضفائرها السود
فارتعشتْ قُبَّرةْ

القصيدةُ مارقةٌ بكشاكشها وخلاخيلها، فتنةُ البَلْبَلَة
صاحت امرأةُ الملح : احذر وَلَهْ !!!
القصيدةُ ناشفةٌ لا قناديل فيها ولا أسئلة.
القصيدةُ جارحةٌ كانت البارحة
القصيدةُ صارتْ بلا كهرباءْ
ما الذي يُشعل الشعراء سوى سَفَر في المحيطاتِ ،
في قاع قاع الزمانْ
ما الذي يقتل الشعراء سوى حاجزٍ من أقاويل أجدادنا
الراسخة
ما الذي يُقْرفُ الشعراء سوى خُطبةٍ وَسِخَة
ما الذي يُلهب الشعراءَ إذا مرَّت الفتنةُ الناعسة
فوق هودجها ، تحرق الأرخبيلْ
سوى أنّها تفتح المعركة
ما الذي يزعج الشعراءَ سوى أنّهم لم يذوقوا
نبيذَ الخليلْ
ولم يرضعوا الماء والعشب والنافذة
القصيدةُ ناشفةٌ أيُّها المرجان .!!!

لم أعُدْ قادراً أنْ ألامِسَ هذا السراب الجميلْ
لم أعُدْ قادراً أن أجاملَ هذا القرنفل في التلّة العالية
لم أعدْ قادراً أن أسامِحَ عوسجةً مزَّقتْ خطأً صُرَّتي
في حنايا الطريقْ
المدينةُ لا صَبْرَ فيها سوى الشوك والنَرْفَزَهْ
الحداثةُ فيها رخامُ القبورْ
ضَجيجٌ يقولُ ، ولكنّه قزْقزَهْ.
لم أعدْ قادراً أن أحوّل نهر الخديعة عن زحفه في الرمالْ
لم أعد قادراً أن أرى عشبةً في الربيعْ
شَجَرُ الصيف بين نعاج الغيوم ، همومْ
لم يَعُدْ يندف الثلج يا كستناء الشتاءْ
تلك روحي ... بقايا رسومْ
لم أعُدْ قادراً أن أقولْ :
نجمةٌ في سماء المحيط تُنقّطني بالرمادْ
نَيْزَكٌ يتشظّى على مُدنٍ باليةْ
الهُويَّةُ مشروخةٌ في ثنايا السؤالْ.
لم أعُدْ قادراً أن أكيّف روحي
على خشب الطاولة
نُشارةُ روحي تسيلُ على الماء في منحنى غسَقٍ
كالحٍ مثل حبر عتيقْ
تلك روحي التي خرجتْ عن مسار الخيول إلى الهاوية
خوخةً من وجَعْ
كرمةً قرب دير وحيدٍ على المرتفَعْ
الذين رأوا في السباق الأخير
لم يروا أنني شِفتُ قبل ولادتهمْ – رَعْشَةَ الفاجعة

كنت طيراً وحيداً يرفرف فوق القطيعْ
هل أعاتبهمْ واحداً واحداً ... أيُّها الشهداءْ
لم يعد في دمي كهرباءْ.
كنتُ قسّمتُ روحي ... كتفاحة ذابلة
غرفةً، غرفةً، ثم وزّعتُ ضوئي
غمرتُ السطوحْ
وفقَ خارطةٍ ، أكلَ العِثُّ أطرافها الباردة
حيث دققتُ في غضب البحر، كيف رآهُ النُحاةْ
قبل تحنيطهِ بالبهارْ
لا أنا قادرٌ أن أعيدَ إليه البهاء القديمْ
لا أنا قادرٌ أن أبوحْ
أنفخَ الروحَ في صدرهِ المضطربْ
قمتُ طرّزتُهُ بوحوش المحيطْ
ثمّ نقّطتُهُ بالرصاصيِّ حين أبى أن أنَقّطهُ
زرقةً، ثم أوصلتُ بالخيط مُنحنياتِ الخطوطْ
أيّها الشعراءْ
كلُّ توقيعةٍ كنتُ فجّرتُها لم تصلْ
لم يكن ميّتاً بحر كنعان ، قبل هطول غيوم الطحينْ
أريحا تشاطره التمر واللوز والموز في شُرُفاتِ الرحيلْ
وأنا غارقٌ في دمي ، أرقبُ الزخرفة
فوق حيطانهمْ في سماء النخيلْ
لئلاّ تميلَ، لئلاّ تميل، لئلاّ تميلْ
آخر السطر أرشقُهمْ نَقْقَةً حارقة
أسوّي السطور لكي تستقيمْ.

طلقةً، طلقتانْ
للعريس الذي سوف يبصم عقد الزواجْ
طلقةً، طلقتانْ
للبعير الذي في الفراشْ
طلقةً، طلقتانْ
للرداءة تحتلّ هذا البياض الخَداجْ.
أيّها الأبيض الدمويُّ انفجرْ
أيّها الأخضر الرعويّ انفجرْ
أيّها الأزرق النائم في حقل هذا النُعاسْ
دُلّني بالعلامات في ليلة البرتقالْ
على حُزَم الضوء في المنْعَرَجْ
علّني أتبخّرُ كالبحر، مثل السكونْ
أو
أعدني إلى الأبيض الدمويّ لكي أنفجرْ
أعدني إلى الأبيض الدمويّ لكي أنفجر
أعدني
إلى الأبيض الدمويّ لكي أنفجرْ
طالت المسألة !!
طالت المسألة !!

القصيدةُ ناشفة لا قناديلَ فيها ولا أسئلة .!!!

2 اليمامُ الذي غرَّبا

اليمامُ الذي غرّبا
شافني
واقفاً
واقفاً
في المحطّةِ
تحت صهيل المَطَرْ
غضَّ طرفاً، وما قال لي مرحبا
ثمّ غنَّى الرحيلَ الطويلَ، وما أطربا.
الهدوءُ الذي يسبقُ المجزرة
حطَّ فوق الغمام على طاولات الزمان
تمدّد، ثم استراحْ
حاملاً نِتفةً من قوادِم هذا الجناحْ
الهدوءُ المُتاحْ
قام ... غازَلَني صُدفةً في بريد رسائله،
شَرَحا
غُربتي في بلادٍ تهبُّ عليها رياحُ الصنوبر
لا يستجيبُ الصنوبرُ، في طُرُق،
عطرُها فَحْفَحا.
اليمامُ الذي شَرَّقا
في بوادي النُعاس التي أنجبتْ
سَهْلَهُ الأزرقا .
اليمامُ المُهجَّرُ للمرة الثالثة
ذاقَ شوكَ المنافي، وقرَّر
أنْ يندمِجْ
باتفاقيةِ القتل، لا نصَّ فيها
ولا ماءَ، إلاّ غدير العيون
وصوت الحمام الذي نَهَّقا .
- هل يرفرف سربُ النوارس في المنعرجْ

فوق ملح البياض الشفيف ، تعاشقُهُ الشمسُ
عند ارتعاش سنابل هذا المحيط الذي
كان من ذهَبٍ ، سَرْجُهُ المستطيلُ الذي عَتِقا
قمتُ عاتبتُها، أين تلك العلامة في خدّها
النّبَويِّ الذي أشرقا
أين غمَّازة الثغر تحت نخيل القمَرْ
أين عنقودها المشرئبُّ الذي ولَّعَ الشَبَقا
اليمامُ الذي شرَّقا
سال من شدّة الوهْج نهراً ، على قاعها رَقْرَقا
شافني أتوجس من ريبةٍ ، فاشترى لي
مناديلَ من توتةِ الدار، قُرْبَ المُدرّج
أهديتُها للغريب الذي مرَّ حَدَّ الزُقاقْ
ثمّ فرّقتُ رُعْبي على السائِحاتِ الرقيقاتِ
في مُنحنى العاصمة.
اليمامُ الذي شَمَّلا
مرَّ قرب السبيل العتيق ، ولكنَّه لم يَقُل لي : هَلا
زاعقاً في سماءٍ من الطين والغيمِ
طار على سطح هذي المساحاتِ من مرمرٍ ،
صوتُهُ جلجلا
قال: خُذ حرقتي ،
لا تُشمّلْ شمالاً
فركبُهُم قبَّلا
- هكذا قلتُ: منفاي داري ، فلا تبتئس أيها الكرملُ
ليس غيرُ الجنوبِ الذي قال ... لكنَّهُ يفعلُ.

3. كلبةٌ هذه السيّدة !!!

كلبةٌ هذه السيّدةْ!!!
بعدَ عشرين عاماً رأتني ، أحِنُّ إلى عَبَثٍ
بالضفائر، كانت تُدَنْدِلُها فوق سفح الجبينْ.
جَرْجَرَتْ جَرْوَها خلفها، كان يمشي وديعاً
يُحاصرني بالعيونْ.

طقْطقَ الكعبُ على دَرَج الروح
تفعيلة ، تتكررُ فوق الرخام
أحسَّ بزَعْزَعَةٍ، ثُمَّ غارَ الرخامْ
غَرْبَلَتْ سنواتي العِجاف وقالتْ: حرامْ
غرفتي – سيّدي – باردةْ
سَقْفُ روحي جليدٌ، سمائي نحاسٌ ...
أقاتلُ حيطانَها في سكون السكونْ
نَبَّهَتْني فعولنْ على صوت خالتِها فاعِلُنْ وأنا
نائمُ الروح في قاع قاع سُكوتي.
شَجَرُ الصبر يمشي، عروقُكِ زيتونةٌ لا تلينْ.
- قلتُ: لن أنحني ،
بعد أن ذَهَبَ الطازجُ فيكِ مع الريح
طُقّي وموتي.
- هكذا طَنَّشَتْني وقالتْ:
لهُ جسدي البَضُّ أعطي،
وأنتَ كفاكَ الحنين .!!
- كلبة هذه السيّدة .!!

4. موشّحُ سقْفِ السيل

كان سيْلاً دافقاً
يبصمُ في آخر هذي الصفحة البيضاء
توقيعاً على الماءِ
فيبقى في الرصيفْ
كان طاووساً من البهجةِ ، يختال بخضراء الرفيفْ
ضِحْكة كالخَسِّ، تمشي فعِلُنْ
طولها يمتدُّ في الصوت الرهيفْ
نخلةُ البدو، وشاحٌ ونشيدٌ رَفْرَفا
كيف أغفيتَ على عوسج أطيافٍ ...
وَحَمَّيْتَ الدفوفْ
ثَمِلاً كنتَ حنيناً في الأعالي أشْرَفا
يا صبايا شارع السلطِ
إذا الصيفُ مع الليل على عشب الرفوفْ
في القناني، نام كالثعلبِ
فاشتاقت زرازيرُ القلاعْ
ثمّ َ داوى جرحَ أحبابٍ له بالكَسْتَنا ... قد طفحا
العرانيسُ بهاءٌ في البهاءْ
خجلاتُ القدّ حولي، واقفاتٌ في صفوفْ
وكأنَّ الصيف من نَزْلةِ بَرْدٍ لُفِحا
عَسَلُ الوادي نقياً كان منهُ الشِفا
سلّةُ الوردِ بكفّيْ فتنةِ الفجرِ الشفيفْ
وعناقيدكِ كانت نَجَفا
- دَوْزَنَ العودَ وغنّى من قصيدي ثُمَّفا

كلّما قلتُ له أنتَ نديمي
في تعاريج الكهوفْ
أنتَ مسحورٌ من القاع إلى الرأس ... نفى
كان سيلاً دون سقفٍ،
مَدَّ كفّيه إلى ربّ السماءْ
شَدْشَدَ النصَّ على سَرْجِ الكلامْ
فلماذا صار سقفاً دونَ سَيْلِ
داسَهُ الماشون، في صدري ، غفى
طائرُ الوقواق في القاع الكفيفْ!!
ودَهَتْني فتنةُ الركض ،
على الشوكِ ،
وراء الرغيفْ
يا زمان الوصل بالسيل النظيفْ
- أيها الساقي الظريفْ
كُنْ لطيفاً ، فأنا قلبي خفيفْ
أيّها الساقي ... هوائي ... نَشِفا.

5. مخاضات الليلة القادمة

شَجَرُ البُنْدُق حيَّاني
على درب الغيوم الراكضة
قهْقَهَ الرعدُ على هام السفوح الراجفة
قمتُ ناديتُكِ فانزاح الوشاحْ
حرقة خضراء في جوف الليالي الخائفة
كانت الراحاتُ تصطفُّ على سطح البحيراتِ
صفوفاً كدُؤابات الذُرَهْ
وسقتني نجمةٌ مأسورةٌ من كاسها
الملآن راحْ
ثمّ مرَّتْ غجريّاتٌ يغازلن طبولَ الريح
في الغابات، كان السحرُ في حَوْرِ القوامْ
شجرُ البُنْدق عرّش في قيعان روحي ... يا سلامْ
منـزلاً من خشب الوردِ
على قرميدهِ ، غنَّى اليَمامْ
فتذكّرتُ أيا غائبتي رُمّانةً مزروعةً في بابِ شامْ
يا صهيلاً غامقاً كالأرجوانْ
وحدهُ النخلُ بعيداً كان في بادية الروح
صليباً من رخامْ
قلت يا غائبتي، هذا الربيعْ
كقطارٍ مرَّ، أبقاني على جمر الصقيعْ
سامحيني إنْ تعجّلتُ الرؤى المحترقة
شجرُ البُندق غنّاني مقام الرَصْدِ
حتّى كدتُ أعلي من صراخي المُرِّ : عيسى قامَ ... قامْ
لوّحتْ لي فرقةٌ من غجر الغاباتِ

يا بُعْدُ تعال:
العذارى المائساتُ الخَصْر، أمواجُ المحيطْ
غائباتٌ كحضورٍ، حاضراتٌ كالوعودْ
رُحْنَ في هَزْهَزَةِ العود يُغنّين الرضيعْ
وعَزَفْتِي بَحَّةُ التفّاح في أبواب ساحاتِ السماحْ
رقصَ الفجر مع الصبح الربيعيِّ على جمر النبيذْ
وشوينا طائر الوقت على المرمر
فاسترخى على غصنٍ رطيبْ
عندليبٌ من حليبِ الفجر، معسولُ الكلامْ
نَفَرتْ كالجان ،
وازدانتِ الساحةُ بالقتلى المقيمينِ مع الصمت الوليدْ
طار قلبي مثل دوريٍّ وحيْد
يا غزالي كيف ولّعتَ قلوباً من جليد!!
ثُمّ سَخْسَخْتُ من السحر وغطّتني غيومٌ
من تباريح الليالي المُقْبلَة
وتَدَحْدَلْتُ على العشب فغطّاني وشاحٌ من وَلَهْ.
* * *
فجأةً أيقظني طفلٌ عنيدْ
في صباحٍ من ضباب الهلْوسَة
عِمْ صباحاً
إنني أسمعُ باصَ المدرسة.

6. تعلّمْ حكمةَ النسيان

تَمَهَّلْ، باصُ جامعةٍ ، يَمُرُّ فتزهر الدفلى
على شطآن روحكَ في مساكننا الربيعيَّة
تمهَّلْ باصُ جامعةٍ ، يمرُّ على سطوح الروح
يبعث في حنايانا شقائِق من دم النعمانْ
أراكَ تُقزقزُ الرمّان في تلٍّ من الرمّانْ
لقد مرَّ الزمانُ مَقدّداً برقاده الشتويِّ، هذا الشيخُ
من ثلج ، وسيفي لم يزل ، يا فتنة القيعانْ
يُعالقُ من جواري الروم جيشاً من تواشيحي
وقافلةً من العسَل الطبيعيِّ الذي وَزَّعْتُهُ يوماً على الكُثْبانْ
وأزعمُ ربّما أكثر.
تمهّل باصُ جامعةٍ يمرُّ فيجرحُ الودْيانْ
أراكَ تُمصمصُ الأشياء ، فاتركْ للحساسين التي
تشقى ، لكي تصطاد أغنيةً من البابونج الأصفرْ
بقايا من دم الكرم البعيد النار في دير من المَرْمَرْ
كأنَّ نوافذَ الأبراج قد بُنيتْ من الصوّانْ
لجامعةٍ على سفحٍ من الزعترْ.
تمهَّلْ أيُّها المفتُونُ ، قلبُكَ في هوى الإيقاع ...
هذا الوافر العالي
وهذا صدركِ الغالي

وهذا نَوْحُ موّالي
وهذا الدرسُ للرُهْبانْ.
تمهّل ، باصُ جامعةٍ من اللوز الذي في ثغركِ الأزهرْ
يحرّكُ في شغاف القلب ، غَيْمَ ربيعكِ الأشْقرْ
تمهَّلْ باصُ جامعةٍ
من القرميدِ
يمشي كالرَشا
في غابةٍ من طولكِ البدويِّ ،
يمشي كالصنوبر
غامضاً كعيونك السمراء في المَهْجَرْ.
فماذا يفعلُ الشيخُ الذي يغلي
إذا ما كان قلبُ الشيخ بينَ جوانحي ، أزعَرْ
وكان عليَّ دوماً أن أغُضَّ الطرْفَ، ألْقي بالمواعِظِ
في سماكِ، أكزكزُ الأسنانْ
أغضِّ سوالفي، أخفي
صباحاً، نبضَ دقّاتي
لكي يا فتنتي السمراء، لا تَظْهرْ.
تمهّل ... باصُ جامعةٍ يمرُّ يعذّبُ الركبانْ
رآكِ فحرَّكَ العينين نحو ضفيرةٍ كانت سنابلُها
مع النَّسَمَاتِ ترقصُ مثل رقْصِ الجانْ
وأومأ غامزاً للخلْف ، حتى كاد يَدَّهْوَرْ.
تمهَّلْ باصُ جامعةٍ من الإيقاع، هذا الوافر الفتَّانْ
تمهَّلْ إن تركتَ الروحَ هائمةً ، فقد تُوْسَرْ
تَعلَّمْ أيها الشيخُ الربيعيُّ الذي قدَّ الحديدَ ...
بأنَّ فِتنتهُنَّ قد تُقْهَرْ
تعلّمْ حكمة النسيان يا هذا
تعلّمْ حكمة النسيانْ.

7. لا أثقُ بطائر الوقواق

قال في وصف الطريقْ
قال في هَجْو النيامْ
قال في مَدْح الدم المُخْضَرِّ ،
من أجل القطيعْ :
يا أبي
- أوَّلُ المقطع ، هنديٌّ سماويٌّ يُصلّي للمطرْ
أوَّلُ الحبر ، كلامْ
آخرُ المقطع ، ترويجُ السموم
آخر الحبر ، دموعٌ وانتقامْ
لا تَقُلْ هذي خرابيشُ وَرَقْ
إنَّها مِقْصَلَةٌ ...
من خشب الزيتون واليُسْر وأعواد الكروم
فوق نَطْع رائق مثل الشَّفَقْ
آخر المقطع تقسيمٌ لصوتي
كيف نَثْوَرْتَ جبالي في الغيومْ
كيف عانقتَ المدى،
هذا المدى رومٌ وروم.
منذ أنْ كنتُ رضيعاً في الخلاءْ
هذه الأرضُ بساتيني وعُلّيقي
إجاصي وثماري ونجومي والهُمومْ
ثُمَّ أجراسُ حنين النوق في حقل الرُّعاة
ربَّما من وَلَهِ العاشق نصطادُ الأغاني
كي نداوي بَحَّةَ الصمت المقيمْ
أو نعرّي سطح هذي الروح
في غربتها الزرقاء، أثناء الصلاة
كي تنادينا إذا شاءَتْ تراويدُ الشفاه
فلماذا طائر الوقواق مفتوناً يغنّي
فوق أجساد الشظايا المطمئنّة ؟!!
يا أبي صاروا صدىً
ليس له طَبْلٌ وَرَنَّة
طائر الوقواق يحتل تراباً من ذَهَبْ
طائر الوقواق يحتل السماء
طائر الوقواق يحتلُّ الهويَّة
طائر الوقواق يحتلُّ تلافيف العقولْ
طائر الوقواق يحتل كتاب المجدلية
طائر الوقواق يحتلُّ سراديب الأعالي السرمديّة
طائر الوقواق لصٌّ في النّهار
يسرق التفّاح من أرواحنا، ثُمَّ الهواءْ
وأنا صرتُ أناشيدَ لمريام
نقوشاً فوق كَفَّيْن وتطريزاً
على صدر الدُجنَّة
يا حليب اللوز في دارتنا
عِمْتَ مَسا

عندما يذكرني العابرُ يزداد نحيباً وأسى
لا تغازلْ يا أبي صَكَّ النهاياتِ ...
سَيَحْتَجُّ العنبْ
كيف نثورتَ سلالَ البرتقالْ
رُبّما قد يزعل التاريخ في كهف الرقيمْ
إنَّها أرضُ نعيمٍ وتميمْ .

قال في وصف الطريقْ
أيّها النّورسُ خُذْني للسماءْ
أيّها الملح الذي صار بلون القار ...
شوكاً في الحُلوقْ
أيّها الشمع الذي كان بياض الروح
يا جذري المُضاءْ
أيُّها النجمُ الذي هرَّبَني نحو جسور الكبرياءْ
أيُّها الوعد الذي ظلَّ نشيداً في الزُّقاقْ
أيُّها الصمت المُراقْ
يا ثلاثين سَنَة
في شبابيكِ بقايا الدور،، في قلب الحُطامْ
مثلما كنتُ ... وما زلتُ أميرَ الاشتياق.

قال في وصف الطريقْ
بين مريام وقلبي
حَبْلُ مَصّيصٍ
مناديلُ من الورد وماءْ
نخلة تنثرُ أطفالاً وقدّيسينَ
طلْعاً ورحيقْ
فلماذا دربُ مريامَ حريق !!

يا كرومي
إنَّ قول الصَحِّ آفة
في الصحافة
- جذرُ عشتار علاماتٌ ورواياتٌ من البقْتِ
ونوقْ
غابة من زنبقٍ يرعاكِ في الحوض العتيقْ
غابة الماء الذي ينسابُ فجراً
في عروق الشمس، يغتالُ النقيقْ
كم تمنّى عاشقٌ في غوركِ الصافي العقيقْ
أن يغنّي لحمامات الرموز
حاصر الوقواقُ طاقاتِ الضياءْ
كيف يا ناشفة الروح من السُكْر أفيقْ
حيث روحي مثل نعشي
حاصرَ الوقواقُ عُشّي.

دَرَجُ الروح اكتشافٌ وعذاباتٌ شَجِيّة
ديركِ المزروع في التلِّ المُبَجَّلْ
كلَّما أوغلتُ في هذي السفوح العسجديَّة
أشعلي هذي النُّذور
لا تمرّي
قرب صفصافات باب الجامعة
ستتوهين بدهليز القرنفلْ
احذري ... وردكِ يذبلْ
يسرق الوقواق من آهاتنا الرَّعدَ المُجَلجلْ
والأغاني
الأغاني تترجَّلْ.

يا كُرومي
نَشِفَ القاموسُ في دُكْنَةِ هذا الليل ...
آخرُهُ طفلٌ لقيطْ
يا كرومي المؤمنة
ذلك الفجر سِخامْ
كنتُ طاردتُ هديل الأغنية
ثم طارتْ في هدير الشاحنة
لا ظريف الطول
داواني
ولا جفرا
ولا نوحُ الحمامْ
عَشَّشَ الوقواقُ في تلك الأغاني المُزْمِنَة.

قال في وصف العيونْ
عنبٌ من خُضْرَة البلّور ، والماءُ نبيذاً صار في قاع المخازنْ
صار عُشباً في السلاسلْ
بعد هذا
لوَّن البحرُ تجاويف المحيطْ
بازرقاقٍ من وَرَسْ
ثُمَّ رنَّ الهاتفُ المربوط بالصحراءِ
فارتَجَّ الجَرَسْ
فأتَتْ صاغرةً هذي القوافلْ
ثُمَّ جاءَت من تقاطيع الفضاءْ
بحماماتٍ زواجلْ
قُمْنَ كَحَّلْنَ الليالي
فلماذا أيُّها الدربُ ... التعالي
لم أشَأْ أن أتخلّى عن سماءٍ وتوابلْ
تلك يا غاليتي دربُ العيونْ.
قلتُ للشُبّاكِ إن شئتَ الهواءْ
ضَعْ على صدركَ مُنْخُلْ
كي تَمُرَّ الفِتْنةُ الخضراء،

تمشي
تتهادى
تترنَّحْ
قلتُ للشبّاك إن شئت من النخل الرُّطبْ
افتح القلبَ لِعَصْفي وجحيمي
سوفَ تربحْ
قال يا شاعر كنعان الذي
من طينة الشام ومنديل الموشَّحْ
إن تفوَّهْتُ بعشقي
سوف أُذْبَحْ
ولهذا سوف أشكو
لعساليج العنبْ
ربّما تفهمني دالية قربَ حَلَبْ.

جَنَّنَتْني
فتنةُ العنقود في هذا القوامْ
قلتُ : لا يُشْبِهُها هذا الكلامْ
أو يُساويها ، إذا شاءت ... أحَدْ
في صفاء الماسِ والصحو الرفيعْ
قمتُ أوعزتُ لنار الأولياءْ
أنْ تغنّي لمقاطيع البَلَدْ
قرب ساح المهرجانْ
المواويل التي – زريابُ غنَّاها
على سطح الزمانْ
جَنَّنَتْني فاتناتُ العين في صمت البقيعْ
كحريق الأغنية
شَبَّ في الروح وساخَتْ
أرضُ عذرائي البَتولْ
كلّما سالتْ مآقيها
تذكّرتُ الخليلْ
فأشُمُّ الدّارَ، لو تُشبهُها، ثُمَّ أقولْ:
لستُ إلاَّ حجراً في قاع هذا الأرخبيلْ
أرقبُ الفضَّةَ في الخصر النحيل
أو أشُمُّ الزَّعفرانْ
قرب ساح المهرجانْ.

لا تَقُل قد قسَّموها يا أبي
فهي ضوءٌ أبديٌّ في المكانْ
وهي مفتاح سماوات القبولْ.
يا عزيزي المستحيل
يقرأ الوقواقُ أسفارَ الرحيلْ
حين لا يكتشفُ الجذرَ ،
ويغشاهُ الذبولْ

إنَّ للخوف من الأرض ... أصولْ .

8. شطّ ريقي عليها

عاشقٌ من تَنَكْ
عاشقٌ من حديدْ
عاشقٌ من صقيعْ
لم يجدْ أثراً لليمام على شجر الجوز فاغتاظ
حين رَمى حجراً في البقيعْ
كان يمشي الهُوَيْنا على دَرَجِ
من نجيل الربيعْ
مرَّ ذاكَ الهواءُ على وَجْنَتَيْها ومرَّتْ
مُروجُ العصافير، حتّى وقعتُ من الغيرةِ الحارقة
صباحاً إذا شافها القلبُ يُومي إليها
فترتعشُ الشَجَراتُ إذا اهتزَّت المِطْرَقة.
ولها شَفَةٌ من رحيقٍ وديعْ
ولها من صفير العواصف في السهلِ
نايُ المُوشّح
قرب غدير الأناشيدِ
كانت تُناغشني في المساء ، فلا أستطيعْ
عاشقٌ هَرِمٌ من نُحاسْ
يرقبُ الدَرَجَ الحلزونَ من النافذةْ
كي تمرَّ رُفوفُ النساءْ
شطّ ريقي عليها ولا أستطيع
عاشقٌ من نُعاسْ
يدّعي أنه لا يحبُّ المطرْ
يدَّعي أنَّهُ لا يُحِبُّ الجدائلَ
منثورةً في السماءْ
يدّعي أنّه صار زيتونةً ناشفة.

فجأةً جاءها عاشقٌ، كان مستعجلاً
كالرصاصْ
وَلَدٌ مثلها يُتقن الوَلْدَنَهْ
شِفْتُهُ يتأبَّطُ فاتنة العاشقينْ
شافني فارتَبَكْ
ثُمَّ زَحْزَحها باتّجاه اليمينْ
حيث ناولني زنبقَ المُنعَرجْ
كان يقطفه من حديقة بستانها الياسمينْ
كي يزيل الحَرَجْ
قمتُ مَزَّعتهُ نتفةً نتفةً واحتواني الحنينْ

بعد هذا
استللتُ سيوفي من الذاكرة

حيث أحضرتُ فاتنة من قرنفل
وادي الكلامْ
ثمّ لاحقتُها بخيالي على الخيل في غابةِ
الروح، أمسكتُها باللجامْ
عُرْفُها مثل ديكٍ على كرملٍ لا ينامْ
شطّ ريقي عليها،
تدفّقَ نبعٌ فصيحْ
قمتُ مَرْمغتُها في الرُغامْ
قمت نثورتُ تلك الضفائر في تلّةٍ
كالوضوح الرصينْ.
ليتني يا زُمُرّدتي
في شفاهكِ
مزمارَ هذا الزمان الذي تعزفينْ
ليتني في بريدكِ ،
تلك الخطوط التي ترسمينْ
أوْ شباككِ تلك التي تنثرين على العالمينْ
أنا الهامش الهَشُّ ، أنتِ المُتونْ
شطّ ريقي عليها
شطّ ريقي عليها .

9. ليلة الافتتاح

على قمّة الجبل الآدميّ الذي
كلّمَ البحر حَوْلاً من السردِ ،
كانت تُدَنْدِنُ أغنية قُرْب نهرٍ ،
سَوالفُ مريم في شاطئيهِ
تَدَلّتْ على قبر أندلسي ،
تراجعَ منهزماً ،
في الأعالي السحيقة من تِلْمِسانْ.
قرأتُ على قبرهِ سورةً،
حيثُ فاضت عيونُ السماءِ التي
أصبحتْ وردةً كالدِهانْ.
ترشُّ العصافيرَ بالقمحِ
تجثو العصافيرُ راكعةً عنْدَ أقدامهِ
في صقيع الصباحْ
تدندنُ أغنية لونُها
لم يكن في قصائِد لوركا
ولا في رسوماتهِ
فوق جدران غرناطة العرب الراحلينَ
ولا في رسومات ميرو
ولا شافها راقصٌ في نشيد السماحْ.
تُدندنُ أغنية
لنساءٍ

فسائلهُنَّ
تَفرْعَنَّ ،
في أفقٍ من طيورٍ مُلوَّنةٍ زاعقاتٍ ،
ولَسْنَ نوارسَ
لَسْنَ نسوراً
ولسنَ طواويسَ
يركُضْنَ في الحوشِ عِنْدَ المساءِ
ولا سائحاتٍ مِلاحْ
ولكنّها عَبَقٌ من قُرُنْفلِ هذا الزمان المُتاحْ.
أموتُ على السَرْجِ
قبل النوى
غرِّبي، غرِّبي، غرِّبي وادفنيني على تلَّةٍ
واحفري
احفري
احفري
أشمُّ النسيمَ من الغورِ في صبغةِ الأرجوان
احفري خشب الأبنوس،
إذا شئتِ قاعاً فسيحاً وموتاً أكيداً
خذي خنجري
إذا شئتِ بالأرجوانِ امسحيهِ،
بزيت القناديلِ في بيت لحمِ الأسيرةِ
بين شقوق الأفاعي التي كسَّرَتْ نجمةَ
الماءِ في مُدُنٍ من صبيبْ
قبل عيد الصليبْ

هكذا ، تتآخى فعولنْ على صَدر جارتها
فاعلنْ
فاغرسي شجراً أو رماحْ
ولتكن حُفْرتي في الأعالي
التي كان رُهبانها يتعبون من السردِ
حيث المدى
ساكناً، وأنا قد تعبتُ من السردِ
يا جَفْرتي
فلتكن حُفرتي ...
قُرْبَهمْ
قُرب دُرّاقةٍ
أو صنوبرةٍ
عند صفصافة الكرم ،
سلسلةٌ من روايات أمّي،
تطلُّ على مرجةٍ من أقاحْ.
- هكذا دَنْدَنَتْ في تِلْمِسَانَ ،
واشتاق منها الوشاحْ
هكذا دَنْدَنَتْ ليلة الإفتتاح.

10. ما للقصيدة لا تطاوعني !!

ما للقصيدةِ
لا تطاوعني
فأهذي تحت أرْزتها العجوز
كأنَّ سيفي قد تكسَّرْ.
شَقَحَ الجبالَ،
فشقَّها نصفين
من عنبٍ تلوح كرومُهُ خضراءَ
في قلبي
ومَرْمَرْ.
سُحُبٌ
تُغَبّشُ مَرْجَ ذاكرتي فأشقى
ثمّ أشقى
ثمّ أشقى
مثل مهزومٍ تَذكَّرْ.
الريحُ في سَهلٍ من القصَب الشفيفِ
تغازلُ المجرى
فتنعكسين في الماء الذي مرآتُهُ السُفلى
تواريخُ الحَبَقْ.
كانت نوارسُهُ تُغنّي في سديم الروح
مجزرةً من الأشواق ،
فوق حُطامه تَسْهَرْ .
حتى العماراتُ التي
في وجهها
الجَدَريُّ
والعصفور نَقَّرْ
نسيتْ مواعيدي
كأنّكِ غيمة سوداءْ
أو ماءٌ تَعَوْكَرْ :
- تلك القصائد من رَمَدْ
وسواي لم يعشق أحَدْ.
ماذا أقولُ

إذا القصيدةُ
نكَّدَتْ روحي وفرَّتْ
من أصابع هذه الذكرى
فأخطأتُ العدد.
كانت إذا فتَنَتْ
تُخلخلُ ما تبقّى
من مسامات الجَسَدْ.
بل حين أنكرني الهواءْ
كانت تغطّيني
إذا هبّت عواصفُ من صهيلِ
في جبال البُطْم
أو في غابة البَلّوطِ
في الوادي السحيقْ.
كانت إذا عطش المغنّي
أشربتْهُ نبيذَها ونشيدَها الأبديَّ ،
لا تعشق سواها
أيها المطرودُ في ليل الحريقْ.

ما للقصيدة كالدجاجْ
تهذي كأعمى في الطريقْ
في عُنقِها سِكّينُ عاجْ.
خَرْبَشْتُ صوتَكِ في الخرائطِ
يا عيوني
عينان زائغتان
هل مرَّت قرنفلة تمازحُ عوسَجة
قالت لها :
من يَنْتِش الأشواكَ يا هذي يَقَعْ.
عيناكِ زَعْوَلَتا جُفوني

ما للقصيدةِ ذابلة
ما للقصيدة لا تطاوعني
فتبقى في الهوامش
حين تنكرني مُتوني
نعسانة متمايلة
تمشي على قَرْعِ الطبولْ
أو ترتدي ثوب الخمولْ
نثريّةً متكاسلة.

ما للقصيدة تنحني
قُدّامَ جَلاَّد البلَدْ
لكنّها لا تنحني
قُدّامَ واحدٍ أحَدْ !!!

تلك القصائد كالرَمَدْ
وسواي لم يعشق أحدْ.

11. سوالفُ الوثنيّ

كنتُ أشوي الحمامات في موقد الغابة الماطرة
كان في الغابِ توتٌ بلون الشَفَقْ
مطرٌ غاضبٌ مثل عاصفة الإنشقاقْ
طافحٌ بالأسى مثل فِطر الرعودِ
على المنحدرْ
كان قاعُ السيولِ نساءً
شجيراتِ دفلى
هنا دُفِنَتْ تحت جُرْف عميقْ
ظلَّ وادي الغيوم مزاراً
توُّمُ الحماماتُ أطرافهُ في المساءْ
بَدأتْ حفلة النوح والرقصِ في ساحة المدرسة.
وثنيٌّ
سوالفُهُ
كجناحين من فضّةٍ
أشعل الصمت
بالرقص
حتّى التَعَبْ
خَطفَ الوثنيُّ مناديلها
ثمَّ خطَّط فوق المناديلِ
تطريزةً
من عروق ثياب الخليلْ.
صافح الريحَ
ثمّ استدار
وفرَّ على ظهرها
كالرصاصة في غابةٍ من ذَهَبْ.

برهنَ اللوزُ
أنَّ النوى
من صفات الذبول أو الاحتراقْ.
قام
ليلاً
بتفكيكها
صِفةً، صِفة
تلو أخرى
زُقاقاً وراءَ زُقاقْ.
كنتُ آخذُ فجراً شهيقي
من الوردِ
تحت صنوبرة البحر

ثمّ َ أضفتُ رنين الخلاخيل
في ساق فتنتها
الأبديَّةِ
كانت تجول مُحدِّقة
في خطوط الرسوم التي أشرقتْ عنباً
في ممرّات هذا الرُواقْ.
ثمّ َ حامَتْ طيور الشَرَقْرَق
في روضةِ الحَرَمِ
القُدُسِيّ
الذي من رحيقْ
وتواصل هطْلٌ عنيفٌ لكي تتوهجَ
هذي الشرايين، حتّى يجيء
على فرَسٍ جامح ذلك الوثنيُّ المُضاء .
قد يُغادر سِرْبُ المحارات أعشاشه
ثمَّ يشلحُ عند صخور الينابيع
أشواقه
فأهيجُ كذئبٍ، أمَصْمِصُها حَبَّة حَبَّة،
ساحلاً، ساحلاً،
كاحلاً، كاحلاً،
راكباً، راجلاً،
صاعداً، نازلاً،
خارجاً، داخلاً،
راكعاً، ذاهلاً،
هابطاً، طالعاً،
سائراً، مائلاً،
ثمّ َ أدخل بين الشُقوقْ
ثمّ أفترسُ الرغبة البدويَّة بين العروقْ.
المدينة لا بحرَ فيها ،
بلا مطرٍ أو سرابْ
طُحلبٌ يتسلّقُ جُدْرانَ نافذتي – امرأةٌ ...
في نَفيفِ الصنوبر ، بعد النبيذْ
عادةً بعد هذا النبيذ ، تجيء امرأةْ
أخَذَتْهُ إلى جُحرها الذهبيّ الأنيقْ.
يا صباح الصباح
الصَبوح
الذي
جاء بعد نُزوحي ،
شقيقة روحي
أريحي
أريحي
وجوحي
على وجع الاختراقْ.
كي أوضّحَ ماذا جرى في السياقْ

بعد عشرين حَوْلاً من الدمع
قابلتُها
صُدْفَةً
في العراقْ
العِراقُ من العِرْق،
حيثُ العروقُ بألوانِها
في الترابِ
الذي بلّلَ البلبلُ النرجسيُّ شواطنه ،
بالوَرَسْ .
وثَنِيُّ البروق،
سَرى مثل سهمٍ
على ظهرِ هذا البُراقْ.
برهنَ الصمتُ أنَّ البياض حرامْ

- ما تقولُ ،
إذا استدرجَ
الوثنيُّ ،
النجومْ
إلى غرفةٍ، بعد هذا البياض الرُخامْ
حيث غاباتُ عشقي زحامْ ؟!

12. هكذا، هكذا يا عزيزي

كان يمشي كقنبلةٍ
في سماء القناديلِ
لكنّه يرتجفْ
قمتُ شاغلتُهُ
بالصَفيرِ
الذي وصلَ القاعَ بالقاعِ
حتى رموز رموزي
كيف أكتبُ عن عشقها
جملةً ... مثل أيقونةٍ
فوق صدر الزمانْ
قال لي : يا عزيزي
كيف أقنعُها بالصهيلِ الذي في أسِرِّةِ هذي الغُرَفْ
دون أن يشعر المِسْكُ في جيدِها بالهوانْ
أوْ يساورها الشكُّ
في قُدْرتي
أنْ أمُرَّ على صفحةِ الامتحانْ .
- قلت: أمْسِكْ ضفائرها واعتَرِفْ
قال لي: لا أريد الوضوحْ
قمتُ نثورتُ ضحكتَهُ كالدقيق
على عوسجٍ ، فتداعى الجبانْ
حين قلتُ له يا عزيزي:

سوف تهربُ منكَ
كأيقونةٍ
وتطيرُ الفراشاتُ في غابةٍ من سَعَفْ
لا نَخيلَ يَدُلُّكَ،
كالعاشق المحترفْ
ثمّ سرتُ طريقي الذي من زجاج ،
رميتُ له نصف تفاحةٍ فاسدة.

كان يهذي وحيداً :
لويتُ جدائلها بالأصابع
كانت مُغَمَّسَةً بالرحيق
لويتُ جدائلها ،
ثمّ بوزي
- هكذا، هكذا، يا عزيزي .

13. بعد البحيرة ... مطعم متوحّش

مُهْرةٌ
من غمامِ ملائكةٍ من حليبْ
حيث تومي بأسنانها أتوهجُ تحت المطرْ
بعد ليل النبيذِ
ارتدتْ مِعْطفاً من زبيبْ
وأنا من سيوصلها للفراش ومن
سوف يُمسك عُنّابها
ثمّ تشكرني بالوداع من النافذة
مُهْرَةٌ سَمْحَةٌ لا تصدُّ الحبيبْ
ولها قبلةُ الذوبانِ
احتراق الفراشة وَسْطَ اللهيبْ
ولها بَسْمَةُ الأقحوان
لها عَضَّةٌ مثل ذيبْ
ولها - حين تسهرُ صوتٌ حنونٌ
ولا العندليبْ !
كان ذلك في ليل بيروت قبل الرحيل.

مثل جنيّةٍ
سافرتْ
في العواصفِ
معجزةً
هبطتْ
في سمائي الغريبة حتى الضَجَرْ.

ابتسامتها ذَهَبٌ كالعناقيدِ
أوْ من شعاعِ زُجاجاتها في الهلال الخصيبْ

الكلامُ كخمرةِ صوفيا،
انسيابٌ يُخَلخلُ هذا السكون الرهيبْ
اركضي
اركُضي
فالبحيرة لا تنتهي بعد شمس المغيبْ
اركضي
اركضي
يتشعلقُ فيكِ الندى،
السنديانُ
الصنوبرُ
والتوتُ
والمركب البدويُّ الذي
يتمرجح في الماء حتّى يتوبْ.
ولها نورسٌ
سوف يزعقُ في المزرعة
ولها تقفُ المركباتُ ، لها تُرفعُ الأشرعة
ولنا في مفاتنها أن نذوبْ.
ثمّ بعد البحيرةِ
سوف يفاجئنا مطعمٌ يرتدي ثوبَ قرميدهِ
يختبي
مثل حوريةٍ من فرَحْ
غابةٌ تَتَسَتَّرُ بالحور والشجر الوثنيّ،
فيشرقُ منها النبيذُ المعتّقُ،
في ضوء قوس قُزَحْ.
مطعم يتوحش في ظلّ بُنْدُقِها المتبلّل،
باللذّة المُترعة
كان صلصالُ قرميدةٍ يشتكي،
يشتهي الانتقامْ
في عشاء القواقع،
مَصْمَصْتُ قرميدةً ثمَّ مَزْمَزْتُها بالبلَحْ .

تعبتْ مُهْرَتي من لهاث الجبال،
المحيطة بالمشهدِ الوثنيِّ الذي لا ينامْ
حين أغفت ملائكةٌ من حليبْ
قلتُ: نامي ، فبيروتُ ليست تنامْ.

14. بأغنيتي أسحر المناقيد

على نجمةٍ
من عقيقِ
أعُدُّ الحصى،
ثمّ ألقيه في البحر، حتّى يفيقْ.
أشمُّ الطريقَ التي لامستْ كعبها،

وأشمّ الهواء الذي شَمَّها في سماء الحقولْ.
أغارُ من البحر حين رآها ، فعَوْكَرْتُهُ بالحصى
والثريدِ، استفاق زجاجُ الكنيسةِ
بيضاءَ، بيضاءَ، حتى الجذورْ.
شِعابٌ ملوّنةٌ وشعوبٌ ملوّنةٌ غازلتْهُ
المراكبُ في الصيدِ
لم يُدْرِكِ البحرُ أنَّ حصاتي
استقرّت على جبل من قواقعَ ،
مَزْمزتُها مثل ذئبٍ
على عرشهِ
قرب طاولة البحرِ
في مطعم خشبـي
من الأبنوس
وكانت تمرُّ على فرَسٍ، أصلُها، فصلُها
من بلاد اليَمَنْ
ثمّ فتنتُها تسحر القادمينَ
من الشرق
فوق سنام القوافي
وكان [كفافي]، إذا شافها خِلْسةً يعترفْ.
قرب شارع تانيسَ في حانة الأصدقاءْ.
ثمّ لاحقها في الشواطئ، ما مَسَّها مَرَّةً واحدة .
لأنَّ – كَفافيسَ ، لا يستطيعْ
وكان إذا شاءَ ، يَنْدهُني خِلسةً ،
في صباح الرذاذ ... تمرُّ كحوريةٍ ،
وأنا كصريع الغواني .
سماحتُها تسحرُ الروح
هذا الهديل ابتلاني
بأغنيتي أسحرُ الأغنياتِ، تُشَعْشعُ
فوق الصواني.
بأغنيتي أسحرُ الأزرق الوثنيَّ الكبيرْ
بأغنيتي في سماها الجبالُ تطيرْ
بأغنيتي قمتُ هدهدتُها برذاذ الأغاني
أفاجئها بالتعاويذ حتّى تراني،
لكي لا تراني
مُهذّبةُ الطول في مطلع النصِّ
كانت تحومُ
كضوءٍ على لُجّةِ الماءِ
في ساحةٍ
نصفُ أغنامها سارحة
كصوت الغمام المُقشّر
راحت تغني النشيدْ
فراشةُ ضوء البرازيل
حامَت ونامت على عنُقي

واستراحتْ من الهذيانْ
كراهب كنعان حين انتهى
من صياغة تلك النصوصْ
وداعاً لسيّدةٍ من عطور الدخانْ
وداعاً لمبسمها الأقحوان

15. حلزون أنيق

حلزونٌ أنيقٌ،
يُتَفْتِفُ كالبحر فجراً،
له شاربانْ
وله مَجْمَرٌ ورمادٌ وروثٌ،
له في الحديقةِ،
كأسٌ وغليونُهُ خشب السنديانْ.
وله نفثة مثل هذا الفحيحْ
سَلِسٌ كالقطار على الرمل ينسابُ
كي يستريحْ
يتحدثُ كل اللغاتِ الفصيحةِ منها،
وغير الفصيحْ
المَحارُ الذي مثل شاعوبةِ السُمِّ،
بين نواجذهِ أفعوانْ
فالمجالسُ أسرارها عِنْدَهُ ظُلْمة،
ومؤامرةُ الجُلَّنارْ
كعكبانيةُ اللون،
رائحة القتل منها تفوحْ
أيُّها الاصفرارْ
أيها الحلزون الجريحْ
أيها الحلزونُ الذي باقني مَرّةً، وابتسامتُهُ،
كالمضيفة، ليستْ تُريحْ

كان ودَّعني
قُبلةً،
طعنةً مثل عارْ
في المطارْ
قال لي : كم أحبُّكَ،
قلتُ: صحيح ؟!!! .

16. ضفدع الجاليري

ضفدعة تحترفُ النَّقْنَقة على الشعراءْ
أكلتْ قمراً
يسبح في النهر العُشبيّ اللّماعْ
فأفاقت أفراس النهر،
كعينيها ارتعشَتْ مركبةُ الفرسانِ المذعورينَ،
انتفضَت حوريةُ هذا القاعْ :
لسماعٍ صافيةٍ كالروح،
يغنّي مارسيلُ بن خليفة
لنجاشي كالسُمّرةِ غنّى عبد الوهابْ
أمّا فيروز، فتسحرها مريامُ الأسوار،
مع الأبوابْ
تَتَبَّعُ خيط دموع الطفل من المهدِ،
إلى جُلجلة الأنخابْ
تحملُ جرّتها للعين الجبليَّة
غطّاها سَعْفُ نخيلٍ،
تنسجُ سلّتها،
تتشعبط سلسلة في الكرمِ،
وتترك بصمتها في درب الأوجاعْ
أشربُ كأسين بصحّة بعض الرُوّادْ
أشربُ كأسين وأقرأ تكتكة القلبِ
الريفيّ المتّكئ على كتفكَ يا [صِنّينْ]
كي أسمعَ ميشيل طرْادْ.
مطرٌ وعواصفُ في صحراء خليج
السيّابْ
ظلّ الضفدعُ مقتنعاً أنَّ مخالبَهُ،
سيفُ القعقاعْ :
كانت بنتاً ناعمة نازحة ،
تختلطُ بسحْنَتها الأنسابْ
ظلَّ ينقنق في مقهى الجاليري ،
يتذكّر صَفْعَتَها بالقُبْقابْ .
جفّ النهر، توقفت الأزمنة المُرَّةْ
القمرُ الأرنبُ قام تباهى في جَنَبات الحَوْمَهْ
شهقتْ شجرةُ بلّوطٍ من غُصّةِ ضحكتها السبعينْ
فأقامَت للنازح خيمة .

الضفدعُ راح يُعاقر خمر التذكارْ
هَرَبَتْ لوحاتُ الرسَّامينْ
فارتحل الضفدعُ للبارْ
أوّلُ نفثة سُمّ ،
أطلقها ،
كانت ضدَّ الشعراء الكنعانيّينْ .

17. عاصفةُ عصافيرِ تِلِمْسانيَّة

وَرَسٌ في كوب الشاي الأخضرْ
ورسٌ في رأس الحانوتْ
ورسٌ في أجنحة عصافير شَرَفْرَقْ
ورسٌ فوق مقاعد مقهى أندلسي مهجورْ
يرتَطِمُ العصفور مع العصفورْ
ورسٌ فوق جدار القلعة فاجأني
في شرفة هذا الفندقْ
ورسٌ يحتلُّ ذؤابات الأشجارْ
مدرسةٌ من عهد [ابنْ خلدونْ].
مشفى من قاع الصمت الغرناطيّ
مخطوطاتٌ صاغ قصائدَها ابْنُ مْسايبْ
عاصفةٌ لملايين عصافير الدوريّ تُحاصرني
وأنا في طقس القلعةِ ، مهزوز الأركَانْ
عاصفةُ الرقص البدويّ الباريسيّ النعسانْ
خلخلتِ القاعةَ، حتّى انزعج الزيّانيّونَ
على تلك الأسوارْ
رملُ الصحراء الأحمر
يغتصبُ شبابيك الزلّيجْ
منفياً في هذا الفندق

كانت صرختُهُ الأولى
في حَقْلٍ أندلسيِّ الألوانْ.
لولادة كنعانْ
الولد الأزعر
يسألني من أنتَ إذا انْقضَّتْ عُقبانْ
نَهشَتْ أطراف فريستها وابتردتْ
بثلوج الحيتانْ
- أتدفّأ مرج موشحها الأسمرْ
في [تَلّ من ماءٍ سالَ]،
على الشطآن الحجريةِ
ثمّ تَرَقْرَقْ
خذني للبريَّة
خذني لكروم اللغة المفقودة في جبلٍ مفقودْ.
ظلّ (الزيّانيّون) على أسوار القلعة والفُندقْ
فوق ظهور الخيل العربيّة يمتشقون الموّالْ
حلفوا بنساء تِلِمْسَانْ
أن يشرقَ صمتُ المشرقْ.

18. مثل قِدِّيس

مثل قِدِّيسٍ،
رأى ما لا يُرى،
بعد الكؤوسْ
في شباكِ الصيدِ،
قاع الظلْمة المشتعلة
شَجَرَ الألوان مأخوذاً من الروح التي
من طيوب الدير،
تسري في القرون الغافلة
مثل قدّيسٍ رأى قبراً فسيحاً،
لن تراهُ القافلة
أخضرَ الطوبِ،
يصلّي،
خلف سور الحُجُرات المُقْفَلَة.
غاب عنّي في دهاليز الرخامْ
سَطْرُ حبٍّ،
خطَّهُ الإغريقُ ، ما قبل البَسوسْ
قمتُ حرّضتُ جيوشاً من لغاتٍ ماكرةْ
كي يفكّوا أسر هذا الخطِّ،
لم تنفع شفاعات الطقوسْ.
(فرَماني) كنت قد أصدرته للسَفْلة
عندما كان رماني،
طائر البطريق بالسهم الرئيسْ
حيثُ أقواس البنود السافرةْ

فتهاويتُ على الرمل كقدّيس يَبوسْ
حين صَدَّ القومَ عن أسوارها المُحتضرةْ

أيُّها القدّيس يا سِبْطَ ملوك الشَجَرة
عندما حُوصِرْتَ كذئبٍ كنت تعرفْ
غير أنَّ العارفينَ المَهَرةْ
طنّشوا حتّى تلاشى الوشمُ،
في الصيف الحريقْ
من تقاطيع وجوه السَحَرةْ.

19. صباحٌ أصفر يليه ثلج

منذُ الرومان انتثرت حبّاتُ الثلجِ،
على جبل الأسلاف المنسيّينَ،
سيوفاً ورحيلاً مُنذُ الرومانْ
تركتْ خطاً أثرياً في رملٍ مبلولْ
منذ المقتولْ
منذ المصلوب على خشب البلّوط الولهانْ
منذ الأندلسيّ المنشور على سطح الخانْ
صَعَدَ البلبل فوق تلالكِ مريامْ
غنّى أغنية العنب الأصفر
فارتعشَ على باب مغارته الغولْ
صَدِئتْ أحواضُ النعناعْ
فاضَ السيلُ الأزرقُ تحت سماء القيعانْ
فانفجر نبيذٌ ممنوعٌ مجهولْ
منْ يذكر رعشته في طابور الأسرى
من يتذكّر حيرته في الترانزيت البدوي !!!
لَعْمَطْتُ جبيني بالندم الداكن في الغورْ
هل كانت أفعى الشبق رماديّة
يتدّفق في قلب مغارتها الليليّة
هل كان العنبُ المنقوع بكارَتها
أتنفّسُ رملاً من طوبْ
قد يأتي بعد الصحراء ، الثلجُ المغسولْ
قد يأتي عَسَلُ الملكاتِ الشقْر
على كعب أخيلْ
صُبحٌ برمالٍ سوداء ، يليه الثلج المسكونْ
فاجأني فارتعش القلب المعطوبْ
أنتظر مسيحي المصلوبْ
أنتظر مسيحي المصلوب .

20. طفولة هذا السياج

نَتَفتْ وردةً من سياج الحديقةِ،
ثمّ انتشتْ، صَهْلَلَتْ، رشقتني بها

فتحرّك في داخلي ، أرنبانْ
كَمَّسَتْ قبضة الثلج بعد الربيعْ
شلّحتني قميصي فقررتُ أن أقضم السلْسِلة
لي يدانْ.
طفلة نثرتْ شعرها في الهواءِ
ارتختْ حين دَلَّعتُها بالأغاني
الحنونةِ في المنعرجْ
عند نهرٍ من الماس، يمشي بطيئاً، لَهُ
ثغرةٌ قاتلة
ولها صبر أيوب مثلي،
على صدرها عُلّقتْ سنبلة
طفلة ولّعتْ صمت هذي المروجْ.
قال نهر السماء لها في وَلَهْ.
يا سماوية الروح، هذا الصفاءُ،
على سطح هذي الصَفاةِ ، فلا تكثري الأسئلة .
قال نهر السماء لها: يا ربيعية المشمش،
البلديِّ يفوح اصفراراً ،
أذوقُ أذوقُ أذوقْ
- أيُّها البدويُّ ، أما ترعوي ،
أوقفِ المرجلة.
إنْ هبطتَ إلى القاع،
خلفكَ نهرُ عويلْ .
(المهايا) قبائلُ في سفح مِكْناسَ،
ينتظرون الإشارات في الطُرقاتِ،
ولا يأبَهون لطول الزمانْ
المَهايا، بقية أهلي، سوالفهمْ أرجوانْ
قال نهرُ السماء لها:
زنبقٌ شمّني وصنوبرةٌ عضّت الروحَ،
في باب فاسْ
قال بنيّسُ ، هذا زمان النُعاسْ.
قد تكون امرأة
نطرتْني طويلاً على ثغرة الاعوجاجْ
عذّبتني قليلاً على درج العُشبِ،
قُربَ طفولة هذا السِياجْ .

21 ... توقيعات

1. لا تقل لامرأةٍ :
لا تَقُل لامرأةٍ في الأربعينْ
وَخَطَ الشَّيْبُ جناحَ القُبَّرةْ
قل لها إنَّ سماء الأربعينْ
فتنة للناظرينْ
عنبٌ، دُرَّاقة مُخْضَوضِرَةْ .

2. لا تقل لها:
لا تَقُل لامرأةٍ ...
كم يبلغ الورد من العمر،
إذا كان السؤالْ
أزليّاً وعتيقاً كالجبال.

3. لا تقل للشجرة :
لا تقُلْ للشجرة
أيُّ أغصانكِ أجملْ
إنّما مشّطْ لها الروح وأهداب الرموشْ
وتغزّلْ.

4. لم تكن تعرف :
لم تكن تعرف شيئاً
من أمور السحر في التقديم والتأخير ...
لكنْ
حين أغفتْ وحدها
ثمَّ استفاقت فجأةً
صاح بها صوتُ النذيرْ
حَدِّقي
هذا النعامُ البربريُّ النار
بالسوطِ ... يطيرْ.

5. لا تقل للسماء :
لا تقلْ للسماءْ
أنت زرقاءُ الرمادْ
قل لها ... صافيةً كالنبع في أوَّلهِ ...
قبل الحداد.

6. مثل ذاك الشاعر :
مثل ذاك الشاعر الكذّابِ
لم تشهد عيوني
يرسم الكلبَ ... حمامة
ويوازي بين مقهورٍ ... وقاهرْ
فإذا جاء زمانٌ كالأظافرْ
قال إنّ العين لا تعلو على الحاجِبِ ...
إنْ شئتَ السلامة.
7. لا تقل للنائحة :
لا تقلْ للنائحة
كيف وَلْولتِ بلا دمع يفيضْ
قل لها لا تنشري، هذي الفضائحْ
كلُّنا للموت رائحْ.

8. شفتاها :

شفتاها من لهيبٍ ودهاليز دروبٍ ونصوصْ
وأنا العطشانُ تحت المقصلة
فلماذا حين تُومي ويجافيني القميصْ
لا يُجيب البرقُ عن أسئلةٍ منفصلة.

9. ساحة السيّاح :

قيل لي في ساحة السُّيّاح شالاتٌ
من الكشمير ، ترتاد ذؤابات الفضاءْ
وعلى كل البلاطات ، نقوشٌ في ممرات الغيومْ
ثمّ َ أنباطٌ ... وروم ْ
ثمّ َ هذا العوسج البريّ، مصلوباً
على كهف الرقيمْ
كيف أمحو شائعات الأعدقاءْ
أيّها القلب الرحيم.

10. مواعيد :

لا تقل لامرأةٍ في ذِروة الزينة حول الرقبَة
حَطَّتِ المرآةُ فوق الخشبة
حيث ظلَّ الكحل في الجفن يسيلْ .
اسمعي يا جارتي ، قرْعَ الطبولْ
زفَّة السيّد فوق المَصْطَبَة
غَيَّرَ العاشقُ ميعادَ الندى،
قبل قليل.

11. ساق القرنفل :

يا صديقي
أيها الغيم الذي يلعب بالزهر ...
على شال الحريرْ
فوق أكتاف القدود المائساتْ
انثر الثلجَ على ساق القرنفلْ
وتمهّلْ.

12. حين تسقين السفرجل :

مرَّةً، قلتُ لها يا نجمة الهمس الجميلْ
إنَّ هذا الاشقرارْ
ليس إلاّ سرطان القيد ، كالوعد المكبَّلْ.
قد تصيرين عصير الجلّنارْ
حين تسقين السفرجلْ.

13. قاع :

كانت الشرفة قرب البحر ، مأوى عاشقيْنْ .
خِلسة في زمن الإغريق، حيث الأرجوانْ

فوق ثوب العرس ، منقوعاً مع الخَلّ العتيقْ
بعد هذا، طافحاً في بَدْءِ حرب الوردتينْ
هجم البحر الذي اهتاج ، فأقْبَلْ
برذاذٍ ساحليٍّ، يغسل الحلم المؤجَّلْ
فمددتُ الكفَّ في غاباتها
صرختْ أيُّها الوحشُ الحميمْ
اترك القاعَ ليسترخي ... تَرَجَّلْ
وتعجّلْ.

14. قبل الغروب :
لا تقل لامرأةٍ قبل الغروبْ
جَرّبي كأسَ النبيذْ
يشعطُ الروحَ ويشويها
على جمر الرموز الخائفة
قل لها: إنْ تشربي
يخضرُّ فيكِ الرملُ
تحمرُّ العروقُ الناشفة.

15. مُثاقَفَة :
بدويٌّ يرشق النار على غابات أوروبا
لتُمطِر
يا صديقي لا تقل لي
صرتَ فرعاً في جذوع الشجرة
عُدْ إلى خيمتك الأولى وحدّقْ جيّداً
في النبع ... تسكرْ
أنت في المهجر مربوطٌ بحبل السَّحَرة
لا تقل صرتَ حداثياً
فهذي الياقةُ البيضاءُ، لا تنسى ... وتشعُرْ
البَرابيرُ على أردانك الخضراء، تذكَّرْ
فتذكَّرْ
قسوةَ الصحراء في الفجر المبينْ
أيها الطفل الهجينْ.

16. أسبـاب :
عَلِّل الأسباب، واذكر جذرها قبل المنام
كيف غاص البحر في القاع وماتْ
طقّ حين دَقْدَقنا الخيام
في سهول الغور تحت الشَّجَراتْ
قال ويلي، كيف أحيا في عصور الظُلُمات .!!

17. نـادلـة :
كانت النادلة الشقراء تسألْ
هل هوى الصحراء أنثى

أم لها سيفٌ وأرجُلْ
كنتُ مقصوداً بهذا ، وأنا حول السؤالْ
بدويٌّ يَتَفَتَّلْ.

18. خرابيش :
مرَّةً ... خربشتُ فوق الحائِط المجنون،
في السور السفيهْ
جملةً في الحبّ، تمشي،
مثل أغصان الموشّحْ.
في صباح، كان في اليوم الذي كان يليهْ
جئتُ كيما أقطفَ الموَّال من زَهْرٍ تفتَّحْ
كانت الحيطان ترشحْ.

19. قرميد أحمر :
طوبة أدلت بتصريح عن التاريخ
قالت للنوافير التي في صخرها البازلتِ
تغلي، تتدفقْ
(مادبا) كانت مَقرّاً لعصافير الشرقرقْ
لم تكن للعابر المزعوم مأوى
في ذراها نجمةٌ من بيت لحم
في سماها سهرُ الأجداد في حقل الشعيرْ
صومعاتٌ من نبيذٍ وبقولٍ وحُبوبْ.
يُقرأ المكتوبُ من عنوانهِ
قبل إحراق الرسالة
أيها الوجه المُريبْ
في زمانٍ عَظُمَتْ فيه البطالة
فلماذا ... لا تتوبْ.

20. هوية مشروخة :
يا إلهي، لم أعُدْ أعرفُ في الليل
بأنَّ المشمش البريَّ يهذي في رحاب الأبديَّة
غامضاً مثل الوضوحْ
غامضاً كان يُصلّي في جبال المجدليَّة
يتجلَّى في العلالي خلف رهبان السفوحْ
وأنا ما زلتُ أهذي وأغنّي
غامضاً كالشمس، مشروخَ الهويَّة.

22 شكوى أمام دالية الأرجوان

صَيَّفوا في أريحا وشتيتُ في غيمةٍ من دم المذبحة
كم أنا طيبٌ مثل هذي اللغة
كم أنا طيبٌ مثل داليةٍ في السفوح
في مدارج حبّي تغازل طينَ السطوح

حَبَقٌ في زوايا المَقامْ
شاهداً كان ، لمَّا تسرَّبَ هذا المطر
على جبهة الحيّ، لم يستطعْ
أن يُنظّف أردانهُ أو يُلملم شَمْلَ الحُطامْ
كم أنا طيبٌ مثل هذي اللغة
لا تُوشوشُ أسرارها الرعويّة للزعفران
خلفها نجمة ذات نارْ
حيث يركبُها شاعر الوأوأة
أوْ يُدجّنُها سيّدُ التأتأة
وأنا راقدٌ في سماء الدخانْ
أشاغبُ مسترسلاً رائقاً في دُجنَّةِ هذا الولهْ
صار تشكيلة من بلالين أطفالها في الهواءْ
ثمّ صار زجاجاً تَعشّقَ بين الحنايا، تناثر كالأبرياءْ.
أحسبُ المسألة
من جميع الوجوهِ ،
لكي لا أزحلق روحي بقاع سحيقْ
أوْ أكونَ ضحيّة طيبة هذي اللغة
حين يركبها شاعر المغْمغة.
- لن أصافحهم
قال لي ذلك المتبرجُ بالريش والأقحوانْ
ثم صافحهمْ في هوان اللغة.

أعطني نرجسَ الماء، أعطيك خفقة أجنحةٍ من غرامْ
(لا يساورني الشكُّ) في أن هذي التي
(لا يساورها الشكُّ) قد أصبحتْ كومةً من عظام
فإن طقَّ قلبي وصاحْ:
خيولُ الثغور ستحرس جمرك هذا الزمان الجديدْ
قيل: بل إنها سوف تهرس صمت الحدود.
يا خيول الثغور
أعطني قوّة القلب ، كي أصهر الزمهرير
أعطني قوة الذاكرة
كي أنادي امرأ القيس من قبره في البقيع
حيث أكملُ هذا المساء هجائيةً للفرزدق أو لجرير.
- صَيَّفوا في أريحا وَرَبْعَتْ في (أنْقِرةْ)
بانتظار الذي سوف يأتي ولكنه ليس يأتي
لا أنا مع (سيدو) بخيرٍ ولا مَعَ (ستّي).

طَرْبَنَ اللوزُ في ساحة الدار، حيث تشعبطتُ سورَ الحرمْ
لم أكن شوكةً في التواءات هذا السياج.
إنّما كنت أسبحُ ، كيما أعلّق خفقة صمت العلمْ
في زمانٍ خداج.
لم أكن في نقوش الخشبْ
حيث أنقّر بعض الزخارف فوق العريشْ

لم أكن طائراً دون ريشْ
إنما كنت أرسم تشكيلة كي تناسب مرثيَّة الأرجوان.

كان قبلي فراغٌ من العشب والماء والنار، غطَّى
شقوقَ الجبالْ
كان قبلي بياضُ نعاج الغيوم الثقال
كان قبلي ارتعاش العصافير في الثلج،
قد بلّل الماءُ أعشاشَها في سكون الثلوجْ
كانت الغابة الساحرة
لم يكن في الحقول عجول
قبل أن أورث الأرضَ ملحَ الخطأ :
قُمتُ ملَّكتُ هذا الغريبْ
قبرَ زوجته، حيث أشفقتُ في هدأة الليل
حزناً على لاقطات السنابل بعد الربيع
ثم جاء الشتاء ليمسح أردانها في الصقيع
ثم قلت : اهدئي، هذه الأرض باقية كي يُنَقرَ
أطرافها سربُ هذا الدجاج
مرسلاً شعرُها كان فوق الجبين
وأنا قوسُ عاجْ
ينحني ليُقبِّلَ نقشَ الزجاج.
ها أنا مثل هذا الحصانْ
أناطحُ هذا السراب على هامشٍ من جيوش الأفولْ.
لم أكن قد قرأتُ الكتابْ
لم يكن في سماها كتابْ
هذه الأرض كانت تُبرْبرُ بالحرفِ،
ترسم للأرض لوحات هذا الكتابْ
كي تُصدّر للثلج نار الحروف
لغة تتناسل مثل المصابيح في أول النطق
قامت تُرندحُ أغنية طازجة
قبْلَ هذا أقمنا على شجر الدوح آياتنا،
بل رفعنا السماء على بارجة
كي تسافر للعالمين .

هل أكلّمُ دالية، نَسْغُها من دم الأرجوان القتيل
حيث لا تسمع المرحلة
حيث لا تسمع الوردة الذابلة
حيث لم تستمعْ لصراخي العتيق الخيولْ
حيث وزّعتُ روحي ... على السابلة
حيث لا تسمع القافلة
هل أكلّمُ دالية الروح، كي أنفخ الروح قبل الوَهَنْ
أنا الكرمليُّ الذي صاغ هذا الفضاء الرصينْ
أسافر في لُجَّةِ البحر كي يهدأ الآخرون
لأشعل جمراً على رأس بوَّابة البحر كي يقبلَ المتعبون.

صيَّفوا في أريحا ، وشَتَّيتُ في برزخ من شَجَنْ
لا أنا سيّدٌ في الخليل ، ولا تابعٌ في اليمنْ.
- صيَّفوا في أريحا ، ورَبْعَتُ في غيمة العشبِ
حين ارتدتْ أرجوانَ الصلاة
كنت أركبُ مهري الجميل
لأرضعه خُطباً من حليب السباع
صَفَنْتُ على جبلٍ ، رفض الإنحناء ، وفتشتُ عنه ، فضاعْ
لم يكن في المدى ، غير هذا الشرقرق ، يصفع وجه المدى
الوحوش تحاصرني في ثقوب الحَرَمْ
وأنا سَيِّدٌ ، أشعل الكائنات ونام.
كنت أمسك عكازتي قرب نهر يسيل على الفاتنات
عندما هاجمتني زواحف هذا الزمان
كنت أحكي لدالية الأرجوان
أوَشْوشُها ، كي تفيق من الورطة النازله
كنت أقلّبُ أقراطها، كي أغيظ الغجر
أيها البدوي الذي قد توسَّدَ عشب الحريرْ
تشككتُ لما رأيت قماش العَلَمْ
باهتاً مثل هذا الضجيج الذي لا يهزُّ القبور
أين عُروةُ مخلاتهمْ والشعير
إذا نام مهري وناموا على طاولات المدى
وأنا لم أنَمْ
إذا غرّبوا دونما فُشَكٍ أو هدير .!!!

لن أصافح تلك الخرافْ
لن أصافح طاقيَّةً أو نجوماً تذكرني بنجيع الدماء
فاعِلُنْ بنتُ أختِ فعولنْ، لماذا
نُفرّقُ بينهما في الزحافْ ؟!!
يا قراصنة البر والبحر، هذي يدي
سأشلخُها قطعةً قطعة ، دون أن يتبلّلَ سطح غليلي
سأخلع كرمي وعشب نجيلي
إذا صافحتْ قاتلاً أو قتيلاً ،
هوى ، في هوى المُلْكِ والصولجان .
- صَيَّفوا في أريحا وشتَّيتُ في غيمة من دم المذبحة
قال لي : سوف يقتسمون السماء
سوف يقتسمون الهواء ولن يتركوا الميجنا يا حزينْ
قلت : هل يتركون لك الدالية ؟!!!
نحن نسل المذابح من عهد عاد
فهل تلد النائِحات سوى النائحة !!!

أخيراً،
رأى صاحبي أنّني قد تعبتُ من الجَرْي في الرمل، حتى تحوزَ (القصيدةُ)، قلبَ الأميرةِ، قالَ: تموتُ، لأنّي أريدُ القصيدةْ. خسرتُ القصيدةَ، والسيفَ أدمى فؤادي، نزفتُ على الدربِ، لكنَّهُ مات مثل البعير،

لأنَّ الأميرة تعرفُ أنَّ القصيدة. مُطوَّبة باسم عاشقها، وموثَّقة في ثنايا الجريدة. كما الأرضُ تعرف عُشّاقها منذ (كنعانَ)، حتى ولو شُرِّدوا في بلادٍ بعيدة.

23 أصيد بي زِظاني

1. مَفروضْ :

مَفروضْ في التِكْوينْ، هالبُرجْ
إنّو سَيْفْ، وْلمّاع وبْيبْرِقْ
متل البِنْتْ مَمْشوقْ بْوَجْ الليلْ
وْمَرْسومْ بالأزرقْ
مفروضْ إنّو وَكِرْ حَمامي بَيْضا
على سَوْدا، على مْعَرَّقْ
مفروضْ إنّو غيّمة رمِحْ، فوْق السَطحْ، غطّى السَفحْ
مفروضْ إنّو قمحْ، متل الشَيْخْ السَمحْ، بيْلمحْ لَمحْ
كْنيسة المَسْكوبْ في جْبال الخليلْ
بتْشوفْ ها الزيتونْ يالّلي
مْشَعْشع الأنوارْ وضِفِدْعا بتْنَقْنِقْ
وبْشوفها مِن بْعيد نَهرْ بْيترقْرَقْ
بيْلْمْ ها الميَّات حول النار وْبتْفَرَّقْ
بتْشوفني من بْعيد حاملْ غصن مجروحْ
ومْشَقّقْ
بيْكَسدْروا العُشّاقْ بفْوانيسْ
حِمْر وزرقْ ومْعَشّقْ.
مفروضْ إنّو شَمْ ريحة رْصاصْ
مفروض إنّو صاحْ بها الليْلْ
فزّ وْعَوْكر الأنهارْ وتْثَوْرْ
مفروضْ إنّو بالبَردْ،
خَلّى المَيْدني تِسْهَرْ
مفروضْ إنّو بْسيفو لِبْرُنْزْ
قام وتْمَنْطَقْ
مفروضُ في التِأويلْ، كان البُرجْ أصفر
مَفروشْ بالصفصاف والشِرْبينْ
والزعرورْ والزَنْبَقْ
مفروضْ في التِفْسيرْ ، إنّو خليلي ها العِنَبْ
أحمر وأشقرْ
صارْ نْبيذْ تَلْحمي
وتْعَتَّقْ.
مفروضْ إنّو طِفِلْ تَحت العِشِبْ
ناشفْ، بمْغارة الرعيانْ مِنْدَفيهْ
ومْنِحرسوا بالوردْ والطيّون والزعترْ
مفروضْ، مِنْخَبّيهْ ... تا يكْبَرْ
بقْلوبنا نْعَطّيه، بْكيس الخيْشْ
مفروضْ، ها التاريخْ إنّو طَقّ وتْكَسَّرْ

مفروضْ إنّو صوْتْ فْلِسْطينْ
يعلى فوْقْ طاقياتْ ها العسكَرْ.
مفروضْ
لكنْ
ها القصيدي
مْتَرثْرا
وْمِقْهورا
وْزْعلاني
وْمِدْري ليّش !!!
حْدودكُنْ صِوَّان بيجرحْ
حْدودكُنْ بُوجّي متراسْ
حْدودكنْ، جُدرانا دَهَبْ
شُفْتا
يَمَّا برونْز
يَمَّا نْحاسْ
قِلّ لي يا ساحرْ، كيْف تْعَنْتَزْ النَخّاسْ
على شاعرْ، قصيدي من قمَر مطحونْ بالألوانْ
وّهايدا البَحَرْ يا لّلي نِشِفْ
- هيْك المَتَلْ بيقولْ -
بيْكدِبْ الغطّاسْ.
- سَرْسَبْ ثْبيدِكْ على سَطحْ روحي
شِعْر وأرزْ وشْبابيكْ حِرّيِ
حَسّيْتْ قبل القَهرْ بدْقيقتينْ وشْويِ
رَعْشِة حُبْ، رَعشة طيْشْ
لكن ها القصيدي مْتَرثْرا وزعْلاني وْمِقهورا
وْبدْري ليْش.

2. بيت لحم :
مَرَّا حَمامي مِثْل المَرا، مرَّت
عَ باب الروحْ
تَثْمَلّي
سِهْر الحَبَقْ، عا حِفّة الشِبّاكْ
ليْصَلّي
بْهودا البلّورْ غَمْزْتْني وثْطايَر البرقوقْ
في باب الشَرقْ
واستأسَدوا عْصافيرْ عَ الغْليّ.
شْفافا نيرانْ بْعَتم بَريِّهْ
شَمِسْ مَطْحوني بالياقوتْ
نخلي من الباديي، عرجونا عَسَلْ
من غوْر معجوني بْدَمعْ
مَسَقْعا متل حليب النَبعْ
كبّوشْ ضَوّ وْتوتْ.
قامت النِجْمي وْتَرْغَلِتْ ضِحْكي

وْصَبَّتْ في قلبي نْعاسْ
وْمِنْ بَعِدْ ما كانوا كاسات أهلي
مْجَمَّعينْ
صاروا كاسْ ومْكَسَّرْ
شِفِتْ الخليلْ مْحَمْلي قْطوف العِنَبْ
بسْلالْ من مَرْمَرْ
بثْرشْ العنب عَ الريح من حلحولْ لأرْطاسْ،
تا تِسْكَرْ
وْبتصُبّ عَ ضَوّ المَحرِقا، لَشْوَيْة مْجاريحْ
كهْربا وْبترشْ خَمْر وماسّ للحرّاسْ
وفي الحِلِمْ، بيْت لحمْ، شِفْتا راكْضا
مِتِل وَلَد عاشِقْ
راكضْ وَرَا غيْمي ... بْأنْطِلْياسْ
راكض وَرَا غيْمي ... بْأنْطِلْياسْ

3. مْديني بْلا نَهرْ :
بْتِسْألني
وْين العُمُرْ راحْ وتْبَعْتَرْ صُوَرْ
وْمِنْ بَعِدْ بيروتْ، كيْف بَدَّكْ تعيشْ
وحْدودهُنْ قهرْ !!!
- بْعيشْ في مْديني
لا نَهرْ فيها
وْلا على شَطّا بَحِرْ
كانْ فيها بْساتينْ وعْصافيرْ وشْوَيِّة شِعِرْ
كان النَهرْ بيشم ريحة عَلَقْ
بْشفافوا الحِمِرْ
وها التفّاح كانْ في دانو حَلَقْ
هايدي لِمْديني الواقفا في صَحْرا قفِرْ
ناطْرا الغيْماتْ تا تشتّي الضُهرْ
عا حُرقِةِ الموّالْ
مسكونْ ها القلبْ يمام أصفر متل الموْزْ
بيْشرب فُسْتُقْ وشايْ أخضرْ وجوْز
مِنْ مَيِّة دَلوْ
ناطرا ضِحكي من ولد أخضر حِلوْ
لا، يَصْهَرا صَهرْ.

4. حكم الزمان :
دْراجكُنْ للحَجَلْ، بيكرُجْ كَرجْ
حتى يصَلْ
مَشْ، لا، إلي
كنت الفتى، كان الفتى
رَكْضْ، وْشطارا وْمَرْجَلي
صار الدَرَجْ خِثْيارْ

وْضَلّتْ على الشبّاك واقفا قُرُنْفلي
تغمزني، لا قولْ، شو مْخَبّي
هجم الزمان النّدِلْ
كَسَّرْ، أزاز القلبْ
وكسَّر الرُكْبي
وْضَلْ الحَجَلْ
فوق الدَرَجْ
بيكرجْ كَرجْ
طافحْ مَطَرْ
غيمْة عِطِرْ
سكرانْ
شو خِجْلانْ، بيُغمرني، الحَرَجْ
قلبي صبي، بْيحبي حَبي
أخضرْ ولا، فُرَس النبيّ.
لكنْ هواكُنْ شَرَعْ
وْما بقْدرْ عَ منْبري – إفْتي
حُكْم الزمانْ ... وْحَكَمْ
صِرْتي مِتِلْ بنْتي.
آهْ ... لو كِنتي !!!

5. إستازْ وثلاميزْ :
أزهاركُنْ فِتْني وأنا المجروح
بْنيّاتكُنْ زنبقْ مشْلوحْ
عَ لِسْفوحْ
إشي كريستالْ
إشي حَوْر ونَخِلْ
صَحْرا وْمَيْ
قهوةْ عَدَنْ
يمّا بنّي محروقْ
مْرايات وخِبزْ مَرْقوقْ
إشي آخر موديل مْن السوقْ
إشي عروس البَحِرْ
إشي للنايمْ بيرد الروحْ
شو بَدّو بها الفِتْني والسِحِرْ،
يْمَزْمزْ الإستازْ المدْبوحْ
ما دام لا بيشمْ ولا بيدوقْ
بسّ النَظرْ مسموحْ.

6. ريحة ضَوْ :
لَشو يْضَلْ عتْم الليل بالتِفكيرْ
شو قوْلكُنْ لو مْسكِتْ
باب المُدرَّجْ
وْكسّرتو تِكسيرْ

خَرْتَشِتْ يافطا بتقولْ : شو تِعْتيرْ
يْضَلْ الباب عتْم ونْوَرْ
غيْمات سَوْدا متل مارد البركانْ.
قوم، بَسْ تقومْ
فتاح الأبواب يا سجّان
خلّي هالفِكِر يْنُطْ ويْطيرْ
في ها الفَضا المفتوحْ
يْنُطْ وْيقفِزْ ويدوب الجَوْ
لا، نْشَمّْ ويحة ضَوْ.

7. سافر المطر زعلان :
زعِل المطرْ، مالو المطر زعْلانْ
بْضلْ بها المنديلْ بْلَوْلِحْ ضْفايرْ خَضِرْ
مَرّ الصُبحْ راح لَيْحطِبْ صُوَرْ
غاباتْ عُمرا من أرَزة النسيانْ
قام الهوا، لملم خْيوط الشَمِسْ
ضَمَّا بْقهرْ
كان المطر، بيْنِثْ عا الصفصافْ
قالت الحوْرا : شو زَعْلو حِزْرك !!!
تاري المطر مغرورْ
قالتلو البنتْ : أمْرَكْ
نَقَّطْ نجومْ وصْواريخْ بَردْ عَ الشبّاكْ
وتْأمْرَكْ.
كان السبب غَمْزي من عْيونا
وْسَيْفا الفتّاكْ
شو باك يا نِدْمانْ
بتمشي عَ شوْك الندم، بْتِتْعَمْشَقْ
على غْصونْ المطر والريح شرْقيِّه
تِنْتَيْنْ بعْشَقْ بشْلوش دمْ قلبي
وْعينيِّ
برْويهُنْ من ضوّ روحي كاسْ
القُدسْ، إمّ محمد وكنعانْ
والخليلْ، إمّو لباجسْ بنْ عَطْوانْ
وْبَيْتُنْ بيت لحم – إم عيسى
إكليل عِقدْ ألماسْ .
وضلّ طيرْ، ها الفستق يْرفرفْ
عا كِحْلِةِ الحِلْوي
كان الكِحِلْ نِعْسانْ
وكانت ضَفيري عا جِسِمْ ممشوقْ
يا مْنَتِوْرا شعركْ وَرا ضَهْركْ برْدانْ
ضاعتْ مْواعيدِكْ
وسافر المطر زعْلانْ.

8. تِعليق :
شو حِلو
ها الشِعِر
يا جوزيفْ
متل النِدي فوّق الورد بالصيفْ.
بيروتْ عاصفةْ ضَوْ في كْوانينْ
وْروحي مْعَفّرا بتراب خْماسينْ
زيّ الوجع،
مزروعْ في الموّالْ
إنتَ رسالي زَرْقا ملفوفي بالخَس والألوانْ
وأنا الوَهَجْ بيسيل في الشلاّل
إنتَ وأنا غاباتْ ها التِفاّحْ في جِزّينْ
مِنْشوفْ ريح الحقّ في باب القِدِسْ
ومِنْشوفْ ها المسيح شو، مقْهورْ
وبْجَنْبو تُرسْ
ومريم العَضْرا مقهورا وْزعلاني على الأيامْ
إنتَ وأنا دْيوك القهرْ في راسْ حاريصا
بتصيح وما بتْنامْ
صلّتْ على حْفاف السَّما، والحوْر، والتِخْمينْ
إنتَ وأنا عشّاق مَرْجِعْيونْ والساحاتْ
واسأل حَسَنْ، وْشِرْبِلْ، وإبنْ فُرْحاتْ
وْشَوْقي والياسْ
ياما سَفْحنا الدمعْ في دَرْدارة لِخْيامْ
- إنتَ وأنا نيران حَدّ السيْفْ
شو حِلوْ، ها الشِعِر يا جوزيفْ.

24. مكاناً أُكنعِسُ فيه
من يمنعني من أن أفضحَ سرّ مخالبها الورديَّة
أدخُلُ في الأزرق، حتّى أكتشف سماء الأجدادْ
أغرقُ في سبخات الأزرق، يمسكني قصب الماء
ألحق حوريّة وادي النوم ، فيلحقني الحُسَّادْ
من يسمع همس الغابات الطوليّة تفتضُّ غشاء الأزرقْ
الأزرق في طبقات العطشى لحنين النوقْ
أرحل في الأزرق نحو رذاذ الغربة
تتغنجُ حين تدندن أغنية الغجر السعداءْ
بكشاكشها وزخارفها
أقراط المرجان الصخريّ على شفة كريستال الروحْ
وأنا مفتونٌ بالأزرق في أرجاء سوالفها الوثنية
متأبطةً كتفي مثل صنوبرةٍ حانيةٍ في حوش الطينْ
أستعرض صوتي المبحوحْ
في رفّة خيط التوشيحْ
كان العشب الأصفر منقوشاً في السفح الشرقيّ كشاهدةٍ
قرب النبع المجنونْ
ناداني الأزرق يا أخضرُ ... لا ترد الماء !!!

ناداني في الليل نحيب الماء
ناداني صوتُ الباعةِ في سقف السيلْ
ناداني مقهىً من فاكهةِ نميمتها البيضاء
ثرثرةُ الشعراء
نادتني الكلماتُ الصفراء العسلية في الصحف السوداءْ
الغابات الوحشية قرب الجامعة تناديني
النهر المدعوس صباحاً تحت بساطير الغيلانْ
الشمس الشتوية في غور الروح البدويّة
رائحة الكتب الكحلاء المرمية في الساحاتْ
موجات الخط الكوفيّ المحفور بأغوار شراييني.
صدّقت يماماً وشوشني يا أخضرْ
لملم في الفجر حقائبك الوثنية
لملمْ لحمك هذا المنثور على حيطان البحر الغدَّار.
هكذا أيّها الشعراءْ
هكذا أيّها الأصدقاء العَسَسْ
أشعل القلب نيرانه قرب ماء السماء
فانتحى جانباً في الليالي الطويلة قبل اتخاذ القرار
ورمى روحه في قفصْ.

من يرثي في الليل قوافلهم يا أزرقْ
من يسمعني ذئباً مقهوراً بالألوانْ
من يسمع صوتي المشروخ الآن !!!

أريد مكاناً من الخشب الطازج الذي بلّلته الغيومُ العِتاقُ ،
على حافة النهر ، كوخي الذي من تَعَبْ
ألاحقُ أرنبةً في شقوق الصخور
أطارد هذا الرماد الذي نثرتْهُ العواصفُ تحت الرموشْ
أعلّق في أذن أرنبتي جرساً من وَدَعْ
أوزّعُ ضوئي على كُتلٍ من مساحات هذا الحداد
أدلّعُها يا عروس المروج ، احذري
فالجبال تَقَعْ
خلف هذي التلال ، خطوط الغمامْ
ثمّ نَعْنَشتُ قلبي بقنّينةٍ من ثلوج العنبْ
تراخيتُ
ثم انحنيتُ ألقط قشر القوافل،
هذي المخالي التي طرزتها الخيولْ
ثمّ أوقدُ ناراً لأرنبتي في السهولْ
أغطيك بالزنبق البلديّ، أدفيكِ بالأجنحة
ليستمع الصخر للنَحْنَحَة
لنغرق في لذّة البحر حتّى الصباحْ
أيا كلبتي الجارحة
أريد ازرقاقاً لهذا المكانْ
أريد الطريق القديمة في الغور حيث الضجيجْ

أريدُ، أريدُ، أريدُ
أريد مكاناً لهذا البياض الجريحْ

- خَلا الحقلُ، أقفر من ساكنيهْ
لماذا ولدتُ بهذا الزمان الكريهْ !!!
إلهي ، إلهي ، إلهي
أريد مكاناً قصيًّا، قصيَاً
أكنعسُ فيه.

صدرفي (2000)

الديوان الحادي عشر

البنات ، البنات ، البنات

البناتُ، البناتُ، البناتْ
حارساتُ الكرومِ،
تلألأنَ فوق النجومِ،
وتحت الغيومِ،
رياحُ السَمومِ،
تَهُبُّ على باكياتِ الرسومِ،
كأنَّ همومي،
تفاعيلُ من شَجَنٍ ، طافحاتْ
حارساتُ الكرومِ، يُتَرْغِلْنَ كالقُبَّراتْ.
في حبائلهنَّ، إجاصٌ يُغرّدُ،
ثمَّ سَفَرْجَلَة، تتباهى بصُفرتها الذهبيّةِ،
حتى انحنى طائرٌ مائعٌ، أزعرُ الحركاتْ
يتنقَّلُ بين الغصونِ،
يُداعبُ أشواقهُنَّ،
وكُنَّ بلا خُمُرٍ، سافراتْ
البناتُ، البناتُ، البناتْ.
في فلسطينَ، يختلف الأمرُ،
حيثُ النساءُ، يُجرجَرْنَ،
نحو السجونِ البعيدةِ في الحافلاتْ
في سَلاسلهنَّ، قناني الحليبِ لأطفالهنَّ،
وبعضُ الرسائل، خبَّأتَها، في الضُلوع،
تباركتِ المُرْضِعاتْ
النساءُ الجميلاتُ،
يزرعن في الأرض، أغلى الأماني، وملحَ المعاني،
وهُنَّ سماءٌ من الشَفَق العَسَليِّ،
ومن أنبلِ العائلاتْ.

في الزنازن، كُنَّ تكوَّرْنَ ليلاً،
وصُبْحاً، تجمّعْنَ في ساحة الشَجَراتْ
في عذاباتهنَّ، نواحٌ خفيٌّ،
ورغم الأسى، صابراتْ
البناتُ، البناتُ، البناتْ.
حين غنَّينَ حول الشهيدِ،
رقصْنَ، رقصنَ، رقصنَ،
فأجفلتِ الدالياتْ
حارساتُ الكروم،
تذكَّرنَ أيّامَهُنَّ الخوالي،
استفاقتْ جنادبُ صيفٍ طويلٍ،
فأكملتِ البنتُ، تَرْويدَةَ الأمّهاتْ:
-طائرٌ أخضرُ الكاحلين، وزيتونة في الجناحْ
صَفَّرتْ للخيول، فهاجتْ، وماجتْ رؤوسُ الرماحْ
طائرٌ دارَ في الكون، ثمَّ استراحْ
فوق غُصنٍ عنيدْ
يا بنات الرُعودِ، عظام أخي، تُستباحْ.
الأغاني، التي أصبحتْ هَمْهَماتْ
في السجونِ، التي من حديدْ
السجونُ، التي خَنَقَتْ عَبْرتي، يومَ عيدْ
فانتظر يا حبيبي، رفيفَ الوشاحْ
سألملمُ هذا النِثارَ المُتاحْ
سأعيدكَ لحماً وعظماً،
لكي تستوي فوق عرشٍ جديدْ
ترتوي من نشيد السَماحْ
وتُغنّي قصائدَ كنعانَ، تحت سماء الجليدْ.
طائرٌ سيِّدٌ، أخضرُ الكاحلين، وزيتونة في الجناحْ
سيرفرفُ يوماً على أسْقُفِ الغُرَفِ القاهراتْ:
نحن مَنْ يزرعُ العاصفاتْ
نحنُ مَنْ يسردُ القصصَ المُوجعاتْ
نحن مَنْ يرثُ الأرضَ، والأنجمَ الساهراتْ
البناتُ، البناتُ، البناتْ.
-أشعَلتْ أغنياتُ الكروم، الحنينَ، ولاحتْ مناديلُهنَّ،
كأنَّ الفضاءَ، ارتعاشٌ، كأنَّ الغناءَ، صلاةُ القناديلِ
في الدير، أوْ صرخةُ النائحة
أوْ كأنَّ التفاعيلَ، فاعلةٌ في معاركنا الخالداتْ
أوْ كأنّ القوافي، تقودُ المغني الحزينَ إلى الذكرياتْ.
يتراقصنَ بالحَبْلِ
كانت عصافيرهُنَّ المُلوَّنةُ الأجنحة
تتراكضُ فوق الغيومِ الكثيفةِ،
ثمَّ تقاطعتِ الزَقْزَقاتْ.
في أعالي الصنوبر،
دَوْزَنَ (زريابُ)، عوداً قديماً،

وَشَدْشَدَ بعضَ مفاصِلِهِ،
ثمَّ راحَ يُغنّي لأندلُسٍ قد تقومُ،
وراحَ يُراقِصُ من فَرْطِ بهجتِهِ،
نَشْوَةَ الساحراتْ
البناتُ، البناتُ، البناتْ.
مِثْلَ عاصفةٍ، ولَّعَتْ صمتَ تلكَ الكرومِ،
تنهّدتِ النِسوةُ الشارداتُ،
كأغنيةٍ جارحة
السماءُ تُراقبُ خَبْطاتِ أرجُلِهنَّ،
ودالية خاطبَتْ أختَها،
بنشيد عتيق عن المذبحة:
ثمّ، قُمنَ بنَقْلِ ضفائرِهِنَّ على عَوْسجٍ، باكياتْ
وأدرنَ دُفوفَ القَمَرْ
سيّدي يا عُمَرْ
أنتَ مَنْ قُلتَ: إنَّ فلسطينَ، قد وُلدَتْ
مُهْرَةً حُرَّةً، تحت هذي السماءْ
فلماذا تكسَّر صوتُ السماءِ،
لماذا تقطّع هذا الوَتَرْ
هذه الأرضُ، تعرفُنا جيّداً،
والنقوشُ القديمةُ، تعرفُنا جيِّداً،
والبلاغةُ محفورةٌ في النُّصوص،
وفي وسْمِ أغنامهنَّ، وأغنيةِ الراعياتْ
مُنْذُ كانَ القِماطُ، وكانَ الكَفَنْ
لم نَجيءْ من ضواحي (كريتَ)،
ولم ننولد في اليَمَنْ
واسم كنعانَ، أجدادُنا طرَّزوهُ،
على مَتْنِ هذا الحَجَرْ.
سيِّدي يا عُمَرْ
قد وُلدنا على هذهِ الأرض
تحتَ السُفوحِ، وفوقَ السُفوحْ
وشهدنا ولادتَها، قبل طوفان نوحْ
نحنُ من هذه الأرضِ، قبل الزمان الشحيح.
-حارساتُ الكرومِ، يُواصلنَ رقصتَهُنَّ،
ولم تتعبِ المُنشداتْ.
طُفْنَ حول الشهيدِ، انتظرنَ المَطَرْ
سيِّدي يا عُمَرْ
أين عُهْدَتُكَ المقدسيَّةُ، أين أعالي الصُروحْ:
كاميرا، لم تَقُلْ، كيف جاءوا بقُطعانهمْ،
كاميرا، لا تبوحْ،
كاميرا، لم تقُلْ: أين كَبَّوا نفاياتهمْ،
كاميرا، تَتَشدَّقُ، حين ادّعتْ أنَّها،
ستقول الحقيقة في الشمس،
حتى الوضوحْ.

أفسدوا المُدُنَ الطاهراتِ،
لصوصُ المياهِ، لصوصُ المزارع،
والطاقةِ الكامنة
أفسدوا فِتنةَ الأمكنة
أحرقوا حارةَ الزعفران، طريقَ الحرير،
مغارةَ مَهْد المسيح.
كاميرا جارحة
لم تَرَ الذَبْحَ، والمذبحة
روَّعوا الطفلَ، والشيخَ، والسيِّدةْ
كاميرا لا ترى، غيرَ هذي الفُروحْ
كاميرا جاحدةْ
بنتُ كلبٍ، تُزوِّرُ حينَ تُريدْ
نحنُ نعرفُ، أنَّ الرّصاصة ،عمياءُ،
إنْ لم تكن لعنةً للعدوّ الأكيدْ.
كاميرا، لم تشاهدْ، ولم تستمعْ، للنشيد،
الذي أشعلَ الحارساتْ
حارساتِ الرموزِ الجديدةِ، والكائناتْ
البناتُ، البناتُ، البناتْ.
ارحلوا، ارحلوا، ارحلوا،
ليس غير الرصاص الفصيح.

وجهكَ مألوفٌ لديّ

قال لي: وجهكَ مألوفٌ لديْ
قلتُ للعابر في ضوء الطريقْ
شاحباً، صار السِراجْ:
إنَّ وجهي، ليس مألوفاً لديْ

كيف في الحقل أرى سرْبَ الدجاجْ
وأرى حاكورةً، نهراً، كثيرَ الاعوجاجْ

وشجيراتٍ من الفتنةِ، برقوقاً،
وتيناً نبويْ.
كانت المرآةُ، لا ضوءٌ، ولا شمسٌ،
حُطاماً من زُجاجْ
ولهذا، لم تشاهد في تقاطيعي،
سوى هذا النوى، والارتجاجْ
أوْ بقايا من نشيدٍ رعويْ
ولهذا، ليس مأسوفاً عَلَيْ.
ثمَّ، أوغلتُ بقاع البحر،
خضراءُ ترانيمي،
استعدتُ الخاتم الضائعَ،
سلسالٌ، أضاء القلبَ، فاشتقتُ إليها.
ثمَّ لوَّنتُ رمالَ البحر بالصمتِ،
وصَبْغِ الأرجوانْ
كان للصلصال، إيقاعٌ، له صوتٌ شجيْ
غابةُ البلّوطِ، تهتزُّ، إذا انشقَّ الزمانْ
كان للموجِ، رنينٌ، وهديرٌ بربريْ.
هكذا صار (البلاجْ)،
مسرحاً للريح، مأوى للجميلات الحِسانْ
كان للنار، امتدادٌ، وارتعاشٌ آدميْ
ثمَّ ماذا!!
لستِ إلاّ وتراً من زنبق،
أوْ ثلجةً، جاء بها، غيمُ الخَراجْ
فاهطلي،
برداً، سلاماً فوقَ أشواكِ الحَراجْ
وانثري وردكِ فوقَ الكائناتْ
واحرسي قبل دُعاء الأمَّهاتْ
احرسي صفَّ البناتْ
حيثُ ما دام الرجالْ
مثل قطعان النعاجْ
لا يبالونَ، إذا شافوا قدومَ الشاحناتْ
تخلعُ الزيتونَ من أعماقهِ، والطائراتْ
قُمنَ دمّرن ابتهاجَ العائلاتْ
يا زماناً مالحاً، بيضاً خداجْ
صار وجهي، حائط العار،
فهبَّت أمّهاتْ
بنشيد الاحتجاجْ
قُمْنَ، حطّمنَ السياجْ.
وأنا أنبشُ في متن النصوصْ
عن زمانٍ عسجديْ

يمسحُ الإثمَ من القلب، يضيءُ الشَجَراتْ
فلماذا لا ترين الكأسَ، ملآناً
بأصوات اللُصوصْ
عتمةً في عتمةِ الملح الأجاجِ.
قال لي: وجهك مألوفٌ لديْ
قلتُ: وجهي ليس مألوفاً لديْ
إنني أنتظر العَصْفَ الجميل، الأبديْ.

طريقكَ خضراء

طريقكَ خضراءُ،
مدَّت يديها إلى كوكبٍ،
هو آخرُ ما في حنايا الفضاءْ.
طريقُك خضراءُ،
نادتْ بأعلى نضارتها
يا طيورُ،
فمالتْ إليها، طيورُ السماءْ.
طريقكَ خضراءُ،
دَعْكَ من الخوفِ،
هذي دروبٌ تقودُ إلى الناصرةْ
وقد لا تقودُ إلى الناصرة
فأشعلْ مصابيحكَ الزُرْقَ،
قبل ظلام المحيطْ
وجَهِّز لقاربكَ المُتلَجْلِج في الماءِ،
زاداً، وخمراً، وثلجاً، ونارا،
لعتمةِ هذا الزمان اللقيطْ
إلى أنْ يجيءَ الزمانُ البهيجْ
إلى أنْ يقومَ من النومِ، هذا الخليجْ.
صباحُكَ من عنبٍ، طافحٍ بالنبيذْ
طريقُك خضراءُ،
فنجانُ قهوتكَ العدنيّة، سرٌّ لذيذْ
يقولُ قليلاً، ولكنَّه غامضٌ كالخُطوطْ.
طريقُكَ خضراءُ،
حمراءُ
صفراءُ
بيضاءُ، لُغزٌ، طلاسمُ، فاقرأ كتابكَ هذا
كتابكَ هذا
صباحُكَ من شجر الزنزلختْ
ويمتصُّ في النائباتِ، الرذاذا
طريقُك ماذا
طريقك خضراءُ، قالتْ:
حذار من الانحناءِ،
حذار من الانحناءِ،

حَذار من الانحناءْ.
طريقك خضراءُ،
عَرِّج على النيل،
عَرَّجتُ،
لي في السماء نوارسُ،
تجري المراكبُ،
تفترش الأفقَ،
تمضي، تُهرولُ،
نحو القناطر،
سمراء، سمراء، سمراءُ،
لا توقفي الأغنيات التي لا تلينْ
دعيها تموجُ، وإلاّ دَبَبْتُكِ في الماء،
يا شمعة الجسر،
يا وجعَ الناي،
يا امرأةً من غيوم الحنينْ
أكادُ أشُمُّ ارتعاشكِ،
في موجةٍ من قرنفلِ خلخالكِ الياسمينْ
وأسمعُ عصراً، نشيدَ الزنوجْ
أكاد أسير مع النهر حتى القرارْ
أسيرُ مع العشب، حتى يفيضَ،
ويبلغَ أعلى البروجْ
أقدِّمُ للنهر، قربانَ هذا القصَبْ
فتحتفلُ الكائناتُ، ويكثُر قرْعُ الصُّنوجْ.
طريقك خضراءُ،
(مصرُ) التي خبَّأتْ سرَّها في المُتونْ
تكادُ تناديك: لا تكتئبْ يا وَلَدْ
بلادُكَ من مَرْمَرْ، قد يُحرِّكُ هذا السكونْ
بلادك خضراء، كانتْ وسوف تكون.
طريقك خضراءُ،
ذئبٌ يجول قريباً من الكوخ،
حيث فتاةٌ تُداعب أعرافَ مُهرتها،
وتشدُّ السُروجْ
فتاةٌ غنوجْ
وأفعى تطارد أرنبةً في شُقوق المروجْ
بلادٌ، متاحفُها في المزادِ،
تُباعُ لأعدائها، وعواصفُ صارتْ رماداً،
لكي لا تقولْ:
بأنَّ الشهيدَ، شهيدٌ، وأنَّ القتيلَ، قتيلْ
بلادٌ يُطاردها أهلُها، وبلادٌ تكاد تزولْ
ونحنُ نطارد ظلاً، ووهماً، هو المستحيلْ
ونركضُ خلف السراب،
زواج الفراشاتِ،
آخرُهُ، ضجَّةٌ، وعويلْ

طريقُكَ خضراءُ، يا نيلُ
يا ابن المعابد، يا ابن مياه الثلوجْ.
طريقك خضراءُ،
جسرٌ قديمُ، تمرُّ عليه القوافلُ، نحو (مؤابْ)
وملحُ الجنوب، رأتْهُ طيورٌ مهاجرةٌ
في الجبال التي شعشعتْ وَرَساً في الشموس،
ولا يتأخَّرُ عن موعدٍ، قيل: في شهر آبْ
وحطَّتْ على سفح (أسْدُمَ)، كي تَنْقُرَ الملحَ،
ثمَّ تُغيرُ على جبلٍ في أعالي اليقينْ
تباركَ دربُ العمالقة الطيبينْ
تبارك همسُ الرياحين،
مثل السحاباتِ،
فوق مفارق تلك الشِعابْ
تبارك هذا الضبابْ
عمائمُهمْ من نجيلٍ، وخلْفَ العمائم،
كانوا يقيمون خُضْرَ القبابْ
ترابٌ يُغازل أبناءه العاشقين،
ونحن نغازل ذاك الترابْ.
طريقكَ خضراءُ،
(بيروتُ)، ألوانها تتعدَّدُ حَسْبَ الأصولْ
وتُعطيك ما تشتهي أن تقولْ
ولكنّها في معاصر زيتونها السرمديِّ،
تقيسُ المسافةَ بين حمائم صيدا،
وبين كروم الخليلْ
تقرّرُ أنْ ترتقي للعُلا مرَّةً، في مطالع
(صِنّينَ)، أوْ ترتدي كنزةً من خمولْ
وداعاً لبيروت،
بيروتُ منفى، وعشقٌ
تطاوَلَ حتى ذُرى بهجة الشعراءْ
حذار من الانحناء، حذار من الانحناء،
حذار من الانحناءْ.
طريقك خضراءُ،
يا حاديَ القافلة
طريقك خضراءُ،
يا سائق الحافلة
طريقك خضراءُ،
رُغم الزغاريد في عُرس أبنائِهنَّ،
ورُغم الجنازاتِ، رغم خراب البيوتْ
طريقك خضراءُ، رغم سيول الدماءْ
طريقك خضراءُ من وجع الأمّهاتْ
صباحُكَ، جذرٌ تأصَّل في الأرض،
كي لا يموتْ
طريقك خضراءُ،

رغم الدروب التي ولّعتْ دندنات المغنّي،
الذي لم يُحرّكْ سكوناً،
ولم تسمع الصوتَ، أغنامُنا الغافلة
طريقك خضراءُ، والوقت يدحجُ،
مثل الحمام الأنيق،
يُبعثر كوْماً من الأسئلة
طريقك خضراء يا سائقَ الحافلة
طريقكَ خضراءُ،
فاقرأ علاماتِ هذا الزمانْ
سينفجرُ الأرجوانُ، سينفجرُ الأرجوانْ
وخذ جرعةً من دواءْ
حذار من الانحناء، حذار من الانحناء،
حَذار من الانحناءْ.

شروط التهدئة

هو شرطٌ وحيدْ
لا مواثيقَ سِرِّيَّةً، أوْ عُهودْ
أوْ تفاصيلَ سَرْديَّةً، أوْ بُنودْ
لا نريد تجاهلَ صمت الخيول،
مذابحَ أرض الهُنودْ
لا نريدْ.
هو شرطٌ وحيدْ
أنْ تُفكَّكَ أوصالكُمْ، والقلاعْ
القلاعُ، التي أوشكَتْ أن تقعْ
حين صاح الرُماةُ،
تَزَلْزَلَ حائطُكُمْ في جنوبِ الجنوبْ.
أنْ تُفكَّكَ كلُّ تفاصيلكمْ:
النقوشُ، التي زُوِّرَتْ،
السجونُ، التي أكَلَتْ لحمَنا،
وخذوا معكم كلَّ أسفاركُمْ، ومَزاميركُمْ،
ما عدا، سِفْرَ أيّوبَ، ليس لكمْ
إنَّهُ، عربيٌّ، أكيدْ.
القبورَ، خذوها، متاحِفكُمْ،
ليس فيها لنا مِنْ طمَعْ
تستطيعون أنْ تزرعوا دولةً،
في أوروبا الجميلةِ، دونَ حُدودٍ على المُرْتَفَعْ
تستطيعون أنْ تبْتَنوا حائطاً من جَشَعْ
إنَّ لندنَ، جاهزةٌ، ثمَّ برلينُ تشتاقكُمْ،
وبلادُ كولومبسَ، تحفظُ سَرْديَّةَ المحرقة
في فرنسا، لكُمْ، مَثَلاً، مُتَّسَعْ.
هو شرطٌ وحيدْ
أنْ نعودَ إلى مَسْقط الرأس، والجذر،

حيثُ فلسطينُ من حُرقةٍ تنتظرْ
أنْ تعودوا إلى مَسْقط الرأس،
أجدادكُمْ في بلاد الخَزَرْ
وخذوا معكم كهرباءَ الضَلال،
مع الغاز، والكاز، والتدفئة.
هو شرطٌ وحيدْ
أن يكُفَّ الرصاصُ عن التهدئة
أنْ يكُفَّ الرصاصُ عن التهدئة.

دي... يا حصاني... دي

-دي... يا حصاني... دي:
ذَهَبٌ عُرْفُ هذا الحصان،
حوافرهُ فضّة، أو جُمانْ.
مرّةً، أشعلَ القلبَ، بالبوح؛
غارتْ طيور الشُقوقْ
ويكلّمني خِلسةً، قصصاً
من قديم الزمانْ.
لا امرؤُ القيس يفهم لُغْزي،
ولا لغتي، ولأنَ المسيحْ
جارُنا في الكروم، على السفح
مرجٌ من الأقحوانْ

لن يوافقَ أنْ أكشفَ السرَّ
في لحظةٍ من نبيذْ
وأبو الطيّب المتنبّي،
غبارٌ كشائعةٍ، لم يكن عاشقاً؛
كان نصفين، لا يستفيقْ
فوق كرسيّه العتيقْ:
واحدٌ كان كافورُ،
قد صاغه كالرقيقْ
ثمَّ نصفٌ يغنّي العراق الشقيقْ.
-دي... يا حصاني... دي:
أيّها الطفلُ،
نحن نعيش على هامش النصِّ،
لا وقت للأحصنة
-دي... يا حصاني... دي:
أيّها الطفلُ،
إنّ أباكَ الطريدَ،
يُفتّش عن سوسنة
في ثنايا الكلام، تُحاصره الألسنة.
-دي.. يا حصاني... دي:
أيها الطفلُ،
إنّ أباكَ، الذي فصلوه من الجامعة
طافحٌ بهموم الثريدْ
في مدينة هذي الجسور المُزيَّنةِ الرائعة
ينبغي أن يفكّ الرموزَ،
التي سَوَّرتْ كل أرجاء هذي الحدود.
-دي... يا حصاني... دي:
أيّها الطفل،
شيخٌ يُنبِّشُ في الشعر،
عن لون هذا التراب،
إذا كان كالدم يركضُ،
قبل المغيب، كما الأرجوانْ.
أيها الطفلُ،
شيخٌ يفتّشُ عن لون هذي العصافير،
إنْ مال لونُ الجناحين،
للحُمرة الدمويّة، فوق غصون المكانْ
أيّها الطفلُ،
شيخٌ يصوغ التقاريرَ عنكَ،
فجهّزْ رحيلكَ،
ثمّ اتّعِظْ يا حزينْ.
-دي... يا حصاني... دي:
أيّها الطفل،
هذي الألاعيبُ،
كُفَّ عن النَقِّ، هذا ربيع الهوانْ

لم أعُدْ قادراً أنْ أكون الحصان.
-دي... يا حصاني... دي:
ثمَّ أخبرتُها،
لا يريدون أن يلعب الطفلُ في حقلهمْ
عندما تصفُرُ القاطرةْ
لا تقولي: الخليل، أو الناصرةْ
الطريقُ إلى الشُرُفاتِ السعيدة بالوردِ،
ما زال فيها، القتادُ، المقابرُ،
ثمّ الرحيل، الذي في الرحيل،
ولن تقبل القاهرةْ.
-إذنْ، ننحني للزَمَنْ!!
-دي... يا حصاني... دي:
لا انحناءَ، ولو لفلفوا جُثَّتي بالكفنْ
أعطني، كي أغادرَ، قِنّينة من عنبْ.
-دي، يا حصاني، دي:
سقطتْ دمعتان من الكأس، حينئذٍ،
صرخ الطفلُ: لا تنحني يا أبي،
قلتُ: ها أنت تفهم،
خُذْ ظهر هذا الحصانْ.
-دي... يا حصاني... دي:
-دي ... يا حصاني ... دي.

القدس عاصمة السماء..
القدس عاصمة الجذور.

القدس عاصمة الجذور:
القُدسُ عاصمةُ السماءِ،
وأرضُها، رُعْبٌ، وقتلُ،
القدسُ عاصمةُ الجُذور،
يسوقُها وَغْدٌ، ونَذْلُ.
جاءوا إليها من صقيع الأرض،
فاقتلعوا صنوبَرَها،
وزيتوناتِها،
احتلّوا البيوتَ،
وسمّموا الماءَ الزُلالَ،
وفي رغيف الخبز حَلَّوا
القدسُ حارسةُ الثُّغور،
وأرضُها، رُعبٌ، وقتْلُ.
جاءوا إليها كالجراد، فأقفرتْ
خُضْرُ المراعي، والسواقي جُفّفتْ،
ثمّ استغلّوا
ماءَ العيونِ الدافقاتِ من الصخور،
المُورقات، وغابَ ظِلّ.
واستأجروا، (بورخيسَ)، و (إسماعيل كاداري)،
و (جنكيزَ)، الرخيصَ،
كأنّهمْ، ولدوا هنا مِثْلي
ولكي يقولوا، إنّهم في الأرض، قبْلي
مَسَخوا العقولَ، وبدّلوا ذاكَ القميصْ
بقميص أمريكا العتيق،
لعلّ جائزةً تَهلُّ
القدسُ مصباحُ النُذور،
وأرضُها، رُعْبٌ، وقتْلُ.
القدسُ عاصمةُ الدماءِ،
وصوتُها يشكو، ولا مطرٌ يجيءُ،
مواسمُ الأيّام، مَحْلُ.
يا دولةَ الخازوق،
يا قتّالةَ الشعراءِ،
يا سرّاقةَ الحِنّاءِ، والأضواء، والأزياءِ،

والأجداد، والأبناء، والآباء، والأشياء،
والموّال، والراياتِ، والخَرْجاتِ، والمالوفْ.
يا دولة الخازوق،
يا سرّاقة الإبريز، والإفريز، والتطريز،
والليمون، والتفّاح، والحنّون، والنارنج،
والأحجار، والتاريخ، والآهاتِ، حتى (الأوفْ).
القدسُ عاصمةُ الطيور،
وأرضُها، قمحٌ، وأشعارٌ، وفُلٌّ
مهما تشيخُ قِلاعُها،
تتعتقُ الأسواقُ، والساحاتُ،
يتلو
أهزوجةَ الغاباتِ،
سَهْلُ
في قاعها، غَضَبٌ عظيمٌ،
جارفٌ، والعَصْف يحلو.
خِلٌّ لنا في الشُرفة البيضاءِ،
يمشي،
مثل بارقةٍ تلوحُ،
وليس فوق النخل، خِلٌّ.
ناموا على خُطب الوعودِ،
كأنّهمْ سئموا الوعيدْ
يا أمّة النمل، التي
زحَفَتْ إلى تلّ الموائد،
كي تنام جيوشُها،
والصمتُ في شُرُفاتها،
وردٌ سعيدْ.
يا أمّة النّمل الذليلة،
ليس فيها من صفاتِ النمل، إلاَّ
كَثْرةُ النَسْل البليدْ
ما للجحافل عند محنَتها.. تَقِلُّ.
القدسُ عاصمةُ القلوبِ،
وأرضُها، ذبحٌ وقتلُ.
إنْ زمجر الأعداء في الساحاتِ،
تسمعُ ما تريدُ، ولا تريدْ
تستحضرُ الأرواحَ، والأشباحَ، والرمزَ المجيدْ
لتلوذَ هاربةً إلى الزمن البعيدْ
ويصيبُها صَمَمٌ أكيدْ
ما للجحافل،
كُلّما نادَتْ عليهمْ
تضمحِلُ.
القدسُ عاصمةُ السماءِ،
وصمتُها، قهْرٌ، وغُلٌّ.
لكنَّ جرّافاتِنا، جاءتْ مع الفجر الأنيق،

لكي تُعيد الغارَ،
ها، هُمْ، قد أطلّوا
عصرُ الحذاءِ العبقريِّ، يزلزلُ الدنيا،
فترتفع الرؤوسُ، مهابةً،
وكأنّ تاريخاً جديداً، قد يُطِلُّ
وكأنّ أقماراً تُشعُّ،
كأنّ كلَّ المؤمنين، تدافعوا
دخلوا إلى الأقصى، وصلّوا.
مهما عَلا صوتُ الذئاب الغازياتِ،
القادماتِ، الماكرات، القاتلاتِ،
فإنّ، صوتَ القدس،
رُغْم الليلِ،
يعلو، ثمّ يعلو، ثمَّ يعلو.

الجندي، الذي أُصيب بالحُمّى

أطْلِقوهُ،
أطْلِقوهُ، أطلقوهْ
فهو يشتاقُ احتضاناتِ أبيهْ
أطْلِقوهُ، أطلقوهُ، أطْلِقوهْ
وله أمٌّ، تنام الفجرَ، كي ترعى بنيهْ
أطْلِقوهُ، إنَّهُ رمزُ صهيل الأرجوانْ

إنَّهُ نجمٌ تدلَّى في أعالي العنفوانْ
إنَّهُ، نحنُ، وأنتُمْ، والكرومُ الخُضْر،
والنهرُ الذي شافَ الهوانْ
إنَّهُ الجولانُ، بيسانُ، وأشعارُ (جِدارا)،
والسَهارى، قُربَ هذا الامتحانْ.
كان مسحوراً بمرآكِ فلسطينُ، ولو طال الطريقْ
كان في الوادي، ينادي البحر يا بحري العريقْ
زرعوا واديهِ، ألغاماً، وأطنانَ رصاصْ
قال للبحر الصديقْ:
خُذْ كرومي، أغرق الصحراء، كي يبقى السؤالْ
رُبّما تنفجر الصحراءُ،
كي توقظ أبناءَ الحدودْ
أطْلقوه، أطلِقوهُ، أطلقوهْ
إنّه من هذه الأرض العَنودْ
فهو عشقٌ فاض في الوادي العتيقْ
عندما شافَ على الشاشة، أطفالَ الخليلْ
يرجمونَ القهر، بالأحجار، والصمتِ النبيلْ
أطْلِقوهْ.

سماحة السيّد الجنوب

قال لي قادمٌ من هناكْ:
الجنوبُ، الجنوبُ، الجنوبْ
إذا ارتدَّ بعض الكُسالى
عن العشق،
خوفاً،
أنا لن أتوبْ
الجنوبُ شمالُ جراحي،
الشمالُ جنوبْ
وما بعد حيفا، جنوبْ
الخليلُ وأعنابُها السامقاتُ، جنوبْ
وأرزةُ (جُبرانَ)،
تبقى جنوبَ الجنوبْ.
قال لي قادمٌ من هناكْ:
لا تقل لي سلاماً،
حواجزهُمْ لعنةٌ تتحدّى السماءْ
الجنودُ يُذلُّون أختي وأمي،
وأشعر بالقهر، إنْ خلعوا شجر الأنقياءْ
(ولا بأسَ، إنْ أزعجوا الوزراءْ)
وبكى النهر حين رأى نفسَهُ عاجزاً
عن مصافحة الأهل والأنبياءْ.
قال لي قادمٌ من هناك:
أين تذهبُ يا شاعر الاحتجاجْ

قلتُ: (قانا) تنادي، تُشعلل قلبي،
بكيتُ وحيداً، بعاصمةٍ وقعتْ في الشِباكْ
قيَّدوا شَعْرَها بالسلاسِلِ فوق اليدين،
سلاسلُ فوق الشفاهِ، سلاسلُ فوق الجفونْ
سلاسلُ لا تبتغي الانفكاكْ.
شعراءُ المدينةِ، صُمٌّ، وعُميٌّ،
ولا يرغبون سوى بالهزيمة،
لا تُساورهُمْ رغبةُ الاشتباكْ.
قال لي قادمٌ من هناكْ:
قُلْ لهُم: دمُ قانا المقدَّسُ،
صوتٌ يخلخل أرض السلامْ
قُلْ لهم: دم قانا، صباحاً، مساءً، نواحُ الحمامْ
دمُ قانا ملاكٌ فصيحٌ، جريحْ
دمُ قانا يُغطي تعاريجَ هذي السفوحْ
دم قانا، دموعُ المسيحْ.
آهِ، كلّ قصائدنا من زَبَدْ
لأنّ القصيدة في الأصل، بحرٌ فسيحْ
نُجمِّلُهُ بالكناياتِ، والاستعارةِ، ثمَّ
نُرصِّعُهُ أقحواناً، شقائقَ نعمان،
ثمَّ نغني كلاماً، كأنّ الكلامْ
يُعادل أجساد أطفالنا، الكلامُ جَسَدْ
كأنَّ البلاغةَ، خالدةٌ للأبدْ
كأنَّ القصيدةَ تمسحُ عارَ النيامْ
كأنَّ مقالاتهم يعتريها الحَسَدْ
آهِ، كلُّ قصائدنا من زَبَدْ.
قال لي قادمٌ من هناكْ:
الجنوبُ، الجنوبُ، الجنوبْ
هو قُرآننا، وصلاةُ الحبيبْ
هو تبغُ أصابعهنّ، مُشقَّقةً،
حين ننظمهُ في قلائدِ هذي القصائد،
أو نتوهَّجُ في رقصة النهر،
أوْ في هوى عشقهِ، سنذوبْ
الجنوبُ، الجنوبُ، الجنوبْ
لسماحتِه، سأغنّي، لراية هذا البهاء العظيمْ
حين كانت بوارجُهمْ كالورقْ
حين صاح الجنوبُ بهمْ: انظروا،
انظروا: إنّها تحترقْ.
الجنوبُ، الجنوبُ، الجنوبْ
نسوةٌ من عجين الصلابةِ،
لملمنَ هذا الحُطام الحزينْ
أمَّهاتُ الزلازل، يسقين وردَ المساءْ
كي يقومَ (الحسينُ) خطيباً، وقد زال عنّا البلاءْ
أوْ تغنّي الحمامةُ، أنشودةَ الريح في (كربلاءْ)

أو يضيفَ (عليٌّ) لنهجِ بلاغتهِ،
ثورةَ الفقراء الجُدُدْ
حين صاحوا جميعاً: أحَدْ
الجنوبُ الذي سوف يُشعل في الليل،
صمتَ (صَفَدْ)
لم نعد من سبايا الخليفةِ يا زينبَ الأتقياءْ
لم نَعُدْ ، لم نعدْ، لم نَعُدْ
الطريقُ إلى سفح (مريام) واحدةٌ، وجبالِ الخليلْ.
قال لي قادمٌ من هناكْ:
مجدنا الأبديُّ، هنا في شعابك، قانا،
وعارُهُمُ العالميُّ، يلاحقهمْ للأبَدْ
لم نَعُدْ من سبايا أحَدْ
لم نَعُدْ، لم نَعُدْ، لم نَعُدْ.

قراءة في كفّ فاطمة

سأقرأ كَفَّ فاطمةٍ، يلوحُ كنجمةٍ في الماءْ
صهيلُ خيولها في السهلِ، أنعشَ نَوْمَةَ الأجداد
صهيلُ خيولها الورديُّ، رقْصٌ في سماء الوادْ
دخانُ هزيمة الأعداءْ.
سأقرأ كفَّ فاطمةٍ، يكون الدمُّ مخلوطاً مع الحِنّاءْ

بلا لفٍّ، ولا دَوَرانَ، لا تأويلَ، أو سيماءْ
خطوطُ شقوقِه تبدو، بلاداً ما لها أرجاءْ
سأقرأ كفَّ فاطمةٍ،
لأكشف نَسْغَ هذا الأخضرِ الفينانِ،
قُرْبَ خريطةٍ صَمَّاءْ
لأكتشف المدى المنظور، والتاريخَ،
واللغةَ التي صاغتْ،
مفاتيحَ الجنوبِ، ورقةَ الأنهار والساحاتِ،
والأوتارْ
لأكتشف اندفاعكِ نحو صمت الليل،
نحو صلاتكِ الزرقاءْ
سلاماً أيُّها القربانُ،
كيف تُلقّعُ الأسرار بالأسرارْ
وقبل قراءتي كفَّيكِ،
سوف أعودُ،
للمطر الخفيف يُعانق الوديانْ:
وأذكرُ ذلك السهل الذي في نومه غَرْقانْ
ولم تكُ في سماء السهل، تلعبُ عُصْبةُ الغربانْ
وكان النهر يمشي مطمئناً، خالداً، نعسانْ
أشمُّ وداعةَ القرميد في حيطان (مرجعيونْ)
أجُسُّ الماءَ،
ثمَّ أذوقُ طعم الملح،
أبصرُ فتنة المرمرْ
وأقرأ رعشة الأحجار،
كانت (صور) تحفر خندقاً، حتى
تقاوم هَجْمةَ الإسكندر المهزومْ
يجيءُ الرومُ، خلف الروم، خلف الرومْ
وصبرُكِ دائماً أكبرْ.
سأقرأ كفّ فاطمةٍ،
لأسحقَ صَوْلةَ الشيطانْ
أقول لها: غداً تأتي،
حُشودٌ من بني كنعان.
بدونكِ، لن يفيضَ النهرُ،
لن تستيقظ الصحراءْ
بدونكِ، قد يجفَّ التبغُ قبل تمامهِ،
في التربة الحمراءْ
بدونكِ، طائراتُ الدولة الخازوق،
سوف تُلوِّثُ الأجواءْ
بدونكِ لن أعي ماهيّة الأشياءْ
بدونكِ، يا ربيعَ القلبِ،
يا مُنشدةَ الموَّال،
يا وردةْ
لما احترقت سفائنهُمْ،

ودبّاباتهُمْ صارت لنا خُردةْ
بدونكِ، كنتُ في (الصحراءِ)، مقهوراً،
أصارعُ حبر هذي الصُحُف الصفراءِ، والسوداءْ
بدونكِ كنتُ في غزَّةْ
تحاصرني سيوفُ الأخُوة – الأعداءْ
لأنَّكِ كنتِ لي سَنَداً،
وكنتِ الثورةَ الخضراءَ،
يا ولاَّدةَ الأبطالِ والتاريخ والأسماء.

أشجارُ بَتولا

فيدلْ كاسترو،
هوغو شافيز،
نلسونْ مانديلا
قد أشعلوا الجبالَ والقيعان والسُهولا
أشجارُ بتولا
حديقةٌ خلفيَّةٌ، حقولُ
لكنَّهمْ، أسماءْ
زمانُهُمْ مضرّجٌ بالغار والتيجان والدماءْ
يشكو ولا يقولُ
بَصْمتُهُم في الكون قد تطولُ
محفورةٌ في الصخر، أوْ تحومُ في الأرجاءْ
كأنَّهُمْ مُسَلْسَلٌ في غابةٍ شقراءْ
أجراسُها، أنشودَةُ السماءْ
تَرنُّ في كرومها، وترتع العُجولُ
في الفجر، أشعلوا المدى، فاخضرَّتِ الطُلولُ
ثلاثةٌ فُحولُ
كأنَّهمْ في واحدٍ، كأنَّهُمْ عاصفةُ الأنواءْ
قد أزعجوا اللصوصَ في القارّاتِ،
فانتفضَ الفقيرُ، والمقموعُ، والمغلولُ
أصواتهُمْ نقيَّةٌ، منقوعةٌ في جوهر الأشياءْ
أصواتُهمْ منقوشةٌ، في الكوكب الناريِّ، لا تزولُ
جُذوروهمْ مغروسةٌ... ثلاثةٌ فحولُ:
كاسترو، شافيز، مانديلا
أشجارُ بتولا.

1.(فيدل كاسترو):

صيَّادٌ أوقعَ في الفخِّ، خنازيرَ خليج الميَّة
البحرُ أغارَ على قرصان الماءْ
صيّادٌ في بَدْلَتِهِ الخضراءْ
ستلُّ السِكِّينَ ويقطع رأسَ الحيَّة
قُرميَّةُ أمريكا اللاتينية
يكتب أشعاراً، ويرصِّع هافانا بالنجم الذهبيْ
وأنيقاً كان، أنيقاً بالسيجار الكوبيْ
يُلقي خُطبتَهُ العصماءْ
ولينفلق الإمبراياليّونَ، صباحاً ومساءْ
أصبحنا أرقاماً يا كاسترو.

2.(نلسون مانديلا):

لا سقفَ للسماءْ
لا سقف للسماءْ
ينامُ في الجزيرة المعزولة
مُستذكراً في سجنِهِ، براءةَ الطفولة
وأمَّةً في قيدها مغلولة
يفيضُ بالحنين من تراكم الأنباءْ
إفريقيا الخضراءْ
أسمعُ في سُعالها، دماً وماءْ
من قهرها مشلولة
إفريقيا الحمراءْ
مسروقة، مذمومة، مأكولة
إفريقيا السمراءْ
تخجُل من سُمرتها، تخجلُ من طلْعتها البهيَّة
لكي يُدمِّر اللصوصُ، مَنْقَعَ الهُويَّة
لكنّه مانديلا
يهُبُّ صارخاً، فتُهرعُ الجموعُ في الساحاتْ
ويهربُ الذليلُ، فجأةً، منهزماً، ذليلا
تنفجر الرعود في الغاباتْ
وتنشدُ النساءُ مطلعَ القصيدِ، تقرعُ الطُبولا:
إفريقيا الخضراء

إفريقيا السمراء
إفريقيا الحمراء
قد جاء راكباً حصانَهُ، مانديلا
متوّجاً من شعبه الشقيِّ في الحاراتْ
لا سقف للسماءْ
لا سقف للسماءْ.

3.(هوغو شافيز):

الهنودُ الحُمْرُ أجدادي على صَهْوات خيل الروح،
تمتدُّ الحقولُ
ولهمْ فوق الهضاب الشُمِّ، أجنادٌ، صهيلُ
الهنود الحُمُر يشتاقون أن يظهر في المرج،
على الساحاتِ، كنعانُ الأصيلُ
ولهمْ وعدٌ من الصدْق، وغاباتٌ،
ونفطٌ قد يسيلُ
قام شافيزُ، فقومي يا سُهولُ
قال شافيزُ: بلادي استيقظتْ من خوفها النائم،
وانزاح الثقيلُ
قال شافيزُ:
بلادي نجمةُ الدنيا،
وبستانٌ خجولُ
قال شافيزُ،
فإنْ قال كلاماً، صَدّقوا ما يقولُ.

درج الجامعة

رشرشي، رشرشي، أمطري
يَسْتَحقُّ جمالُكِ، أنْ تُنظري
كيف أبدأ هذا الصباح الشفيفَ الرصينْ
مفعماً بالأغاني التي لوَّنتْ حائط الياسمينْ
هل أبوحُ، بما لا يُباحْ:
شالُها عُصْفُرٌ، أصفرٌ، وأقاحْ
يُبهرُ الناظرينْ.

يتراكضنَ، مثل الغزالاتِ،
قبل انفجار الرعودْ
فلماذا تأخَّرتَ يا درجَ الجامعة
ولماذا تثاءبتَ،
صرتَ، كما السور في الصين،
يفترشُ العاشقونْ
سُنْدُساً، قرب حيطانهِ،
تستعيدُ، الصهيلَ، القرونْ.
قد تجيءُ، وقد لا تجيءْ
كيف أمسحُ هذا الرذاذَ العَنودْ
يا كثيرَ الوعودْ
ولماذا، إذا الشيبُ طال المفارقَ،
جئتَ بفتنتكَ الرائعة
ولماذا تأخَّرتَ يا دَرَجَ الجامعة.
رشرشي، رشرشي، رشرشي، فأنا
قابعٌ خلف هذا الزجاج السعيدْ.
الحياةُ حِراكٌ، وتكرهُ هذا السكونْ
نظرةٌ واحدةْ
ثمَّ تدخلُ في النار، لا تبتعدْ يا وَلَدْ
ولهذا أَطِلْ، نظرةَ القهر،
لا ترعوي، فالبَلَدْ
جيدُها، نخلةٌ من مَسَدْ
لا تُشبّكَ كفّيكَ فوق العيونْ
نظرة واحدة
مرّةً واحدة
إنني واثقٌ، أنَّهُ لا يحبُّ النكَدْ
لا يحبُّ بأنْ يُورثَ الأرضَ للماكرينْ.
تَنْتشي الأرضُ هذا الصباحْ:
طفلةٌ قد تمرُّ، تُثيثُ الثلوج،
يُبَيِّضُ كُحْلَ الوشاحْ.
مرَّةً، شفتُها فرساً من حنينْ
تتعمشقُ سورَ الحديقةِ،
ترمي حقيبتها – الوعلَ،
ثمَّ تفرُّ كطيرِ سجينْ
رائعٌ أنْ أراكِ... رأتني،
فدارتْ قريباً من القلبِ،
عند المحيط الذي وسّع الدائرةْ
رقصةَ (الفلامنكو)، تؤدّي،
تميلُ كسهمٍ، تجيءُ إليكْ
رائعُ أنْ أراكِ... رأتني،
أحومُ، قريباً من العُشِّ،
مثل ابتسامتها الماكرة.
مرَّةً، طائرُ (البالاشون)، امتطى نجمةً،

ثمَّ رفرف فوق البحيرة، كان الدخانْ
مثل أوضاعنا الحائرة.
مرّةً كنتُ في (بودابست) العجوزْ
أتمشّى، لعلّ هواءَ البحيراتِ،
يُنقذني من ضجيج مقاهيكِ، قبل المساءْ
فجأةً، وضعتْ شالَها، فوق عينيَّ، قالت: إذا
كان سيفُكَ من ذهبٍ، فأنا درجُ الجامعة
أخذتْني،
إلى بيتها القرمديِّ،
وكانت -وللحقِّ- أكثر من بارعة
البقيَّةُ نصٌّ من السُهْدِ،
يقوى على عاتيات الدهور.

صنوبرة

صنوبرةٌ تغازلني بصمتٍ،
وزبدتُها، تكادُ بأنْ تَسوحا
بسرٍّ خانق، يجثو كَتَلٍّ،
على صدْرٍ، رأى أنْ لا يبوحا
لها جَسَدٌ من العَسل المُصفَّى،
أمامكَ، كان رقراقاً فصيحا
تُزلزلني، برقصٍ من سَماح،
ورَجْراج، غدا، أضحى فسيحا
تباركتِ الصباحاتُ اللواتي،
خلقنَ لمثلها، وجهاً صَبوحا
وقمقُمها، إذا اشتاق ارتعاشاً،
فإنّي، فارسٌ، بدأ الفتوحا.
صنوبرةٌ، كأنَّ السحر فيها
يصوغ جمالها: غنجاً، وتيها
فتشتغل الجوانحُ، والبقايا
وتضطربُ النساءُ على بنيها.
جريحٌ، منذ عادٍ، أشتهيها
ولم أتركْ على الساح، الجريحا
ترجتْني، مراكبُ من سُهادٍ،
بأنْ أبقى، وأنْ أغدو صريحا
ولكنّي، بلادٌ، ليس فيها،
سوى الخذلان، يبتلعُ السُفوحا.
تُسائلني مساءً: أنت نهرٌ،
نحيلٌ من ترابٍ، لستَ روحا
فكم تحتاج من زمنٍ جميلٍ،
لتصبحَ قارباً، فُطِناً، طموحا
وكم تحتاجُ من زمنٍ جميلٍ،
لتُصبحَ بحرَ من رفعوا الصُروحا

ألا، فانظرْ، مُحيطاً من سماءٍ،
يكاد يُقاربُ الرّدْفَ المليحا
ألا، فانظرْ حمائمَ من حنينٍ
عواصفَ نَوَّةٍ، في الرّمل ضاعتْ
أضاعت في النوى، موسى، ونوحا
لتُصبحَ آيةً، في الصفِّ تُتلى،
لتصبح، سورةً في السفح، تُوحى.

مقصوفةُ الرقبة

جاءتْ من العَقَبَة
مقصوفةُ الرقبة
كَشْميرُها أزرقْ
في كفّها حَبَقٌ،
وربّما زنبقْ
مرّتْ على عَجَلٍ،
الكعبُ قد طقْطقْ
الردْفُ.. بُركانٌ،
يا قلبُ، لا تشهقْ
نهدان من عنبٍ،
لوزٌ واستبرقْ
مُسْتَفْعِلنْ، فعِلُنْ
مستفعلن، فعلن
يا ليتها تعشقْ.
جاءت من العقبة
مقصوفة الرقبة
تنوي مُسايرتي،
الوجهُ قد أشرقْ
يا ليتني، أرحلْ
في لُجِّ مرمرها،
في الجانب الأعمقْ
لكنّها، فرَسٌ،
كالبرق قد شَقْشَقْ
تمضي لغايتها
والروحَ، قد تسرقْ
لكنّني، سَهْمٌ،
للصخر، قد يخرقْ
وأمتطي مُهْري،
في غزوة الخندق.
راحتْ تناديني
هل أنت مُسْتشرقْ!!
يصير زلزالاً،
في الغاب، قد يُحرقْ.

حِنّاءُ كفَّيها
يُشير للعَتَبة
جاءت من العقبة
مقصوفة الرقبة.

وقال رحمه الله، وهو في السبعين، يرثي حصانه

أهبِّشُ في طريق الليل،
ثمَّ تَدَعْثَرتْ قدمي على الصلصالْ
هتفتُ بحرقةٍ، واها،
ربيعٌ أيُّها البدويُّ، واها،
إنّه كريستالْ
حلقتُ الشوكَ، بانَ السّهْلُ،
غرَّد طائري صوتاً،
مقام (الراست)، يغويني
وليس كسابق الأحوالْ.
غطستُ، غطستُ في الرمّانِ،
أشرب من عصير النغمة الزرقاءْ
هبطتُ لسهلها المجنونِ،
حيثُ ملاسةُ الإحساس بالتوتِ،
الذي قد جاور الصفصافَ،
حَوْلاً، كاملَ التطوافِ في المرعى.
هبطتُ، هبطتُ للقاع،
الذي قد توَّج البستانَ،
شالاً من حديقتها،
وجاء لقُبَّتي، يسعى.
وأسرعتِ الذئابُ الحُمْرُ،
تنهش داخلي،
تمتصُّ لُبَّ القاع،
فانفجر الحنينُ الأشقر الفتّانُ،
ثمَّ رحيقُهُ.. شَعَّا.
ذهاباً في المروج الخُضْر،
قمتُ، أدعُّهُ، دَعّا.
إياباً، في لذيذ نبيذها الناريِّ،
أكرعُ كأسَها، كرْعا.
دخلتُ القُبَّ، نحو مغارة الأدغالْ
فلم أسمعْ، سوى أنّاتها، تثغو،

ولم أرضعْ حليباً صافياً،
قد خلتُهُ... نبعا.
هبطتُ، فقالت الأفعى
رويدكَ، أيها الطاغي،
حذار، حذار، من إزميلكَ القتّالْ.
كأنيّ كنتُ أمتلك البلادَ،
سهولَها،
والقاعَ،
والأشجارَ، والزرعا.
وطاف بخاطري، بلْبالْ
فقمتُ، طردتُهُ حالاً،
كأنّي، كنتُ في حالٍ،
من الخَدَر اللذيذِ،
رنَّ في سمعي، صدى الموَّالْ
وما إنْ صاح فجر الديكِ، سال النهرُ،
حتى أغرقَ الصحراءْ.
حصاني نام طفلاً، مطمئناً،
دونما تهليلةِ الإغفاء.
حصاني لم يعد سيفاً، ولا رُمحاً، ولا مطراً،
يرشُّ العشق فوق سوالف الوثنيّ،
دمعتُهُ على الخدّين، يبكي صُفْرةَ الأشياء.
حصاني كان يخترق المدى المنظور، والمجهول،
مثل الشاعر الجوَّالْ.
أهبِّشُ في طريق الليلِ،
مصباحي،
بلا نفطٍ،
وعاصفتي بلا أنواءْ.
حصاني نام بين العشبِ،
كالتاريخ، مثل قصيدةٍ عصماءْ
حمامٌ زاجلٌ، عَطِشٌ،
لنار الليل، أوْ للماءْ.

موشَّح الانصراف

طيَّر النومَ، غزالٌ، من عيوني
رائقُ الوجهِ، صَبوحُ
أكحلُ العينين، مربوعٌ، فصيحُ.
في بلادٍ، رمزُها،
أوراقُ تلك الشَجَرةْ
ركض العازفُ نحو القاعِ،
يَجْترُّ نشيداً من هُمومْ
هذه الأغصانُ تصفرُّ،
إذا جاء الخريف العَذْبُ، باحتْ، أو تبوحُ
ثم تحمرُّ، ويغشاها ضبابُ السَحَرةْ
لم يكن غير نشيدٍ رعويٍّ، وقديمْ

ثمّ هاج البحر في أطرافها السُفلى،
وحكّتْني جُروحُ
أمسكتْ غُصناً قديماً، ناشفاً،
مَلَّ من النوم العتيقْ
دعكتْ أنحاءَهُ بالعطر،
فاخضرّتْ سفوحُ
سَخْسَخَ الكاحلُ فوق الرمل،
مأسوراً، أنيقْ
كبكبَ العاشقُ زيتاً في الحريقْ
فتدفّقتُ كأنّي طائرٌ من فلسطينَ،
على الرمل، ذبيحُ
وأنا أغرق في باب المضيقْ
قمتُ مَرْمغتُ جديلاً، فإذا الأوتارُ،
تشكو، وتنوحُ
طيَّر النومَ، غزالٌ، من عيوني
رائقُ الوجهِ، صَبوحُ
أكحلُ العينين، مربوعٌ، فصيحُ.
قال: عجّلْ، إنّ أسراري تفوحُ
ثمَّ مرّ الغيم، قرب النافذهْ
فأضاء العتمة البيضاءَ،
واحمرّتْ عيونٌ طاهرهْ
شمسُها تحرق كوناً، وأنا
يا أيّها البارعُ، موجوعٌ، طريحُ
فطلبتُ المغفرهْ
غَيْرَ أنّي، فوقها، مُهْرٌ، وسيّافٌ جَموحُ
ثمّ صَحّتْني على صوت الطيور النافرة
لم أجدْ في الروح، روحاً
لم يكنْ في الروح، روحُ
فانثروني،
ففضاءُ اللهِ، مفتوحٌ، فسيحُ.
طيَّرَ النومَ،
غزالٌ،
من عيوني
رائقُ الوجه صَبوحُ
أكحلُ العينين، مربوعٌ، فصيحُ.
صدرفي 2009